مصادر
تاريخ مصر الحديث والمعاصر
دراسة في الوثائق

د.مصطفى محمد رمضان
أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر
جامعة الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة :

تتــناول هــذه الدراسة مصادر تاريخ مصر الحديث ، وتأتي في مقدمة هــذه المصادر بطبيعة الحال الوثائق الرسمية ، فلم يعد كافياً اعتماد الباحثين علــى الكتب الأدبية التقليدية ، وهي الكتب التي كتبها المؤرخون المعاصرون للأحــداث أو الذين نقلوا من أشخاص أو كتب عايشت الأحداث ، فقد برزت في الفتــرة الأخيــرة أهمية الوثائق الرسمية المحفوظة في دور الوثائق المختلفة والتي لم يسبق نشرها من قبل وضرورة اعتماد المؤرخين عليها .

وذلك لأن الكتب الأدبية التقليدية سجلها مؤلفوها في ظل عاملي الرغبة والرهبة ، الرغبة في عطاء الحاكم ، والرهبة من عقابه ، وهذان العاملان من أخطــر عيوب المعاصرة ، وتزيف الحقائق التاريخية وتشوه بسببهما فإما أن يكتب المؤرخ في ظلهما بعين الرضا أو بعين البغض .

وعين الرضا عن كل عيب كليله ، كما أن عين البغض تبدي المساوئ ، وإن ســلم المــؤرخ مــنهما لا يــسلم من عيوب أخرى ذاتية تتعلق بميوله وأهوائه وميول من ينقل عنهم وأهوائهم .

أما الوثيقة فإنها خالية من عيوب الكتب الأدبية التقليدية السالفة لأنها كتــبت أصــلاً لا لــتكون مــرجعاً تاريخــياً وإنما كتبت لحفظ حقوق أصحابها الــسياسية والمالــية أو الاجتماعية ، كنص معاهدة أو اتفاقية دولية ، أو عقد بــيع أو شراء ، أو حجة وقفية شرعية ، أو عقد زواج أو غير ذلك من العقود ، ولم يكن يدور بذهن واضعيها أنها ستكون مرجعاً تاريخياً في يوم من الأيام .

وستقتـــضي الدراســـة أن نتعرض لأهم دور الوثائق في مصر وكيفية الحصول على ما بها من وثائق ونشير إلى طبيعتها وخطوطها وأهم ما تحتوي عليه من وثائق .

كمـــا تتـــناول الدراســـة أهمية المخطوطات التي وصلتنا عن العصور الـــسالفة والتي ما زال أغلبها بخطوط مؤلفيها ، أو منقولة عن نسخ المؤلفين الأصـــليين فـــي تاريخ مصر الحديث لأنها من حيث الأصالة والتوثيق تأتي في المقـــام الثانـــي مـــن الأهمـــية بعـــد الوثائـــق ، وما زلنا نحصل علي بعض المخطـــوطات الأصـــلية لـــبعض الكـــتب المنشورة كانت في زوايا النسيان ، وبالـــرجوع إلـــيها إضافات لا بأس بها تختلف في كثير من النواحي عما نشر لـــتلك الكتاب . وسنعطي مثالا للإضافات التي تأتي بها المخطوطات من خلال عرضنا لمخطوطة :

" تـــاريخ مـــدة الفرنـــسيس بمصر من سنة ١٢١٣ _ ١٢١٦ هــ " لمؤلفها عبد الرحمن الجبرتي .

وسنـــشير إلـــي أهمية معرفة المصطلحات التاريخية في دراسة تاريخ مـــصر بـــصفة خاصة وتاريخ العالم الإسلام ي بصفة عامة ، فالباحث أثناء قيامة ببعض أبحاثه معتمدا علي الكتب الأدبية التقليدية مثل : كتاب جمال الدين أبـــي المحاسن بن تغري بردي " النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة " ، وكـــتاب محمـــد أبن اياس المصري " بدائع الزهور في وقائع الدهور " وكتاب عـــبد الرحمن الجبرتي " عجائب الآثار في التراجم والأخبار " أقول إن الباحث فـــي هذه الكتب تصادفه بعض الكلمات الاصطلاحية من أصل لغوي فارسي أو تركـــي مستمدة من النظم الفارسية أو التركية إبان غلبة الأتراك علي كثير من الـــدول الإســـلام ية وظلت هذه المصطلحات مستعملة في عصور الأيوبيين والممالـــيك والعثمانيـــين ، ونظرا لمعرفة الناس في تلك العصور بمدلول تلك

المــصطلحات فــندر أن يتعرض مؤرخ من مؤرخي تلك العصور لتلك الكلمات بالــشرح والتوضيح وتوضيح المراد منها باللغة العربية ، ومن ثم غدت غدت تلــك الكلمات الاصطلاحية مشكلة من مشاكل البحث التاريخي أمام الباحثين المحدثــين ، فــيقف حائرا أمام كلمات مثل (روز نامه) و (أمير خور) و(سالياته) و (مهردار) و (كتخدا) وغيرها من الكلمات الاصطلاحية .

ويحــتاج الباحث لحل تلك الرموز إلي الرجوع لشتى المصادر من كتب الــنظم والآثار والفنون وكتب المصطلح ، لأن كتب اللغتين الفارسية والتركية لا تفــيد كثيرا في معرفة تلك المصطلحات ، فأحيانا يكون المصطلح مكونا من كلمتــين إحداهما عربية و الأخرى فارسية أو تركية ، أو من كلمتين إحداهما تــركية والأخــرى فارســية إلي غير ذلك من التراكيب ،وقد لا تفيد الترجمة الحــرفية للمصطلح فيضطر الباحث إلي آخر فيضطر الباحث إلي دراستها في مخــتلف العصور الإسلام ية من حيث نشأتها وتطورها ، وكثيرا ما يضطر الــباحث إلــي الرجوع إلي الوثائق الرسمية التي تختلف عن تلك العصور إن وجدت وهي أفضل الوسائل لدراسة المصطلحات لأنها مصادر ذات دلالة قاطعة في هذا المجال .

وســيقدم الــبحث إسهاماً متواضعاً في هذا المجال ، ولعل في مستقبل الأيام ما يتيح لنا الفرصة لكي نتناول المصطلحات التاريخية بدراسة منفردة .

وفي الختام نتناول أخطر مصادر الخبر في التاريخ المعاصر وأعني بها وكــالات الأنــباء ، وشــبكة معلــومات الإنتــرنت ، التي تتحكم في الأخبار المــسموعة أو المــصورة ، ولها مراسلون في جميع أنحاء العالم لجمع هذه الأخبار مع الإشارة إلى خطورة ما تبثه وكالات الأنباء في مجال تزييف الأخبار ، وأهمــية شــبكة معلــومات الإنترنت في سرعة استفادة المؤرخ منها بسبب

التكنولوجـيا الحديـثة المـستخدمة فـي بـث الأخبار بالصوت والصورة .

هذا وأرجو من المولى عز وجل التوفيق ،،،

مدينة نصر – القاهرة

في / ٢٠٠٦ م

د. مصطفى محمد رمضان

أستاذ التاريخ الحديث بجامعة الأزهر

الفصل الأول

الوثـــائــــــق

تأتـــي فـــي مقدمـــة مصادر تاريخ مصر الحديث بطبيعة الحال الوثائق الرسمية فهي أدق المصادر التاريخية متى كانت صحيحة لا زيف فيها ولا دس وهـــي تعتبـــر بذلك مصدراً من مصادر الدرجة الأولى لأنها تتصف بالحياد ولا يـــوجد شك في أصالة الوثائق لأن كاتبها الذي كتبها في الماضي لم يكن يدور بخلـــده يومـــئذ أنهـــا ستصبح مرجعاً تاريخياً في القرون التالية ، ولا تخضع الوثـــيقة للمؤثـــرات الشخصية الموجودة في الكتب الأدبية التقليدية التي أشار إلـــيها عبد الرحمن بن خلدون في مقدمته وهي ميول المؤرخ وأهوائه وميول من ينقل عنهم وأهوائهم .

ولا يشترط في الوثيقة من الناحية العلمية أن تكون وثيقة رسمية كنص معاهـــدة أو اتفاقـــية بين دولتين أو فرمان من الفرمانات السلطانية أو الأوامر الديوانـــية أو حجة شرعية وإنما قد تكون الوثيقة خطاباً من ابن لأبيه أو من صـــديق إلى صديقه ، أو بيان حساب لأحد التجار أو وصفة طبية علاجية ، أو حجـــاب مـــن الأحجبة أو تعويذة من التعاويذ ، أو إيصال دين أو قائمة بأسعار بعـــض الـــسلع والمتاجر وما إلى ذلك من المعاملات اليومية ، وهذه الوثائق الـــسالفة كلهـــا ذات أهمـــية كبيـــرة فـــي دراسة التاريخ الاقتصادي والحربي

والاجتماعـــي والثقافي وهي الميادين الجديدة لعلم التاريخ في الربع الأخير من القرن العشرين [١] .

أنواع الوثائق:

تنقسم الوثائق التاريخية من حيث موضوعها إلى أربعة أنواع :

أولا: وثائـــق مالية وقانونية وإدارية وقضائية كالبيع والشراء والإيجار والرهن والوصية والزواج والطلاق والضمان والتعهد .

ثانيا: وثائق مراسلات بين الأصدقاء والأهل لها طابع أدبي .

ثالثا: مكاتبات سياسية رسمية بين الحكام والأمراء .

رابعا: الرسائل الديوانية مصدرها الدواوين الحكومية مثل: المنشورات والفرمانات والقرارات وغيرها من الرسائل .

وتنقسم الوثيقة من حيث الخصائص إلى قسمين :

١ - خـــصائص خارجـــية : وتشمل الحبر الذي كتبت به الوثيقة ونـــوع الأوراق التـــي كتـــبت عليها الوثيقة وطريقة تنظيم الـــصحيفة والخـــاتم ، وأنواع مواد الكتابة كالرق والبردي والورق والأحبار والألوان والذهب ، ومعرفة أنواع الخطوط المستخدمة في كتابة الوثيقة والأختام حتى يستطيع الباحث دراســـة تلك الخصائص من حيث صلتها بصحة الوثيقة لا ســـيما أن هذه الخصائص لها أهمية كبيرة في الحكم على صحة الوثيقة أو تزييفها .

٢ - الخـــصائص الداخلـــية : وهي عبارة عن ملاحظات مبعثها اللغـــة وطريقة صياغة الوثيقة والأسلوب المتبع في كتابتها

---

(١) انظر : د. عبد اللطيف إبراهيم ، وثائق الوقف على الأماكن المقدسة ، من أبحاث الندوة العالمية الأولى لدراسات تاريخ الجزيرة العربية ، جامعة الرياض ، أبريل سنة ١٩٧٧م .

وأقسامها ، وتنقسم الخصائص الداخلية إلى قسمين : الأول : البـــروتوكول الافتتاحي الذي يبدأ بجملة دعائية أو ابتهال ويـــشتمل على اسم صاحب الوثيقة ، والبروتوكول الختامي ويشتمل على التاريخ وعبارة دعائية أو تقدير أو إعجاب ثم التوقـــيع الـــذي يضفي الصحة على الوثيقة وأخيراً الختم ، والثانـــي : الـــنص وهو الجزء الذي يشتمل على موضوع الوثـــيقة وبه التمهيد والإعلام والعرض والشرح والتصرف والفقـــرات الختامية . فالوثائق لا تخرج عن هذين القسمين .

ووثائـــق تـــاريخ مـــصر الحـــديث منها المصري ومنها التركي ومنها الأوروبـــي ، وســـيكون تركيزنا على مجموعات الوثائق المصرية منها بصفة خاصـــة فهـــي تتعدى أحياناً نطاق الإقليمية ، فنجد بها مجموعات لا بأس بها خاصـــة بالعلاقـــات المصرية بالجزيرة العربية ، وأخرى بعلاقات مصر بإقليم الشام ، وثالثة بالسودان والحبشة والبحر الأحمر ، وغير ذلك من المجموعات.

وتـــتوزع تلك الوثائق في العديد من دور المحفوظات المصرية ، وأهم هذه الدور حتى الآن :

١- محفوظات دفتر خانة الشهر العقاري بالقاهرة .
٢- دار الوثائق القومية بالقاهرة .
٣- دار المحفوظات العمومية بالقاهرة (بالقلعة) .
٤- محفوظات وزارة الأوقاف المصرية .
٥- محفوظات الحياة النيابية في مكتبة مجلس الشعب حاليا .

أولاً : محفوظات دفتر خانة الشهر العقاري بالقاهرة :

أما فيما يتعلق بوثائق أرشيف دفتر خانة الشهر العقاري ، فإنها تنتمي زمنـياً إلـى العصر العثماني (٩٢٣-١٢٢٠هـ) وعصر أسرة محمد علي (١٢٢٠-١٣٧٢هـ / ١٨٠٥-١٩٥٢م) ، وتشتمل على مجموعة ضخمة من سـجلات محاكم الشرع بالقاهرة وضواحيها إبان تلك الفترة وسجلات الديوان العالي التي كانت تابعة للوالي العثماني ، وسجلات إسقاط القرى ، وكانت هذه الـسجلات محفوظة في محاكمها الخاصة بها وفي القلعة في بادئ الأمر ، ثم جمعـت ونقلـت فـي أوائل عصر محمد علي في خزينة كانت تسمى "خزينة الـسجلات العامرة" ومقرها في محكمة الباب العالي بقصر الأمير ماماي (أحد أمـراء الـسلطان قايتباي في العصر المملوكي) بحي الجمالية بالقاهرة وهذا القصر معروف الآن ببيت القاضي بجانب قسم الجمالية ، فقد جاء في كثير من صـور الحجـج الشرعية التي نقلت من سجلات محاكم مختلفة أنها نقلت من سجلات محفوظة بخزينة السجلات العامرة بالباب العالي [٢] .

ثم نقلت تلك السجلات في تاريخ مجهول إلى قصر مصطفى رياض باشا بخـط بـركة الفيل بالحلمية الجديدة بالقاهرة وكان به مقر محكمة نور الظلام الشرعية (وسميت نور الظلام لأنه يوجد بالقرب منها ضريح يسمى الشيخ نور الظـلام) وكان هذا النقل على ما يبدو لسهولة التقاضي ونقل الحجج الشرعية منها أو الرجوع إليها كلما اقتضى الأمر إذا ما طلبها الورثة أو المتقاضون .

وفـي حوالـي سـنة ١٩٦٢م نقلـت إلى دفتر خانة محكمة الأحوال الشخـصية بشبرا بأول شارع جزيرة بدران بعد نفق شبرا مباشرة وكان بهذه

---

(٢) انظر : وثيقة رقم ٥٤١ بمحفوظات وزارة الأوقاف المصرية .
وانظر أيضاً : نهاية سجل رقم ٣٠٩ من سجلات الباب العالي .
وانظر أيضاً : وثيقة رقم ٣٨٨ بمحفوظات وزارة الأوقاف المصرية .

المحكمة قسم خاص بالمحفوظات ومن ثم اشتهرت تلك السجلات لدى الباحثين (فترة من الزمن) بسجلات المحكمة الشرعية بعد ذلك حتى عام ١٩٧٠م .

وفـــي عـــام ١٩٧٠م نقلت تلك السجلات إلى مكانها الحالي بدفتر خانة مـــصلحة التوثـــيق والشهر العقاري بالقاهرة بجوار مبنى دار القضاء العالي بـــشارع رمـــسيس ، ومن ثم عرفت أخيراً بسجلات دفتر خانة الشهر العقاري بالقاهرة .وقد نقلت مؤخرا إلى دار الوثائق القومية بساحل روض الفرج .

وهذه السجلات عبارة عن نوعين من السجلات :

(١) سجلات الديوان العالي .

(٢) سجلات محاكم الشرع بالقاهرة إبان العصر العثماني .

(٣) سجلات محاكم الأقاليم إبان العصر العثماني .

أمـــا فـــيما يتعلق بسجلات الديوان العالي والتي كانت تتبع والي مصر إبان العصر العثماني فالموجود منها عبارة عن (١٦سجلا) ستة عشر سجلاً يـــبدأ السجل الأول منها بتاريخ ١١٥٤هـ (١٧٤١م) وينتهي السجل رقم ١٦ بتاريخ ١٣٠٧هـ = (١٨٨٩م) .

ويلاحـــظ أن سجلات الديوان العالي قد فقد منها الكثير فعلى الرغم من أن الـــسجل رقم (١) منها قد بدأ بتاريخ ١١٥٤هـ أي بعد الفتح العثماني بقرنين وربع من الزمان مما يدل على أن هناك سجلاتٍ كثيرة مفقودة من هذه الوحدة الأرشيفية [٣].

---

(٣) تطلـــق كلمـــة أرشيف على الوثائق القديمة ، وكذلك على المكان الذي تحفظ فيه تلك الوثائق وهي بالمعنى الأول عـــبارة عن كل الأوراق والسجلات المكتوبة الناتجة عن نشاط إدارة عامة أو خاصة واستحقت الحفظ الدائم للرجوع إليها لأغراض البحث .

والـــوحدة الأرشـــيفية هي مجموعة السجلات والوثائق وغيرها الناتجة عن نشاط إدارة أو هيئة معينة مدة حياتها والـــوديعة الأرشـــيفية تتكون من عدة وحدات أرشيفية تبحث عن نشاط عدد من الإدارات معاصرة لبعضها تجمعت ووضعت في دار من دور الوثائق ، وذلك مثل الوديعة الأرشيفية للأزهر الموجودة في حوزة دار الوثائق القومية بالقاهرة

على الرغم من ذلك إلا أن هناك فترات مفقودة بين السجلات الموجودة مما يدل على ضياع سجلاتها أيضاً ، وذلك مثل الفترة من ١١٥٧هـ حتى عام ١١٧٧هـ وتقع تلك الفترة بين السجل رقم ١ والسجل رقم ٢ .

ومن ناحية أخرى فإن سجلات الديوان العالي من حيث شكلها فكلها تقريباً من النوع المستطيل مقياسها في المتوسط ١٧سم عرضاً × ٤٦سم طولاً ومسطرتها (ما بين ٦٠ ، ٩٠سطراً) في الصفحة الواحدة ، ويتراوح عدد الكلمات في السطر ما بين ٢٠ ، ٢٥ كلمة .

واللغة التي كتبت بها تلك السجلات عربية وتركية ، أما الكتابة العربية فمكتوبة بخط سريع قليل الإعجام تصعب قراءته في كثير من الأحيان وذلك بسبب صغره المتناهي وتلاصق كلماته بعضها بالبعض ، ومن ثم فإن قراءة هذه السجلات تحتاج إلى مران طويل وجهد كبير حتى يستطيع الباحث قراءتها.

أما الوثائق المسجلة باللغة التركية فمعظمها مكتوب بخط واضح جميل تأنق فيه كاتبه نظراً لأنها تتعلق بأوامر وفرمانات سلطانية ، وقد استعملت اللغة التركية فيها عند تسجيل الأوامر والفرمانات السلطانية وأوامر والي مصر وقراراته ، واستعملت اللغة العربية في تسجيل وثائق الصرة الشريفة وبعض وثائق الكسوة التي كانت ترسل كل عام إلى الحرمين الشريفين [٤]

وهي عبارة عن وديعة تضم عدة وحدات أرشيفية عن أروقة الأزهر وسجلات مجلس إدارة الأزهر وسجلات المجلس الأعلى للأزهر ودفاتر القرارات والمنشورات الخاصة بالوزارات المختلفة وغيرها من الدفاتر والمحافظ الخاصة بأنشطة الأزهر المختلفة إبان عصر أسرة محمد علي .

(٤) وثائق الصرة : هي وثائق تسمى الإشهادات الشرعية التي كانت تؤخذ على أمير الحج كل عام وهي عبارة عن وثيقة مكتوبة لكل وقف من أوقاف الحرمين بمصر عبارة عن إقرار على أمير الحج بأنه تسلم هذه الأموال لتسليمها إلى أربابها بالحجاز ، وكانت تلك الوثائق تكتب في مجلس شرع شريف بحضور شهود من كبار رجال الدولة وكان هذا

والإشـــهادات والإعلانـــات الشرعية ، ووثائق وفاء النيل ورؤية أهلة الشهور العربية وإشهادات إرسال مخصصات الدولة العثمانية التي كانت تسمى الخزنة أو الخزينة ووثائق أوقاف الأمراء من أسرة محمد علي .

وعلى الرغم من أن سجلات الديوان العالي وصلت إلينا ناقصة إلا أنها تمـــثل وحـــدة أرشـــيفية مـــتكاملة ، وتمثل هذه الوحدة الأرشيفية مع وحدات المحـــاكم المـــصرية في العصر العثماني المعاصرة لها الوديعة الأرشيفية التي حفظـــت مؤقـــتاً في دفتر خانة مصلحة التوثيق والشهر العقاري بالقاهرة ثم نقلت أخيرا إلى دار الوثائق المصرية بالقاهرة بساحل النيل بروض الفرج .

أمـــا لمـــاذا نقلت سجلات الديوان العالي إلى دفتر خانة الشهر العقاري بمـــصاحبة الوحدات الأرشيفية القضائية ، فذلك نظراً لما فيها من بعض وثائق الوقفـــيات المـــسجلة فـــي ســـجلاتها وبعض الإعلامات الشرعية مما يقتضي الرجوع إليها لمصالح الجمهور عند التقاضي .

وأما سجلات محاكم الشرع بالقاهرة إبان العصر العثماني ، فهي عبارة عن سجلات لخمس عشرة محكمة ومحافظ دشت من سجلات المحاكم المختلفة ، وفيما يلي نورد جدولاً بأسماء تلك المحاكم وعدد سجلاتها وبداية العمل بها وانتهاؤه :

المجلـــس ينعقد بصيوان (خيمة) أمير الحج بمكان خارج القاهرة يسمى بركة الحج وسميت كذلك لنزول الحجاج بها عند مسيرهم من القاهرة إلى الحج في كل سنة ونزولهم بها عند العودة ومنها يدخلون القاهرة .

قائمة بالمحاكم الشرعية في القاهرة

إبان العصر العثماني :

م	اسم المحكمة	بداية العمل فيها	انتهاء العمل	عدد السجلات
١	محكمة الباب العالي	٩٣٧هـ (١٥٣٠م)	١٣٤٢هـ(١٩٢٣م)	١٦٨٦
٢	محكمة القسمة العسكرية	٩٦١هـ(١٥٥٣م)	١٢٩٢هـ(١٩٢٣م)	٤١٩
٣	محكمة القسمة العربية	٩٧٠هـ(١٥٦٢م)	١٢٩٨هـ(١٨٨٠م)	١٥٨
٤	محكمة المسجد الزيني ببولاق	٩٤٣هـ(١٥٣٦م)	١٢٢٦هـ(١٨١١م)	٨٣
٥	محكمة مصر القديمة	٩٣٤هـ(١٥٢٧م)	١٢٢٥هـ(١٨١٠م)	٣٤
٦	محكمة قناطر السباع	٩٥٧هـ(١٥٥٠م)	١٢٢٦هـ(١٨١١م)	٤٧
٧	محكمة الجامع الطولوني	٩٣٧هـ(١٥٣٠م)	١٢٢٦هـ(١٨١١م)	٩١
٨	محكمة جامع قوصون	٩٦٤هـ(١٥٥٦م)	١٢٢٦هـ(١٨١١م)	٦٨
٩	محكمة جامع الصالح طلائع	٩٥٣هـ(١٥٤٦م)	١٢٢٦هـ(١٨١١م)	٦٧
١٠	محكمة بابي سعادة والخرق	٩٨٨هـ(١٥٨٠م)	١٢١١هـ(١٧٩٦م)	٧١
١١	محكمة الصالحية النجمية	٩٣٤هـ(١٥٢٧م)	١٢٢٦هـ(١٨١١م)	١٠٧
١٢	محكمة جامع الحاكم	٩٤٤هـ(١٥٣٧م)	١٢٢٥هـ(١٨١٠م)	٧٨
١٣	محكمة باب الشعرية	٩٥٥هـ(١٥٤٨م)	١٢٢٦هـ(١٨١١م)	٧٥
١٤	محكمة جامع الزاهد	٩٧٢هـ(١٥٦٤م)	١٢٢٦هـ(١٨١١م)	٤٧
١٥	محكمة البرمشية	٩٧٣هـ(١٥٦٥م)	١٢٢٧هـ(١٨١٢م)	٢٢
١٦	محافظ دشت	لمحاكم وسنوات مختلفة	(٣٥٣ محفظة)	

ولعل من المفيد أن نذكر أن الخط الذي كتبت به سجلات المحاكم الشرعية هو أسرع وأقل وضوحاً من خط سجلات الديوان العالي السالفة ، ومن ثم فهو أصعب قراءة ويحتاج الباحث في قراءته وتفهم وثائقه إلى عناء كبير ، والقيد والتسجيل في هذه السجلات تاريخياً سنة بسنة وشهراً بشهر ويوما بيوم ، وخطوط هذه السجلات من النوع المرتعش السريع ونادرة

الإعجـــام صـــعبة القـــراءة بسبب تلاصق كلماته بعضها ببعض ، وتحتاج من الباحث كثيرا من المران والجهد حتى يتقن قراءتها .

ويستعمل الكتاب في كثير من الكلمات خط القرمة وهو نوع صعب القراءة للغاية لاختصار الكاتب فيه كثيرا من الحروف أثناء الكتابة ، وهو من فـصيلة الخطوط التركية ، وقد استعمل هذا الخط في كتابة الأرقام والأوزان ، والـسكة بـوجه خاص ، ويرجع استعمال هذا النوع من الخطوط في سجلات الروزنامة والمالية لضمان سرية هذه السجلات ، ويحتاج هذا الخط إلى بعض الخبراء لفك رموزه .

ويخـتلف حجـم سجلات المحاكم عن سجلات الديوان العالي فبينما الأخيرة مستطيلة (١٧×٦×٤سم) في المتوسط تكاد تتراوح الأولى في المتوسط أيـضاً بـين حجم الفلسكاب والكوارتو ، وهي من الضخامة بحيث أن صفحات بعضها تزيد على ألف صفحة .

وعلى الرغم من أهمية هذه الوثائق بنوعيها السالفين في تاريخ مصر الثقافـي والدينـي والاجتماعـي والاقتصادي والسياسي ، إلا أنها مهملة ولا يـشرف علـيها مختـصون في مجال حفظ الوثائق وترميمها ، وتحتاج إلى فهرســة جديــدة بعــد أن بلــيت فهارسها الحالية من كثرة التداول في شئون التقاضـي والمـواريث ، وذلك ليسهل على الباحثين الاطلاع على ما فيها من ذخائـر وكنوز تاريخية مازالت مجالاً بكراً تلقي الكثير من الضوء على تاريخ فتـرة العـصر العثماني المظلمة (وإن شئت فقل المظلومة) في مصر والحجاز والـشام بوجه خاص ، وهذه الوثائق كانت موضوعة في دواليب من الحديد مغلقـة ، ومعدومـة التهوية بدرجة تضربها كثيراً ، وذلك قبل نقلها إلى دار الوثائق القومية بساحل روض الفرج .

الحجج الشرعية :

الحجــج الــشرعية وثائق منفردة صادرة من محاكم الشرع تضم عدداً ضخماً من الحجج الشرعية الأصلية المفردة على شكل ملف (Roll) أو طيات (folded) أو كتيب (codex) وهي كلها ترجع إلى عصور مختلفة من العصر الفاطمي إلى العصر العثماني ، وقد نقلت تلك الوثائق المفردة إلى دار الوثائق القومية بالقلعة بنفس ترتيبها وأرقامها بالمحكمة وذلك في يناير سنة١٩٧١م.

وتعتبــر هــذه الوثائق مصدراً هاماً وأصيلاً لدراسة التاريخ الحضاري والاقتصادي والإداري والقضائي والاجتماعي ، لمصر في تلك العصور ، وذلك لمــا تحتوي عليه من معلومات إضافية عن العمائر والآثار الخاصة والرسمية الدنيوية منها والدينية ، وما بها من أنواع العملة والنقود المستعملة خلال هذه العصور والنظم القضائية والاجتماعية فضلاً عن فائدتها الكبيرة في الدراسات الوثائقية والأرشيفية وغير ذلك من موضوعات تاريخية هامة .

وكانت تلك الوثائق المفردة تحفظ بدار الوثائق التاريخية بالقلعة داخل محـــافظ ووثائـــق السلاطين والأمراء منها تحفظ مستقلة داخل محافظ مرتبة ، ومسلـــسلة الأرقـــام من ١-٣٦٤ ، ويبلغ عددها ٣٦٤ وثيقة مفردة ، وهذه المجموعة خاصة بتصرفات السلاطين والأمراء في مصر ، ووثائق الأفراد من عامة الشعب تحفظ داخل محافظ أخرى خاصة بها ومرقمة ترقيماً مسلسلاً من ١-٤٩٧٨ ، أي أن عددها ٤٩٧٨ وثيقة وغالبيتها ترجع إلى العصر العثماني ، وتحتوي على العديد من المعاملات الشرعية كالوقف والبيع والشراء والهبة والاستبدال ، وغير ذلك من المعاملات .

ومن أهم الوثائق الخاصة بالسلاطين والأمراء ، وثيقة رقم ١ الخاصة بوقــف الملـــك الصالح طلائع بن زريك وزير الخليفة الفاطمي الفائز ، ووثيقة

رقــم ٢ محفظــة ١ خاصة بوقف السلطان قلاوون ، ووثيقة رقم ٦ محفظة ١ وقف باسم الملك المعز مجير الدين يعقوب بها وقف لأماكن بغوطة دمشق على أولاد الواقف ونسله ، وبعد انقراضهم يصرف على شئون الحرم النبوي .

ووثــيقة رقم ٢٤ محفظة ٤ خاصة بوقف السلطان حسن بن السلطان محمــد بن قلاوون ، كما تضم هذه المجموعة وثائق هامة خاصة بالسلاطين : بيبــرس الجاشــنكير ، والأشــرف شــعبان وأبو سعيد برقوق وإينال السيفي والــسلطان فرج بن الظاهر برقوق ، والأشرف برسباي ، والسلطان قايتباي ، إلـــى غير ذلك من الوثائق الخاصة بالسلاطين والأمراء ونسائهم والتي تعتبر من أقدم الوثائق المصرية.

أهمية وثائق محاكم الشرع في الدراسات التاريخية

من المعروف أن وثائق محاكم الشرع لم تكتب لكي تكون سجلاً تاريخياً يــرجع إليه المؤرخون ، وإنما كتبت لحفظ حقوق أصحابها ، وحبس الأوقاف الخيــرية على مصالحها التي أوقفت عليها حبساً مؤبداً ، ومن ثم فإنها تحمل معلومات تاريخية صادقة تماماً تختلف كل الاختلاف عن المعلومات التي تؤخذ مـــن المــصادر التاريخية المعاصرة لها والتي سجلها أصحابها في ظل عاملي الرغبة والرهبة في نوالهم ، والرهبة من سوطهم بالإضافة إلى العوامل الذاتية الأخرى للمؤرخ والتي تتعلق بميول المؤرخ وميول من ينقل عنهم ، فالمؤرخ المعاصـــر عندما يرجع إلى تلك الوثائق يطمئن تمام الاطمئنان إلى خلوها من العوامل السالفة التي تدخل التزييف على المادة التاريخية .

وتحـــتوي تلـــك الوثائـــق علـــى معلـــومات ضافية في شتى النواحي الاقتـــصادية والاجتماعية والقضائية ومعلومات أخرى تهم الباحثين في تاريخ تخطـــيط المدن حيث تصف لنا تلك الوثائق مواقع العقارات المبنية وصفاً دقيقاً تحدد فيه أبعاده المختلفة والشوارع والحارات والأزقة وغيرها من الطرق التي تحيط بالعقار من كل جانب واتساع هذه الطرق مقدراً بمقاييس عصرها ، فإذا أمكـــن لـــنا أن نتتبع هذه المعلومات على مر العصور فنستطيع من خلالها أن نرسم تخطيطاً دقيقاً لأحياء القاهرة الفاطمية وغيرها من الأحياء الملحقة بها .

وفـــي مجال المعاملات النقدية تلقى تلك الوثائق كثيراً من الضوء على تـــاريخ العملـــة والنقود حيث تعطينا العديد من أسماء النقود الفضية والذهبية التي كانت متداولة في مصر وغيرها من البلدان العربية في تلك العصور ، إلى جانب أسعار شتى المشتريات والمبيعات مما له أهمية قصوى في مجال التطور الاقتـــصادي ، إلـــى غير ذلك من المعلومات الصادقة والحقيقية التي لم تشبها شائبة تحيز أو نقص فهي أصدق دليل على عصرها .

كمـــا أن تلـــك الوثائق تعتبر مجالا لدراسة تطور اللغة العربية والكتابة العـــربية وصـــلتها باللغات الأخرى وعلى الأخص اللغة التركية ، وتأثرها بها لأنهـــا كانت لغة الفاتحين الأتراك ودخول كثير من الألفاظ التركية إلى الوثائق وإلـــى لغـــة الكـــلام في ذلك العصر ، فبمقارنة وثائق تلك العصور يمكننا أن نتعرف على الدخيل من اللغات الأخرى ، والأمثلة على ذلك كثيرة ومتعددة ولا يتسع المقام لذكرها .

ومـــن الجديـــر بالذكـــر أن كاتب هذه السطور اعتمد في غالبية بحوثه العلمية على تلك الوثائق وفي طليعتها البحوث التالية :

أولاً : بحـث لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الحديث من قسم التاريخ والحضارة بكلية اللغة العربية – جامعة الأزهر ، تحت عنوان (دور الأزهر في الحياة المصرية إبان الحملة الفرنسية ومطلع القرن التاسع عشر) .

ثانياً : بحث حول (وثائق مخصصات الحرمين الشريفين في مصر إبان العـصر العثمانـي) وقد اشتركت بهذا البحث في الندوة العالمية الأولى لتاريخ الجزيـرة العربية ، حلقة المصادر ، والتي عقدت في جامعة الرياض بالمملكة العـربية السعودية في جمادى الأولى سنة ١٣٩٧هـ (أبريل سنة ١٩٧٧م) .
وقد اعتمدت في إخراج هذا البحث على نوعين من الوثائق :

الأول : ويـتعلق بوثائق الصرة الشريفة أي الأموال التي كانت ترسل كل عام من مصر إلى أهالي الحرمين ، وتوجد تلك الوثائق مسجلة في سجلات الديوان العالي والتي كانت تتبع والي مصر إبان العصر العثماني ونقلت أخيراً إلى دفتر خانة الشهر العقاري كما سبق أن ذكرنا ، ثم مؤخرا إلى دار الوثائق القومية.

*والـنوع الثاني :*ويتعلق بوثائق موارد ومصادر أموال الصرة الشريفة في مصر ، ونعني بها وثائق أوقاف الحرمين ، وتوجد تلك الوثائق مسجلة في سجلات محاكم الشرع إبان العصر العثماني وبها العديد من الأوقاف المحبوسة للصرف على أهالي الحرمين الشريفين.

ثالـثاً : بحث حول (وثائق الأزهر) اشتركت به في الندوة العالمية التي عقـدت بالقاهـرة بجامعـة عين شمس والتي نظمها سمنار الدراسات العليا للـتاريخ الحديث بكلية الآداب في المدة من ٧-١٢ مايو ١٩٧٧ وموضوعها (وثائـق تـاريخ العـرب الحديث) وذلك تحت إشراف شيخ المؤرخين الأستاذ الدكـتور أحمـد عـزت عـبد الحكيم رئيس جمعة عين شمس سابقاً ورئيس الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ورئيس (السمنار) .

رابعـاً : بحــث حــول رواق الشوام بالأزهر – تقدمت به إلى المؤتمر الدولــي الثاني لتاريخ بلاد الشام المنعقد بجامعة دمشق في نوفمبر – ديسمبر ١٩٧٨م .

خامـساً : بحــث حول : دور الأوقاف في دعم الأزهر كمؤسسة علمية إســلامية ، قــدم إلى الندوة التي نظمها معهد الدراسات العربية التابع لجامعة الدول العربية ، حول الأوقاف الإسلام ية والتي أقيمت في المغرب في أبريل ١٩٨٣م .

سادســاً: بحــث حول دور المرأة في النشاط الاقتصادي في مصر في القــرن ١٨م قــدم إلى ندوة عقدت بجامعة الأزهر بالقاهرة بعنوان : التاريخ الاقتصادي للمسلمين في أبريل ١٩٩٨م

دار الوثائق القومية بالقاهرة :

تــم إنشاء هذه الدار بموجب القانون رقم ٣٥٦ لسنة ١٩٥٤م على أن تنقل إليها وثائق دور الحفظ المختلفة في مصر وأهمها : (١) دار المحفوظات العمومــية بالقلعــة (٢) محفــوظات مجلس الوزراء (٣) محفوظات وزارة الأوقــاف (٦) محفوظات الأزهر (٧) محفوظات القصر الجمهوري (أرشيف عابدين) على أن تكون هذه المحفوظات نواة لمجموعات دار الوثائق القومية ، وكانت هذه أول خطوة لإنشاء دار الوثائق القومية بالقاهرة .

وأهــم مــا يــوجد فــي حوزة دار الوثائق القومية بالقاهرة الآن هي المجموعات التالية :

أولاً : مجموعة وثائق الأزهر :

تأتـــي هـــذه المجموعة في مقدمة وثائق الأزهر من حيث الأهمية [٥] ، وهي عبارة عن وديعة أرشيفية تضم عدة وحدات أرشيفية ، عن أروقة الأزهر وحاراته وسجلات مجلس إدارة الأزهر منذ إنشائه سنة ١٣١٢هـ (١٨٩٥م) وســـجلات المجلس الأعلى للأزهر منذ إنشائه في سنة ١٣٢٩هـ (١٩١١م) ودفاتــر القـــرارات والمنـــشورات الخاصة بمجلس النظار ونظارات الداخلية والحقانـــية والأشغال والمعارف وديوان عموم الأوقاف ودفاتر الكوبيا الخاصة بـــصور المكاتـــبات الـــصادرة عن الأزهر إلى الجهات المختلفة ، ومجموعة المحـــافظ المحتوية على ملفات خاصة بأنشطة مجلس إدارة الأزهر والمجلس الأعلى للأزهر .

وتنتمـــي هذه الوديعة الأرشيفية زمنياً – بكافة وحداتها – إلى النصف الثاني من القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين .

وكانـــت هذه المجموعة في حوزة الأزهر حتى عام ١٩٦٥م ، وفي تلك الـــسنة قـــام قـــسم الجمـــع والتسجيل بدار الوثائق القومية بالقاهرة بجمعها وتسجيلها ، ثم أتم نقلها إلى دار الوثائق عام ١٩٧٠م .

وســـجلات الأزهـــر بها معلومات تهم الباحث والمؤرخ في نظام التعليم بالأزهـــر ونظـــام الـــسكن بالأروقة وجرايات (مرتبات) المجاورين من الخبز

---

(٥) توجد بالإضافة إلى مجموعة دار الوثائق القومية مجموعات أخرى تخص الأزهر أي تحتوي على وثائق خاصة بتاريخ الأزهر وأهمها حتى الآن (١٩٧٨م) :

١- مجموعة مصلحة التوثيق والشهر العقاري بالقاهرة .
٢- مجموعة أرشيف وزارة الأوقاف المصرية .
٣- مجموعة المكتبة الأزهرية .
٤- مجموعة مخطوطات الأزهر بمبنى تكية أبي الذهب .

والـــنقود ، فـــي القـــرنين الأخيرين قبل قانون تطوير الأزهر (سنة ١٩٦١م) وتـــوجد بهـــا معلومات عن إيرادات أوقاف الأروقة ، ومعلومات تاريخية عن أصل بدل الكسوة الذي كان يتقاضاه بعض علماء الأزهر من الروزنامه كل عام ، ومعلومات عن أماكن الدراسة ومواعيدها والأماكن التي كانت ملحقة بالأزهر .

كمـــا أن سجلات الأزهر (وخاصة سجلات الأروقة) تلقي الضوء على دور الأزهر في العالم الإسلام ي ، فهي تعطي الباحث كثيراً من قوائم العلماء و الطلـــبة الـــوافدين إلى الأزهر من جنسيات عديدة : أتراك ومغاربة وشوام وحجازيين وعراقيين وسودانيين وهنود ويمنيين وأندونيسيين وغيرهم .

سجلات مجلس إدارة الأزهر :

كمـــا أنهـــا تعطي الباحث مادة علمية غزيرة عن الحركة التي دبت في الأزهـــر بعـــد إنـــشاء مجلس إدارة الأزهر في عام ١٣١٢هـــ بعضوية الشيخ محمـــد عبده وصديقه الشيخ عبد الكريم سلمان والشيخ سليم البشري والشيخ يوسف النابلسي ورئاسة شيخ الأزهر حسونة النواوي .

وكـــان هـــذا المجلـــس بدايـــة عهـــد جديد للأزهر بعد أن قامت قيامة الأزهريين على المرحوم الشيخ محمد الإمبابي شيخ الأزهر يومئذ (١٣٠٤ - ١٣١٢ هـــــ) ورفعـــوا العرائض إلى الخديوي مفعمة بأن شيخهم عاجز عن إدارة شـــئونهم ، وأنه خص أهل مذهبه الشافعية بخيرات الأزهر ، وأنه قصر علـــيهم كـــساوي التـــشريف على غير إنصاف بين أهل مذهبه وبين بقية أهل المذاهب .

وما زالوا كذلك حتى أوقف الجناب العالي صدور الأوامر العالية بالإنعام علـــى من اختارهم الشيخ وخصهم بتلك الكساوي التشريفية ، وبقيت الكساوي

موقـــوفة إلى أن تغيرت الحال . وغير ذلك من الطعون التي طالبوا فيها بتغيير الأوضاع .

فصدر الأمر العالي في الثامن من شهر جمادى الثانية سنة ١٣١٢هـــ =(١٨٩٥م) بتعيين الشيخ حسونة النواوي وكيلا للأزهر لإدارة شئونه حتى يتقـــرر أمر جديد ، ثم لم يمض إلا أقل من شهر حتى صدر أمر عال بتشكيل مجلس إدارة الأزهر وذلك في ٧ من رجب سنة ١٣١٢ هـــ من كل من :

الـــشيخ محمـــد عـــبده . والـــشيخ عبد الكريم سلمان .والشيخ حسن المرصـــفي الشافعي .والشيخ سليم البشري المالكي . والشيخ يوسف النابلسي الحنبلي .

وكـــان أول اجتماع لمجلس إدارة الأزهر في ١٦ من رجب سنة ١٣١٢هـــ (١٢من يناير سنة ١٨٩٥م) .

ثـــم صـــدر الأمـــر العالي بتولية الشيخ حسونة شيخا للأزهر ورئيسا لمجلـــس إدارتـــه في الثاني من شهر محرم سنة ١٣١٣ هـــ . بعد أن نصح العقلاء الشيخ الإنبابي بأن يقدم استقالته من منصبه فقدمها بعد تردد طويل.

وأهـــم ما في سجلات إدارة الأزهر وضع قانون لتطوير نظام الامتحان بالأزهـــر ، ذلـــك الـــنظام الـــذي ظل يتعثر منذ وضع عام ١٨٧٢م في عصر إســـماعيل على عهد الشيخ محمد المهدي العباسي شيخ الأزهر يومئذ ، فعلى الـــرغم من صدور قانون الامتحان منذ ذلك التاريخ ، إلا أنه لم يصبح وسيلة لتـــشجيع العلمـــاء الشبان بقدر ما أصبح وسيلة للتعويق ، فما من شيخ تولى مشيخة الأزهر منذ عهد الشيخ العباسي حتى عهد الشيخ حسونة النواوي زاد فـــي عدد من يمتحنون في كل عام على ستة طلاب ، وفي بعض السنوات كان العدد الذي يدخل لنيل الشهادة العالية من الأزهر لا يتجاوز أربعة طلاب والذين كـــان يساعدهم الحظ ، ويدخلون الامتحان كانوا لا يصلون إلا بعناية الراجين

وإلحـــاح الملحـــين ، ولـــم يكن للدور ولا للأقدمية ولا للذكاء ولا للشهرة في التحـــصيل مـــدخل فـــي نيل الحق ، بل كان السلطان القوي هو شفاعة هؤلاء الشفعاء الذين لا يشفعون إلا للغني وإن كان غبياً ، ويضيعون حق الفقير وإن كان ذكياً .

وبـــذلك ترك في قلم كتاب الأزهر عرائض لطلب الامتحان لا تحصى ، ويـــئس مقدمـــوها من إجابتهم ففترت عزيمتهم عن التحصيل وانقطع معظمهم عـــن المجـــيء إلى الأزهر وتعدى هذا اليأس إلى من يليهم من الزمن فجفت آمالهم وعلموا أن الدور إن وصل إليهم فإنما يصل بعد الهرم وكان ذلك ظاهراً للعيان .

وقـــد تدارك مجلس إدارة الأزهر بزعامة الشيخ محمد عبده هذا الأمر وأعـــاد إلـــى الطـــلاب آمالهم فقرر تصفية هذه التلال المتراكمة من العرائض ليـــتحقق وجـــود أصحابها فأعلن للجميع بأن الامتحان سيكون على غير تلك القاعدة السداسية أو الرباعية وصدر الأمر بذلك في سنة ١٣١٤هـ .

ويذكـــر لـــنا الشيخ عبد الكريم سلمان عضو مجلس إدارة الأزهر بياناً بعدد من امتحنوا في السنوات التالية لصدور هذا القانون فيقول :

"سنة ١٣١٥هـ امتحن فيها ٢٩ طالباً نجح منهم ١٨ ورسب ١١ .

وســـنة ١٣١٦هـ امتحن فيها ٢٨ طالباً نجح منهم ١٣ ورسب منهم ١٥ .

وسنة ١٣١٧هـ امتحن فيها ٢٠ طالباً نجح منهم ١١ ورسب ٩ .

وسنة ١٣١٨هـ امتحن فيها ٢٥ طالباً نجح منهم ١٦ طالبا ورسب ٩ طلاب .

وســـنة ١٣١٩هـ امتحن فيها ٣٧ طالباً نجح منهم ٢٣طالبا ورسب ١٤ طالبا .

وسنة ١٣٢٠هـ امتحن ٣٩ طالباً نجح منهم ١٧ طالبا ورسب ٢٢ طالبا .

وسنة ١٣٢١هـ امتحن فيها ٩٥ طالباً نجح منهم ٣٤ طالبا ورسب ٦١ طالبا .

وفي سنة ١٣٢٢هـ امتحن فيها ٦٨ طالباً نجح منهم ٣٤ طالبا ورسب ٣٤ طالباً (٦) .

ومن هذا البيان يتضح لنا مدى تأثير القانون الذي أصدره مجلس إدارة الأزهر والذي وضعه الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده ويوجد مدوناً في سجلات مجلس إدارة الأزهر المحفوظة ضمن الوديعة الأرشيفية للأزهر بدار الوثائق القومية (٧) .

وكان من أهم ما بحثه المجلس أيضا قانون المرتبات وضبطها وهي الأمر الذي شكا منه الأزهريون مر الشكوى لأن المرتبات كانت توزع بالمحسوبية وليس بالكفاءة ، وخاصة أن نظارة المالية طلبت من الأزهر أن يقرر درجات العلماء ، ويحدد المرتب لكل درجة منها ، فبدأ المجلس في وضع أول قانون للمرتبات في الأزهر .

وقرر مجلس إدارة الأزهر إلحاق التعليم في الجامع الأحمدي بالأزهر ، وإلحاق التعليم في المسجد الدسوقي ودمياط بالأزهر ، وكذلك تم إلحاق التعليم في الإسكندرية بالأزهر بعد أخذ ورد من علماء الإسكندرية ، وقرر المجلس تعيين الشيخ محمود باشا شيخا لعلماء الإسكندرية ، وتعيين أخيه الشيخ أحمد

---

(٦) انظر هذا البيان الذي كتبه الشيخ عبد الكريم سلمان عن إنجازات مجلس إدارة الأزهر في كتاب الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده ، ج١ ، ص٤٤٠-٤٤٢ .

(٧) انظر سجل رقم /١ لسنة ١٣١٢هـ من سجلات محاضر مجلس إدارة الأزهر ، وهذه السجلات عبارة عن ١٧ سجلاً تنتهي بتاريخ سنة ١٣٤٩هـ (١٩٣٠م) .

باشـــا وكـــيلا له ، وذلك لما لوالدهم المرحوم الشيخ إبراهيم باشا من المنزلة الرفيعة بين علماء الإسكندرية ،وعراقة بيتهم في العلم .

وصـــفوة القول أن سجلات مجلس إدارة الأزهر تحتوي على فترة من أهم فترات تطوير الأزهر وبداية دخول الأنظمة الحديثة به ولا غنى عنها لمن يتناول تاريخ الأزهر في تلك الفترة وما تلاها من فترات .

سجلات المجلس الأعلى للأزهر :

هذه السجلات كانت مخصصة لتسجيل محاضر المجلس الأعلى للأزهر وهــو المجلس الذي تشكل بموجب القانون رقم ١٠ لسنة ١٩١١ وكان انعقاد هــذا المجلس لأول مرة بدار مشيخة الأزهر برئاسة الشيخ سليم البشري شيخ الأزهر وعضوية :

١) الــشيخ بكري عاشور الصدفي مفتي الديار المصرية وشيخ السادة الحنفية .

٢) الشيخ سلمان العبد شيخ السادة الشافعية .

٣) الشيخ هارون عبد الرازق نائب السادة المالكية .

٤) الشيخ أحمد البسيوني شيخ السادة الحنابلة .

وكـــان هـــناك بعـــض أعضاء من خارج الأزهر في المجلس لمتابعة سير الدراسة في المواد الحديثة وكذلك متابعة النظم الحديثة التي أدخلت بالأزهر ، وهؤلاء الأعضاء هم :

١) أحمـــد فتحي زغلول باشا وكيل الحقانية . وإسماعيل صدقي باشا وكـــيل الداخلـــية . وأحمـــد ذهني باشا الذي كان ناظراً لمدرسة المهـــندس خانـــة . وأحمـــد شـــفيق باشـــا مدير عموم الأوقاف المصرية.

(انظــر نــص الإرادة السنية الخاصة بتعيين بعض الأعضاء من خارج الأزهر في المجلس الأعلى للأزهر ، سجل رقم /١ من سجلات المجلس الأعلى للأزهر ص٤) .

ولقــد قام المجلس الأعلى للأزهر بعدة نشاطات لتوطيد دعائم التطوير بالأزهر كان على رأسها اللوائح الآتية :

١ــ مشروع لائحة التقاعد وأولاد العلماء (قرار رقم ٣٠ لسنة ١٩١١م) .٢

٢ــــ مــشروع لائحة كساوي التشريف الخاصة بالعلماء (قرار رقم ٣١ لسنة ١٩١١م)

٣ــ مشروع لائحة الكتاتيب الملحقة بالأزهر (قرار رقم ٣٢ لسنة ١٩١١م) .

٤ــــ مــشروع لائحة الميزانية الخاصة بالجامع الأزهر (قرار رقم ٣٣ لسنة ١٩١١م) . ٥ــ تأليف لجنة لفحص الكتب التي تؤلف حديثاً بالأزهر (قرار رقم ٣٤ لسنة ١٩١١م)

٦ــ إعداد مشروع للعلوم التي تدرس للمكفوفين بالأزهر (قرار رقم ٢٩ لسنة ١٩١١م) .

٧ــ تأليف لجنة لفحص حجج الأوقاف واستبدال الجرايات (قرار رقم ٢٨ لسنة ١٩١١م) .

إلى غير ذلك من الأنشطة التي قام بها المجلس الأعلى للأزهر في شتى مـــيادين الـــنظم الحديـــثة التي نقل الأزهر بها من مجرد حلقات بداخل الأزهر تقليدية إلى دراسة عميقة منظمة لها قوانين ونظم ثابتة وألحق بالأزهر بعض المدارس القريبة من الأزهر لإلقاء الدروس بها .

وتـــوجد مجمـــوعة لمحاضر المجلس الأعلى للأزهر مطبوعة بمطبعة النهــضة والإصـــلاح بالقاهـــرة في حوزة دار الوثائق القومية وهي محاضر

ســنوات مــن ١٩١١-١٩٢٠ عبارة عن ٣٢ جزءاً تشتمل على محاضر نحو عشر سنوات من عمر المجلس الأعلى للأزهر .

ويلاحــظ أن لجــنة الجمع والتسجيل بدار الوثائق قد خلطت بين هذين النوعــين مــن السجلات (سجلات المجلس الأعلى للأزهر– وسجلات مجلس إدارة الأزهــر) ولــم تفــرق بينهما وأطلقت على كلا النوعين اسماً واحداً في بطاقاتها الملصقة على السجلات وهو : "سجلات المجلس الأعلى للأزهر" وذلك على الرغم من وجود تذكرة ملصقة بمعرفة الكاتب الأصلي لكلا النوعين ، تدل علـــى التفريق بين هذين النوعين من السجلات وتاريخ تسجيلها ، فضلاً على أن محــتوى تلك السجلات يدل بما لا يدع مجالاً للشك على أن بعضها لمجلس إدارة الأزهــر والــبعض الآخر للمجلس الأعلى للأزهر وذلك ما بيناه بوضوح سابقاً .

وممـــا هــو جديــر بالذكر أنني نبهت على القائمين على هذه الوثائق بضرورة إصلاح هذا الخطأ ، الذي يوقع الباحثين في لبس شديد ، وذلك أثناء قيامي ببعض الأبحاث العلمية التي تعتمد على وثائق الأزهر (٨) .

المحافظ :

وأخيراً توجد مجموعة من المحافظ التي تحتوي على ملفات غير مرتبة ترتيباً زمنياً وهي عبارة عن ٧٢ محفظة بها مذكرات وتقارير لجان ومشاريع لميــزانية الأزهر ، بعضها مطبوع بالبالوظة والبعض الآخر بمطبعة الحروف وكانــت تعد للعرض على المجلس الأعلى للأزهر ومجلس إدارة الأزهر وهي تبدأ من سنة ١٩١٢م إلى سنة ١٩٤٨م وهذه المحافظ غير مرقمة حتى الآن .

---

(٨) توجد نماذج لوثائق الأزهر في ملحق الوثائق .

ولعل من المفيد أن نذكر أن المتصفح لمحافظ الحجج الشرعية ، وملفات العلية السنية ، وتقارير النظر ، وغيرها بدار الوثائق القومية بالقاهرة يجد بها بعض الوثائق التي تهم الباحث في تاريخ الأزهر .

مجموعة وزارة الأوقاف :

مجموعة وثائق وزارة الأوقاف الخاصة بالأزهر عبارة عن صور للحجج الشرعية الأصلية التي حررت بمحاكم مصر المختلفة في العصر العثماني ، وعصر أسرة محمد علي ، وهي خاصة بأملاك موقوفة على الأزهر ، وأخرى خاصة بأروقة الأزهر ، وتحتوي هذه الحجج على معلومات دقيقة ، خاصة بتحديد أماكن الوقف تحديداً دقيقاً وأسباب وأغراض الوقف ووجوه صرف ريعه (أي دخله) وهي مفيدة للباحث في مجال موارد الأزهر الاقتصادية ومصارفه .

وتمتاز هذه المجموعة من الحجج ، بوضوح خطها وسهولة قراءته ويستطيع الباحث أن يصل إلى مطلوبه منها في وقت وجيز لا يقارن بالوقت الذي يعانيه في فك خطوط سجلات المحاكم المودعة بمصلحة التوثيق والشهر العقاري السالفة .

ويضم أرشيف وزارة الأوقاف وثائق أوقاف أسرة محمد علي وفيما يلي بيانها : ١ـ وقف محمد علي باشا الكبير ــــــــ ٢٨٣ وثيقة

٢ـ وقف الأميرة زبيدة هانم ــــــــ ٧

٣ـ وقف الأميرة زبيدة هانم بشارة ــــــــ ٣

٤ـ وقف محمد سعيد باشا ــــــــ ٣٢

٥ـ وقف إبراهيم باشا (القصر العالي)ــــ ٩٧

٦ـ وقف إسماعيل باشا بإيتاي البارود ــــ ١١٧

٧ــ وقف إسماعيل باشا بالوادي ——— ٣
٨ــ وقف إسماعيل باشا بقنا ——— ٢
٩ــ وقف إسماعيل باشا بحلوان ——— ٨٩
١٠ــ وقف إسماعيل باشا على الشيخ صالح ٣٧
١١ــ وقف الأمير محمود حمدى باشا ——— ٦٦
١٢ــ وقف الأمير إبراهيم حلمى باشا ——— ٢٧
١٣ــ وقف عين الحياة هانم ——— ١٠
١٤ــ وقف بنبا قادن ——— ٧١
١٥ــ وقف خديجة برنجي قادن ——— ٢١
١٦ــ وقف خوشيار قادن على مسجد الشاوي ٢
١٧ــ وقف الست توجهان هانم أفندي ——— ٩
١٨ــ وقف الست جليلة هانم ووالدتها الخيري ٦٠
١٩ــ وقف الست فاطمة برباشه ——— ١٠
٢٠ــ وقف الست أسما هانم حليم ——— ١٤
٢١ــ وقف الست فائقة هانم عزت ——— ١٦
٢٢ــ وقف الست حفيظة هانم الألفية ——— ٣
٢٣ــ وقف رفعت أغا ——— ٣
٢٤ــ وقف نذير أغا ——— ٣
٢٥ــ وقف خليل أغا ——— ٤٦
٢٦ــ وقف مشغل الصناعات النسائية بالإسكندرية ٢
٢٧ــ وقف الست هانم أم خليل ——— ٣
٢٨ــ وقف الست سنية أم محمد ——— ٣
٢٩ــ وقف محمد راتب باشا ——— ٧

وثائق المحكمة الشرعية بالأسكندرية

تضم المحكمة الشرعية بالإسكندرية مجموعه كبيره من الوثائق والسجلات التي تعطي فترة من القرن التاسع عشر منها:-

١-سجل الفرمانات والبراءات والشهادات الديوانية من٢٦ صفر سنه ١٢٧٣

٢-ويحتوي هذا السجل على فرمانات تركية صادره من الباب العالي بانعامات وامتيازات لبعض قناصل الدول الأجنبية بثغر الإسكندرية ، هذا بالإضافة إلى فرمانات صادره من الباب العالي بالموافقة على تعيين قناصل بعض الدول الأجنبية ، مع تحديد مهامهم واختصاصاتهم مع فرمانات صادره من الباب العالي خاصة بتنظيم عمليه التجارة الأجنبية بميناء الإسكندرية وتحديد اختصاصات القناصل التجارية .

كما يحتوي أيضا على دعاوى شرعيه وشهادات زواج وطلاق وصور وقفيات وحصر ميراث وتعيين نقيب الأشراف بثغر الإسكندرية من عهد عباس الأول .

ومن الوثائق المدونة في بعض صفحات السجل:-

١- صورة إشهار إسلام (غزه محرم ١٢٧٦ هـ)

إعلام شرعي حرر في محكمه ثغر الإسكندرية مضمونه-حضرت الحرمة القبطية بنت الميت يوسف اتون القبطي- طايعة مختارة في صحتها وسلامتها ودخلت في دين الإسلام ونطقت بالشهادتين بان قالت اشهد أن لا اله إلا الله وان محمد رسول الله صلى الله عليه

وسـلم واتخذت اسم زينب فسميت به بحضور كل من المكرم محمد بن عيسى وعبد الله العسكري بالضبطية .

٢- صـوره فـرمان مـن ديوان الداخلية (١٣ محرم ١٢٧٤هـ) بتوليه حضره السيد المولى إلى .

٣- صورة فرمان باللغة التركية بتاريخ غرة ذي الحجة سنة ١٢٧٥هـ بشأن تنظيم العلاقات الاقتصادية بين مصر وإنجلترا .

٤- صورة فرمان باللغة التركية صادر في ١٥ رجب سنة ١٢٧٤ بتعيين أحـد الـرهبان باريكـا علـى الأقباط بمصر والإسكندرية وتحديد اختصاصاته .

٥- طلـب مـن دولـة بروسيا بتاريخ غرة ذي القعدة سنة ١٢٨٤ هـ بإقامة مركز تجارى لها بالإسكندرية وتعيين قنصل بالثغر المذكور .

٦- فرمانات تركية بتعيين قناصل لدول (النمسا ــ السويد ــ النرويج ــ فرنـسا ــ أمريكا الشمالية ــ اليونان ــ ألمانيا ــ إيران ــ روسيا في الفترة من ١٢٨٦هـ ــ ١٢٨٩هـ) .

ووثائق وزارة الأوقاف والشهر العقاري بصفة عامة مجال للعديد من الدراسـات في التاريخ الثقافي والديني والاجتماعي والاقتصادي والسياسي ، فالـباحث في تاريخ الأوقاف الإسلامية يجد فيها مادة وفيرة في مجال اهتمام المـسلمين بمؤسـساتهم الثقافـية والدينـية والخيرية ، والباحث في التاريخ الاقتصادي يحصل على كثير من المعلومات الهامة عن النقود ومعاملات البيع والشراء والهبة والرهن وغيرها من المعاملات الإسلامية ، وخاصة في العصر العثماني ، وهي ذات أهمية قصوى لمن يبحث في تاريخ النظام القضائي .

والـــباحث فـــي تاريخ الكتابة العربية وتطور الخط العربي ، يجد فيها نمـــاذج خطية عديدة تفيده في كتابة تاريخ الكتابة العربية ، وهي أخيراً تضع يدنا على مادة علمية وفيرة في مجال الصلات الاجتماعية والأوضاع التاريخية والتـــضامن الاجتماعـــي في المجتمع الإسلامي ، والتضامن الأخوي بين بلاد العالم الإسلامي .

وعلى الرغم من أهمية تلك الوثائق بنوعيها السالفين (الحجج الشرعية وســـجلات المحاكم) إلا أنها مهملة ولا يشرف عليها مختصون في مجال حفظ الوثائـــق وترميمها وتحتاج إلى فهرسة جديدة وحديثة لتسهيل مهمة الباحثين فـــي الاطلاع على ما فيها من ذخائر وكنوز تاريخية ما زالت مجالاً بكراً تلقى الكثيـــر مـــن الـــضوء علـــى فتـــرة العصر العثماني المظلمة (وإن شئت فقل المظلومة) في تاريخ العالم العربي وقد بليت فهارسها الحالية من كثرة التداول كمـــا أنها موضوعة في دار الوثائق على شكل كومة بها الكثير من الحشرات لدرجـــة تضر بها كثيراً . ولعل المقر الجديد لدار الوثائق بساحل روض الفرج يعتني بها أثر من ذلك .

ثانياً : مجموعة وثائق عابدين :

جُمِعَت الوثائق التاريخية بالقصر (الملكي) الجمهوري بعد ثورة يوليو ١٩٥٢م المعـــروف بقـــصر(عابدين) مع المحفوظات الموجودة بالقلعة في دار أطلـــق علـــيها دار الوثائـــق المصرية والمحفوظات التاريخية سنة ١٩٣٣م ، وبذلك اقتصرت محفوظات الدار بادئ ذي بدء على الوثائق التاريخية من بداية حكم محمد علي حتى بداية الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤م .

وقـد حفظت السجلات والوثائق المفردة بتلك الدار بنفس أرقامها التي كانـت تحفـظ بهـا بالقلعـة ، واقتصر عمل دار وثائق عابدين على نسخ أو تلخـيص الـسجلات المتعلقة بالأبحاث والترجمة من التركية إلى العربية ، أما باقـي الـسجلات والوثائـق التـي شـاعت الظروف عدم قيام أبحاث تتعلق بموضـوعاتها ، فقـد بقـيت كما هي لم تمس ، وبذلك يمكن القول أن المادة التاريخـية في الكثير من الوحدات والمجموعات الأرشيفية لا زالت حتى الآن فـي عـالم الغـيب وخاصة التركية منها ، وذلك لعدم معرفة جمهور الباحثين باللغة التركية (العثمانية) [٩] .

وتفيد هذه المجموعات والوحدات الأرشيفية (عابدين) في التعرف على الدور الذي قام به محمد علي وحلفاؤه في القرن التاسع عشر والنصف الأول مـن القـرن العـشرين وتـشتمل علـى سجلات ووثائق الدواوين والإدارات والمجالس الآتية :

١) الديوان العالي أو ديوان الخديوي ، ويختص بالأبنية والسلخانات والـصحة والـروزنامة وبـيت المـال ، والمحاجر والضربخانة ومـصالح الأخـشاب والبريد وديوان المواشي وغيرها ، وهناك صـلة موضـوعية بـين ذلك الديوان وبين ديوان المعية السنية (وهو اسم أطلق على ديوان الوالي أي حاشية الوالي) .

٢) ديـوان الإيرادات ، وبه حسابات كافة المديريات وجزيرة كريت والحجاز والسودان ، وإيراد مدينتي مصر (القاهرة) والإسكندرية والجمارك والمقاطعات والزمامات .

٣) ديوان الجهاد ، وبه الوثائق التي تختص بالشئون العسكرية .

---

(٩) اللغـة التـركية العثمانية هي التي كانت تكتب بحروف عربية حتى عصر الجمهورية التركية ، وذلك تمييزاً لها عن اللغة التركية الحديثة التي تكتب الآن بحروف لاتينية وذلك منذ الانقلاب التركي في عهد مصطفى كمال أتاتورك.

٤) ديـــوان البحـــر (ديـــوان البحرية) ويضم الوثائق الخاصة بإدارة وتنظيم الدونانمة (الأسطول) المصرية في عهد أسرة محمد علي وكل ما يتصل بها من شئون باللغتين العربية والتركية .

٥) ديـــوان المـــدارس ، ويـــتعلق بشئون المدارس في عهد الأسرة العلـــوية والمكتـــبات والمطابع ، وتعتبر مصدر أصيلاً في تاريخ التعليم في عصرها .

٦) ديـــوان الأمور الأفرنكية والتجارة المصرية ، وإليه يرجع النظر في العلاقات الخارجية ومعاملة الأجانب والتجارة .

٧) ديـــوان الفابـــريقات (المـــصانع) وتفيد وثائقة في دراسة تاريخ الصناعة في القرن التاسع عشر .

٨) المجلـــس الخـــصوص (أو المجلـــس المخـــصوص) والمجلس العمومـــي بالقاهـــرة (أو الجمعية العمومية) والمجلس العمومي بالإســـكندرية والـــذي صـــدر أمر محمد علي بإنشائهم في سنة ١٩٤٦م .

٩) وثائـــق مجلس الأحكام ، ومجلس أحكام مصر وهو هيئة قضائية كـــان مـــن اختصاصها محاكمة كبار الموظفين ، وقد خلفت هذه الهيـــئة جمعـــية الحقانية عند إلغائها سنة ١٨٤٩م ، تعتبر هذه الوثائـــق مـــصدراً هامـــاً للدراسات القانونية والقضائية في تلك الفترة ، وهي وثائق منفردة ومضابط (سجلات) .

١٠) سجلات مجالس الأقاليم ، وهي تلك المجالس التي تم إنشاؤها في عـــصر عـــباس الأول ١٨٥١م وهي مجالس قضائية في الأقاليم للفـــصل فـــي القـــضايا الشرعية التي كانت موكولة إلى الكشاف وغيرهم من الموظفين الإداريين .

١١) سجلات ووثائق مجالس الاستئناف (بالقاهرة والجيزة والقليوبية) ومجالس استئناف بحري (منوفية – دقهلية – شرقية – غربية) ومجلس بني سويف (ويختص بقضايا بني سويف والفيوم والمنيا) واستئناف جرجا (أسيوط وجرجا وقنا وإسنا) واستئناف الإسكندرية (إسكندرية والبحيرة) .

١٢) وثائق وسجلات مديريات القطر المصري ومحافظاته في القرن التاسع عشر والتي بلغ عددها ١٥٤٠٧ سجلاً بالإضافة إلى المحافظ وعددها ٢٢٦ محفظة تحتوي كل منها على ٣٠٠ وثيقة.

ثالثاً : مجموعة وثائق السودان :

مجموعة وثائق السودان : كانت تلك المجموعة موجودة في حوزة دار المحفوظات العربية بالقلعة ثم نقلت إلى دار الوثائق – وبقي البعض الآخر هناك في مخزن يطلق عليه مخزن السودان ونقل مؤخرا – وتفيد تلك الوثائق في دراسة تاريخ السودان وأغلبها يتعلق بالجيش المصري بالسودان منذ دخول إسماعيل بن محمد علي عام ١٨٢٠م .

وتفيد مجموعة وثائق السودان في دراسة تاريخ محافظات ومديريات مصوع وسواكن وهرر والتاكا ودنقلة وزيلع وبربر والخرطوم وكردفان وسواحل البحر الأحمر وغيرها من أقاليم السودان وأرتريا .

هذا بالإضافة إلى وجود مجموعة كبيرة من السجلات التي تحوى صور الوثائق الصادرة والواردة إلى عدة أقاليم ومناطق في السودان (باللغة العربية).

وتفيد تلك الوثائق في دراسة تاريخ السودان منذ دخول جيش إسماعيل بـــن محمـــد علـــى السودان عام ١٨٢٠ م ، وخاصة الوثائق المتعلقة بمهمة الحكمداريين والتقارير التي بعث بها هؤلاء إلى حاكم مصر والرسائل المتبادلة بينهم .

ومن الوثائق الهامة المودعة في دار الوثائق القومية ، ما يتعلق بحملة السودان المعروفة بمصطلح (اورطة السودان) .

ومـــن المعـــروف أن أهـــم أسباب حملة السودان مطالبة أهل السودان بإنـــشاء حكومة قوية على يد مصر للقضاء على أسباب الفوضى المنتشرة في بلادهم وتستبدل بها عهدا جديدا من الأمن والنظام والطمأنينة والرخاء .

فدخلت أقاليم النوبة ودار فور وسنار وكردفان في حوزة مصر من سنة ١٨٢٠–حتـــى ســـنة ١٨٢٣م وبدأ منذ هذا التاريخ تأسيس وحدة وادي النيل السياسية كما بدأ من هذا التاريخ بسط الأمن على الوادي بأسره .

ثـــم صدرت عدة فرمانات منها تسوية سنة ١٨٤٠م وسنة ١٨٤١ م والفرمان الصادر في ١٣ فبراير ١٨٤١ والذي أعطى محمد على مدى الحياة حكـــم بـــلاد الـــنوبة وسنار وكردفان ودار فور وجميع ملحقاتها ، وكان هذا الفرمان الوثيقة الأولى التي دعمت حقوق مصر في السيادة في شطري الوادي من تبعيتها للباب العالي وبموافقة الدول .

ومـــن الوثائـــق الهامـــة المـــودعة في دار الوثائق تقارير ومذكرات الحكمداريين الذين كانت مهمتهم تنفيذ سياسة باشا مصر في السودان من حيث اســـتتباب الأمن والسلام في كل ربوعه ورد غارات المغيرين على حدود البلاد وأطرافها البعيدة .

كما تشير إلى التوسع المصري في الجنوب للقضاء على تجارة الرقيق ، وضـــم مديرية خط الاستواء ، وفي الشرق والجنوب الشرقي بضم بوغوص وهرر وزيلع وبربرة ودار فور .

ومن الوثائق الهامة الخاصة بالسودان :

الفرمان الصادر من الباب العالي في ١٨ يوليه ١٨٧٥ م الذي حصلت الخديــوية بمقتضاه على زيلع وكان مرسى زيلع تابعاً للحديدة ، وذلك بعد أن ضمت سواكن ومصوع إليها.

وبعــد الاســتيلاء على زيلع أصبح ساحل البحر الأحمر الأفريقي تحت السيادة المصرية ، كما مهد ذلك إلى فتح سلطنة هرر .

وثائــق الثورة المهدية ١٨٨٠م كما تعتبر وثائق الثورة المهدية من أهم المجموعات الهامة التي تشير إلى ما تعرضت له السودان من أحداث حتى قيام الحكم الثنائي به بعد استرجاعه عام ١٨٩٩/٩٨ م .

كمــا تــضم دار الوثائــق القومية بالقاهرة مجموعة أخرى من سجلات الحسابات التي تصور الحالة المالية في السودان في تلك الفترة ومنها :-

- حسابات سنار وفازوغلى وحسابات قلم مالية السودان

هــذا بالإضافة إلى مجموعة سجلات خاصة بسكك حديد السودان ــ وسجلات الجهادية التي تفيد في دراسة الجوانب المتعددة للشئون العسكرية في السودان .(محمود عباس حموده ، وثائق تاريخ العرب الحديث)

رابعاً : مجموعة وثائق الثورة العرابية :

مـــن الوثائق الهامة التي توجد في حوزة دار الوثائق القومية بالقاهرة هـــي وثائق الثورة العرابية ، وتبين هذه الوثائق بوضوح مدى شدة المقاومة العـــرابية ، ومـــا بذلـــه زعـــيمها أحمد عرابي من جهود لجمع شمل الشعب المـــصري الـــذي كان يرزح تحت وطأة الظلم والاستبداد من أسرة محمد علي وعلـــى رأســـها الخديو توفيق الذي لاذ بالاستعمار الإنجليزي في الإسكندرية وحرضه على احتلال البلاد .

وتـــضم مجمـــوعة مـــن التلغرافات المتبادلة بين عرابي وأنصاره في الجـــيش ومـــن الشعب ، ومراسلات بالشفرة بين قيادة الجيش وعرابي وبين عرابـــي ورجـــال الثورة العربية ، وهي تكشف عن استعداد الشعب المصري للذود عن وطنه بالنفس والمال.

ومحاضـــر لجنة التحقيق بالقاهرة ولجنة تحقيق الأقاليم ، وهي تميط اللـــثام بـــصورة مخـــزية وتـــضح كيف حدث الاتفاق بين الخديو توفيق وبين الإنجليـــز بعـــد حـــريق الاسكندرية في يوليو ١٨٨٢ م ودخولهم الاسكندرية ومقاومـــة العـــربيين ومعهم الشعب المصري وتوضح كيف لعبت الخيانة دورا مأســـاويا فـــي هـــزيمة العرابيين وبدأت تصفية الثورة بكل صنوف الاضطهاد والقـــسوة والظلم على يد لجان التحقيق في القاهرة والأقاليم التي تشبه محاكم التفتـــيش في الأندلس في العصور الوسطى ووجهت إلى الجميع تهم العصيان المسلح ، وعصيان أوامر الخديو توفيق بعدم مقاومة الإنجليز .

وملفـــات قضايا المتهمين بالانتماء للثورة العرابية ، وهي عبارة عن ملفـــات يـــبلغ عـــددها ٤١٧ملفـــا توضح أسماء المتهمين ووظائفهم والتهم الموجهة إليهم .

وتقاريـــر عن حادث ضرب الإسكندرية سنة ١٨٨٢م ، وتقارير عن اجتماعات العرابيين وتتعلق هذه التقارير بما كتبه الأطباء والقناصل عن حالة الجرحـــى والمصابين في حادث ١١ يونيو سنة ١٨٨٢م وأقوال بعض الشهود واستجواب بعض الجنود والموظفين عن الخسائر التي نتجت عن هذا الحادث.

وقـــرارات الجمعـــية العمومية والمجلس العرفي للثورة العرابية وهي خاصـــة بالمجلس الذي عقد بديوان وزارة الداخلية من الوزراء وكبار الضباط والموظفـــين ، والـــذي قـــرر دعـــوة العلماء والأعيان والرؤساء الروحانيين والـــوجهاء لاتخـــاذ ما يلزم من القرارات بالنيابة عن الأمة وظل هذا المجلس يتولـــى ســـلطة الحكـــم خلال الحرب . ووثائق مصادرة أملاك زعماء الثورة العـــرابية ، ومراســـلات بين نظارة الداخلية ومديرية الأمن وبين مأمور سجن العـــصاة (أي العـــرابيين) وسجلات بها قيد أملاك العرابيين مثل أحمد عرابي بالشرقية ومحمود سامي البارودي بالدقهلية وما يتعلق ببيع أملاك العرابيين .

وقرارات لجنة التحقيق واستجواب المتهمين بالانتماء للثورة العرابية ، فقـــد أصـــدر الخديـــو محمد توفيق أمراً بتشكيل لجنة مخصوصة في القاهرة لتحقيق تهمة كل من ارتكب جريمة العصيان أو التعدي على السلطة الخديوية أو إهانـــة الخديـــو ســـواء أكانوا فاعلين أصليين أو شركاء وكانت مهمة هذه اللجنة تقديم المتهمين التي ترى اللجنةَ إدانتهم إلى المحكمة العسكرية ، وكان من اختصاص هذه اللجنة القبض على أي شخص يشتبه في أمره .

وتحـــتوي هذه الوثائق على معلومات خاصة بمصادرة أملاك العرابيين فقـــد شـــكلت لجان لحصر أملاك العرابيين والاستيلاء عليها ولم تترك لهم أية أمـــلاك مـــن عقـــار أو أموال حتى المكتبات التي كان يقتنيها بعض الزعماء صودرت وتم الاستيلاء عليها .

وبهـــا وثائق خاصة بتحديد إقامة الموالين لعرابي في أبعادياتهم مثل : الـــشيخ أحمد المنصوري والقائمقام فرج عبد العال ، والشيخ أحمد المنصوري اتهـــم بالقـــدح الـــشديد فـــي حـــق الحضرة الخديوية وإلقاء الخطب المهيجة والمقـــالات فـــي المجامـــع والمحافل الحكومية التي أفسدت الأذهان والأفكار العمومـــية للدرجـــة التـــي وصـــلت إليها من حالة الاحتلال والتعصب الديني والـــسياسي (وثـــيقة رقم ١٣٧٣ ملف ٢٣٩ محفظة ٩) وبهذا الملف الخاص بالتحقيق مع الشيخ المنصوري كتاب موجه إلى شيخ الجامع الأزهر للاستعلام عن سلوك الشيخ أحمد المنصوري المدرس بالأزهر .

وهـــناك وثـــيقة أخـــرى عـــبارة عـــن ألتماس مقدم من الشيخ أحمد المنـــصوري بـــشأن طلب التصريح له بمغادرة بلدته لمدة محدده للتوجه إلي المحروسة (القاهرة) لإنجاز و تصفية اعماله .

ويـــبلغ عدد ملفات الثورة ٤١٧ ملفا خاصا بالمتهمين بالإنتماء للثورة العـــرابية محفـــوظة في العديد من المحافظ .(محمود عباس حموده ، وثائق تاريخ العرب الحديث)

<u>خامساً : مجموعة وثائق صندوق الدين :</u>

ضـــمت هذه المجموعة إلى دار الوثائق في عام ١٩٦٧م ، وهي عبارة عـــن ســـجلات صـــندوق الدين التي كانت بمبنى صندوق الدين بميدان الأوبرا ومعظمهـــا باللغـــة الفرنـــسية والقلـــيل منها والنادر بالإنجليزية أو العربية ، وتشتمل أعمال صندوق الدين والمبالغ المحصلة لحسابه ، وملفات التعويضات التـــي صـــرفت للأمـــراض والهيـــئات التـــي أصابتها خسائر نتيجة لحوادث بالإسكندرية ١٨٨٢ ، والحسابات العامة لصندوق الدين، ووثائق تحويل الدين الموحد إلى فرض وطني ، هذا بالإضافة إلى مجموعة من المطبوعات الخاصة

وتشتمل أعمال صندوق الدين والمبالغ المحصلة لحسابه ، وملفات التعويضات التـــي صـــرفت للأمـــراض والهيـــئات التـــي أصابتها خسائر نتيجة لحوادث بالإسكندرية ١٨٨٢ ، والحسابات العامة لصندوق الدين، ووثائق تحويل الدين الموحد إلى فرض وطني ، هذا بالإضافة إلى مجموعة من المطبوعات الخاصة بـــصندوق الـــدين والتـــي أودعت بمكتبة دار الوثائق .(انظر: محمود عباس حموده ، وثائق تاريخ العرب الحديث)

سادساً : وثائق قناة السويس :

وهـــي باللغـــة الفرنـــسية وتقع في ٦٨ محفظة وهي خاصة بالشركة العالمـــية لقـــناة الـــسويس البحرية ، وتحتوي على عقود امتيازات حفر قناة الـــسويس واتفاقـــيات بين الحكومة والشركة وإنشاء مدينة بور فؤاد ووثائق تعيين أعضاء مصريين في مجلس إدارة الشركة وإنشاء كوبري الفردان وفنار البحر الأحمر ، وغيرها من وثائق الشركة .

سابعاً : مجموعة وثائق الحجج الشرعية :

التي سبق أن أشرنا إليها .

ثامناً : مجموعة فرمانات وأوامر كريمة :

صادرة من السلطان إلى محمد علي وخلفائه بالتركية (العثمانية) وهناك ملخصات لها بالعربية .

تاسعاً : محافظ وثائق الحجاز :

مجمـــوعة ضـــخمة مـــن الوثائق الخاصة بأعمال بمحمد علي الحربية بالجزيـــرة العربية أطلق عليها مجموعة محافظ الحجاز ، وهي ليست خاصة بالحجـــاز فحـــسب وإنمـــا تضم وثائق عن نجد والخليج العربي ، وأخرى عن

عسير واليمن وهذه المجموعة من المجموعات المعتنى بها في الحفظ والتنظيم بـــدار الوثائق القومية ، وهناك بعض المحافظ والأوزان الخاصة بالحجاز بدار الوثائـــق ، ولم تلحق بهذه المجموعة وذلك مثل بعض محافظ للصرة الشريفة وأخرى خاصة بمرتبات بعض الأشخاص بمكة والمدينة .

عاشراً : وثائق أخرى :

بالإضافة إلى المجموعات السالفة توجد مجموعات أخرى مهمة خاصة بالشام واليمن وأثيوبيا والحملة الفرنسية على مصر (١٧٩٨-١٨٠١م) باللغة الفرنـــسية وفيها بعض الوثائق باللغة العربية مثل بيانات بونابرت إلى الشعب المصري وبيانات الجنرال كليبر وعبد الله جاك منو بعد بونابرت .

وتـــوجد مجمـــوعة مـــن الوثائق الخاصة بالحملة الفرنسية في مكتبة جامعـــة القاهـــرة وهي خاصة ببعض بيانات قواد الحملة وخطابات إلى أمراء المماليك مثل مراد بك ، وخطابات من مراد بك إلى قواد الحملة .

وثائق دار المحفوظات العمومية

تـــوجد بدار المحفوظات القومية مجموعة ضخمة من الوثائق المصرية التـــي تـــرجع إلـــى العصر العثماني وعصر أسرة محمد علي لم يتم حصرها وتنظـــيمها حتـــى الآن ويلاقـــي الباحثون عنتاً ومشقة في سبيل الاطلاع على محـــتوياتها ، وهـــذه الدار من أقدم دور الحفظ في مصر فقد أنشئت في عصر محمـــد علـــي وكان الغرض من إنشائها أن تجمع بها وثائق الدولة في مكان واحـــد حتـــى تـــصان مـــن التلف ويرجع إليها عند الحاجة ، وقد سميت دار المحفـــوظات العمومـــية مـــنذ نشأتها إلى وقتنا الحاضر بعدة تسميات وتقلبت

تبعيتها بين عدة جهات فسميت لأول مرة عند إنشائها سنة ١٢٤٤هـ (١٨٢٩ م) باسم الدفترخانة وهي لفظة فارسية الأصل معناها المكان الذي تحفظ فيه الدفاتر أو دار الدفاتر ثم أصبحت تسمى بعد ذلك أحياناً بالدفترخانة المصرية ، وأحياناً أخرى بدار المحفوظات المصرية ، وأخيرا استقر اسمها إلى اسم : دار المحفوظات العمومية ، وهي تتبع مصلحة الضرائب العقارية التابعة التابعة لوزارة المالية المصرية حاليا ، وتقوم دار الوثائق حاليا بنقل الكثير من محتوياتها المهمة إليها ولكن بطريقة بطيئة .

وأهم ماتحتوي عليه هذه الدار من وثائق هي دفاتر الالتزام في العصر العثماني وهي عبارة عن سجلات مستطيلة بها بيانات بأسماء النواحي أي أراضي الالتزام والأموال المقررة عليها وأسماء الملتزمين بالإضافة إلى دفاتر الترابيع وهي التي وضعها علماء الحملة الفرنسية سنة ١٨٠٠م وبها مساحة لكل ناحية من نواحي الالتزام مقدرة بالفدان وأنواع أرض كل ناحية حسب جودتها والمال الميري المقرر على كل فدان ، وهي مكتوبة باللغة العربية ، ومما هو جدير بالذكر أن أول من اكتشفها في هذه الدار هو زميلنا الدكتور عبد الرحيم عبد الرحمن أستاذ التاريخ الحديث بجامعة الأزهر .

وبهذه الدار أيضا دفاتر الرزق الإحباسية الموقوفة ، هذه الدفاتر تحتوي على معلومات هامة عن الأراضي الموقوفة وفيها تتبع لتاريخ كل رزقة (أي وقف) وأصحاب حق الانتفاع بها ، وأسماء الملتزمين وصور الحجج الشرعية الخاصة بها ، والنزاعات التي دارت حول هذه الأوقاف إلى غير ذلك من المعلومات ذات الأهمية القصوى لمن يتعرض لتاريخ الأوقاف المصرية وما يتعلق بها من نواحي اجتماعية ودينية واقتصادية إبان العصر العثماني .

وهناك دفاتر خاصة بمرتبات موظفي الإدارة المركزية والمحلية وغيرهم من الموظفين والتي يطلق عليها دفاتر خدمة الديوان العربية ، وهناك

أيضاً دفاتر الجسور الخاصة بالجسور التي وجدت بمصر البلدية منها والسلطانية وبها معلومات كافية عن هذه الجسور طولها وعرضها وعدد فتحاتها وارتفاعها وغير ذلك من المعلومات وثمة وثائق خاصة بمضابط محاكم الأقاليم التي تحتوي على تسجيل وقائع المحاكم في الريف وأهمها مضابط محاكم المنصورة والإسكندرية ورشيد ودمياط [١٠] .

مجموعة وزارة الأوقاف المصرية :

هذه المجموعة عبارة عن صور للحجج الشرعية الأصلية للأوقاف المصرية المختلفة التي أوقفها أهل البر والخير من الحكام والأمراء والأعيان وحررت بمحاكم مصر المختلفة في العصرين المملوكي والعثماني ، وتحتوي هذه الحجج على معلومات دقيقة خاصة بتحديد أماكن الوقف تحديداً دقيقاً والدوافع التي دفعت أصحابه إلى وقفه وأغراض هذا الوقف والوجوه التي يصرف ريعه فيها وهي على جانب كبير من الأهمية للباحثين في تاريخ التعليم في الأزهر وغيره من المدارس إبان العصر العثماني .

ووثائق وزارة الأوقاف مجال للعديد من الدراسات في التاريخ الثقافي والديني والاجتماعي والاقتصادي والسياسي ، فالباحث في تاريخ الأوقاف الإسلامية يجد فيها مادة وغيرها في مجال اهتمام المسلمين بمؤسساتهم الثقافية والدينية والخيرية والباحث في التاريخ الاقتصادي يحصل علي كثير من المعلومات الهامة عن النقود ومعاملات البيع والشراء والهبة والرهن وغيرها من المعاملات الإسلامية خاصة في العصر العثماني ، وهي ذات أهمية قصوى لمن يبحث في تاريخ النظام القضائي ، والباحث في تاريخ الكتابة

---

(١٠) انظر محتويات دار المحفوظات العمومية في بحث للدكتور محمود عباس حمودة قدمه إلى ندوة وثائق تاريخ العرب الحديث والمعاصر (جامعة عين شمس مايو ١٩٧٧م ، وانظر أيضاً : د. عبد الرحيم عبد الرحمن ، الريف المصري في القرن ١٨ ، ص٢٩٩-٣٠١ .

العـربية وتطور الخط العربي يجد فيها نمازج خطية عديدة ، وهي أخيرا تضع يدنا على مادة علمية وفيرة في مجال الصالات الاجتماعية والأوضاع التاريخية والتـضامن الاجتماعـي في المجتمع الإسلامي ، والتضامن الأخوي بين بلاد العالم الإسلامي .

وثائق دير سانت كاترين :

دير سانت كاترين هو أحد الأديرة القديمة في مصر بشبه جزيرة سيناء ، وقد بناه الإمبراطور جستنيان في فترة حكمه ما بين سنتي(٥٢٧ ــ ٥٦٥م) علـي الطراز البيزنطي ، وعلي شكل قلعة من قلاع العصور الوسطي ، ليتفرغ به الرهبان لعبادتهم في مأمن من العربان الذين كانوا يتعرضون لهم قبل بناء الدير .

ويحـتوي هـذا الدير علي مجموعة هامة من المخطوطات والوثائق والأواني والكنوس والتيجان والصلبان المصنوعة من الذهب المطعم بالأحجار الكريمة ، ومجموعة من الإيقونات التي لا يوجد لها مثيل في العالم التي تمثل (صور القديسين والمسيح وأمه).

والذي يعنينا من هذه الأشياء الوثائق ، وهي التي تتعلق بتنظيم الدير والمقيمـين فيه وعلاقتهم بالحكومات المتعاقبة والعلاقة بينهم وبين جيرانهم ، وأهمها عهود نبوية وفرمانات عثمانية ، وعهود ومراسيم أخرى ، ومعاهدات وحجـج وفتاوى شرعية ، وأوامر صادرة من الحكام ، وهذه الوثائق تفيد في العلاقـات بـين أهل الذمة والمسلمين في مصر ، مما يقف دليلا على سماحة الإسلام في ترك هذه الجيوب المسيحية تعيش في أمان وسط المحيط الإسلام ي ومـنحها ضـمانات وامتـيازات ، وما لقي رهبانهم وأساقفتهم من تسامح وحماية ورعاية واحترام في ظل الإسلام .

وهــذه الوثائـــق ترجع إلى عهود مختلفة من وقت بناء الدير في عصر جستنيان (٥٢٧ ــ ٥٦٥م) حتى العصر الحديث [١١] .

وتــضم مكتبة الدير ٣٣٣١ مخطوطاً دونت فيما بين القرنين ٦-١٩م ومكتوبة بإحدى عشر لغة : العربية والسريانية والحبشة واليونانية والفارسية والــسلافية ، والأرمينية والجورجيانية واللاتينية والبولندية ، والجانب الأعظم منها في اللاهوت ، والباقي فلسفة وفلك وفي الرياضيات والموسيقى والتاريخ ، والجغرافيا والطب والقانون.

وتــضم مـــن الوثائق ١٧٤٢ وثيقة منها ١٠٧٢ وثيقة باللغة العربية ونحـــو ٧٧٠ وثــيقة باللغــة التــركية ، وتتضمن مراسيم وعهود وفرمانات ومنشورات ومعاهدات وفتاوى ومحاضر وحجج وأوامر إدارية ... إلخ .

وتشتمل تلك الوثائق مختلف مراحل التاريخ : القديم ، عصور وسطى ، عــصور حديــثة ، ويبدأ الجزء الأخير بالغزو العثماني لمصر في أوائل القرن السادس عشر وينتهي بالقرن التاسع عشر .

والمجموعة الحديثة : مقسمة إلى قسمين :

القسم الأول : عبارة عن فرمانات من العصر العثماني وتحمل أرقام من ١٢٥ إلى ١٩٩ .

القسم الثاني : عبارة عن معاهدات وتحمل أرقام من ٢٠٠ – ٢٦٦.

وتــوجد نسخة كاملة من هذه الوثائق مصورة (بالميكروفيلم) بالمجلس الأعلى للفنون والآداب وصورة أخرى من تلك الوثائق محفوظة بمكتبة جامعة الإسكندرية بجانب (ميكروفيلم) للمخطوطات العربية والتركية ، وقد وفدت بعثة

---

(١١) انظر : د. محمود عباس حمودة ، الوثائق العربية الخاصة بمصر في القرن ١٩ ، من أبحاث ندوة وثائق تاريخ العرب الحديث ، جامعة عين شمس (مايو ١٩٧٧م) .

أمـــريكية واســـتطاعت أن تصور جميع الوثائق المحفوظة بمكتبة الدير وكذلك نحو نصف المخطوطات في عام ١٩٥٠م بالتعاون مع جامعة الإسكندرية ، كما قامـــت جامعـــة الإســـكندرية في عام ١٩٦٣م بالاشتراك مع جامعتي متشجان وبرنـــستون بالـــولايات المـــتحدة الأمـــريكية ببعض الدراسات الأثرية والفنية لمحتويات دير سانت كاترين [١٢] .

خامسا : ــ محفوظات الحياة النيابية:

وهـــذه المحفوظات موجودة في مكتبة مجلس الشعب حاليا ، ومجلس الأمـــة سابقا . وبها سجلات محاضر جلسات المجالس النيابية في مصر ابتداء من مجلس شورى النواب الذي أنشئ في عهد الخديو إسماعيل سنة ١٨٦٦ م حتى مجلس الشعب الحالي ٢٠٠٤ م

وقـــد قمـــت أثـــناء تحضيري لدرجة الماجستير بالاطلاع على محاضر مجلس شورى النواب في الفترة من ١٨٦٦ حتى ١٨٧٩ م .

وهذه الوثائق عبارة عن محاضر جلسات مجلس شورى النواب ، وهو أول مجلـــس نيابـــي أنشئ في مصر، توجد بأربعة سجلات كبيرة على النحو التالي :

الـــسجل الأول : تحت رقم ٢٩١ وبه محاضر جلسات الدورين الأولين من الهيئة النيابية الأولى لعامي ١٢٨٣،١٢٨٤هـــ .

الـــسجل الثاني : تحت رقم ٢٩٢ وبه محاضر جلسات الدور الثالث من الهيئة النيابية الأولى بتاريخ ١٢٨٥هـــ .

---

(١٢) انظـــر : د. محمـــد محمـــود السروجي ، وثائق دير سانت كاترين بسيناء ، من أبحاث ندوة وثائق تاريخ العرب الحديث ، جامعة عين شمس (مايو ١٩٧٧م) .

الـــسجل الثالث : تحت رقم ٢٩٩ ويشتمل على محاضر جلسات الهيئة النيابية الثانية كلها من سنة ١٢٨٦-١٢٩٠هـــ .

السجل الرابع : تحت رقم ٣٠٧ ويشتمل على محاضر جلسات المجلس إبـــان الهيئة النيابية الثالثة من سنة ١٢٩٣-١٢٩٦هـــ = ١٨٧٦-١٨٧٩م ، وهذا السجل أهم السجلات نظرا لأن به محاضر جلسات أدوار النهضة النيابية عندما ارتفع صوت النواب بالمعارضة في المجلس .

التعريف بها:

وهذه المحاضر توجد بأكملها في مكتبة مجلس الشعب بخطها الأصلي وفي حالة جيدة ، وهذه المحاضر عبارة عن تسجيل لآراء أعضاء المجلس في المواضـــيع التي عرضت على بساط البحث ، وبها خطب العرش لوإلى مصر ، وردود المجلـــس علـــيها في كل دورة من أدوار انعقاد المجلس العادية وغير العادية .

وهـــذه المحاضـــر ذات قـــيمة كبيرة لكل باحث في تاريخ تطور الوعي النيابـــي فـــي مصر نظراً لأنها تمثل التأريخ لمرحلة حاسمة من نضال الشعب المصري ضد حكامه المستبدين ، حيث يتعرف القارئ من خلال هذه المحاضر كـــيف نمى الوعي النيابي في مجلس شورى النواب للدفاع عن حقوق الشعب المصري .

كمـــا أنها من ناحية أخرى ذات قيمة لغوية كبيرة لمن يبحث في تاريخ تطـــور اللغة العربية والكتابة العربية ، فطريقة الكتابة لا يتعرف الباحث عليها لأول مـــرة إلا بـــصعوبة بالغـــة فحرف الهمزة لا وجود له مطلقاً في الكتابة ، وحروف الجر غالباً ما تدمج في أول الكلمة بحيث يصعب على القارئ التعرف على معنى الكلمة إلا بعد ممارسة طويلة وذلك مثل إدماج حرف (على) في اسم الإشارة (ذلك) فتكتب هكذا (عليذلك) وإدماج خرف الجر (في) في اسم الإشارة

(ذلــك) هكــذا (فــيذلك) ، وإدمـــاج حرف (على) في كلمة (واقع) فتكتب هكذا (علـــيواقع) ، وإدمـــاج الحـــرف (من) في كلمة (مدة) فتكتب هكذا (منمدة) ، وإدمـــاج حـــرف (إن) في فعل (كان) فتكتب هكذا (إنكان) وغير ذلك من طرق الكتابة التي لا وجود لها في الكتابة العربية الآن .

ورغــم أن هذه المحاضر موجودة الآن في مكتبة مجلس الشعب إلا أن الوصول إليها دونه كل صعب ، كأنها سر من أسرار الدولة ، وقد كان وصولي إلـــيها عن طريق المعارف وأهل الخير ممن يتعاطفون مع طالب العلم ، وكانت هــذه المحاضـــر تنشر في جريدة الوقائع المصرية في ما بين سنتي ١٨٦٦-١٨٨٢م .

ومما يؤسف له أن هذا التراث من تاريخ بداية الحياة النيابية في مصر لم يطبع بعد ومازال مخطوطاً إلى الآن ، ولعل في مستقبل الأيام ما يتيح لغيرنا الفرصـــة لإخراجه من الظلام الذي يعانيه حتى نتعرف على تاريخ نشأة الحياة النيابية في مصر وموقف أسلافنا في بداية حياتهم الديمقراطية .

ثانياً : المطبوعات :

يأتي في مقدمة المطبوعات الوثائق الرسمية التي نشرها الأستاذ محمد خلـــيل صـــبحي فـــي كتابه :"تاريخ الحياة النيابية في مصر من سنة ١٨٢٤-١٩٣٨م ، وعلـــى الـــرغم مـــن أن اسم الكتاب يوهم من أول مرة بأنه تاريخ للحياة النيابية ، إلا أنه في الواقع ليس تاريخاً لها وإنما هو عبارة عن الوثائق الخاصـــة بمجمـــوعة اللوائح والدساتير والقوانين النظامية وقوانين الانتخاب واللوائح الداخلية ، وأسماء أعضاء المجالس النيابية في هذه الفترة .

ولقد يكون غريباً أن يُؤَلَّف من كتاب ما الجزء الخامس والسادس فقط ، ولكـــن الأســـتاذ محمد خليل صبحي رحمه الله كان قد عقد العزم على تأليف

كـــتاب في تاريخ الحياة النيابية في المدة المذكورة فقام بجمع الوثائق الخاصة بها وأخرجها في مجلدين هما الخامس والسادس ولم تسعفه ظروف حياته في إخـــراج الأجزاء الأولى من الكتاب التي وعد بكتابتها عن تاريخ الحياة النيابية في مصر .

وقـــد اســـتعنت بهـــذه الوثائق القيمة فيما يختص باللوائح والدساتير والقوانـــين النظامية وقوانين الانتخاب ، وفيما يختص بأسماء أعضاء مجلس شورى النواب وما إلى ذلك من الفوائد الجمة التي يجدها الباحث ميسرة أمامه في هذا الكتاب التي قامت بطبعه دار الكتب المصرية بالقاهرة سنة ١٩٣٩م في طبعة لم تتكرر بعد .

الصحف الوطنية :

ولقـــد رجعت إلى الصحف الوطنية وخاصة جريدتي (مصر) و(التجارة) لمحـــررهما أديـــب اسحق ، ويوجد بهاتين الجريدتين مادة علمية موفورة لكل باحـــث في تاريخ تطور الوعي السياسي في مصر في هذه الفترة وخاصة أن الجريدتين كانتا منبراً حراً للسيد جمال الدين الأفغاني وتلاميذه : الشيخ محمد عبده ، وسعد زغلول ، وأديب اسحق ، الذين كانوا يكتبوا مقالات جريئة قل أن تـــوجد فـــي أي جريدة مصرية ، وقد أشرنا إلى بعض هذه المقالات التي كان يحررها الحكيم الأفغاني وتلميذه أديب اسحق المحرر الجريء في الفصل الثالث من هذا البحث .

وجـــريدة (الـــوطن) لـــرئيس تحريرها ميخائيل أفندي عبد السيد وهي جـــريدة وطنية سياسية ولهجتها حرة وكانت منبراً أيضاً لتلاميذ الأفغاني أمثال الـــشيخ علـــى الليثي والشيخ محمد عبده وغيرهما وأغلب هذه الجرائد كانت موجـــودة بدار الوثائق بالقلعة ثم نقلت مؤخراً إلى دار الوثائق الجديدة بساحل

روض الفرج ، والمؤسف أن هذه الجرائد كاد بعضها يبلى من كثرة الاستعمال وليست هناك جهود لصيانة هذا التراث أو تصويره كما تفعل الدول المتحضرة وخاصـــة أن هــذه الجــرائد والمجلات تمثل المرحلة الأولى من تاريخ إصدار الجــرائد والمجــلات وهـــي مهمـــة في تاريخ نضالنا الوطني إبان نشأة هذه الجرائد.

وممـــا يتــصل بالــصحافة كتاب : (تاريخ الصحافة العربية) لمؤلفه : الفــيكونت فيلـــيب طرازي فالواقع أنه يرشد الباحث الذي يطلع على الصحافة العربية المبكرة وخاصة أنه يكتب تراجم قيمة لأعلام الصحافة في مصر أمثال أديــب اســحق وإبــراهيم المويلحـــي والأفغاني ويعقوب صنوع (أبو نضارة) وغيرهم .

ويكـــاد يكـــون الأســـتاذ عبد الرحمن الرافعي هو المؤرخ الوحيد الذي يؤرخ للحياة النيابية وقد وجدت في كتبه ميزة قيمة تنفرد بها عن سواها التي كتـــبت فـــي تاريخ مصر الحديث خاصة فيما يتعلق بتاريخ الحركة الدستورية وهـــي الناحـــية التي تتصل ببحثنا هذا اتصالا وثيقاً ، فالرافعي قد أرخ لتطور الحـــياة النيابـــية تأريخاً يكاد يكون كاملا ، بينما نجد مؤرخا آخر من مؤرخي عـــصر إســـماعيل وهو إلياس الأيوبي يكتب عن مجلس شورى النواب حوالي ســـت صـــفحات رغـــم أهمـــية الموضوع ، والأستاذ الرافعي يكتب في نفس الموضـــوع نحـــو مائة صفحة فضلا عن كثير من التراجم لأعلام كان لهم أثر كبيـــر فـــي تطـــور الحـــياة النيابية ، ولعل ذلك راجع لدراسة الأستاذ الرافعي الحقوقـــية مـــن ناحـــية ونزعته الوطنية المتدفقة من ناحية أخرى ، ومما هو جدير بالذكر أن الأستاذ إلياس الأيوبي حصل على جائزة الدولة سنة ١٩٢٢م لتأليف كتابه (تاريخ مصر في عهد الخديو إسماعيل) .

مثال للبحث عن الوثائق :

ولـــنأخذ مـــثلاً عن طريقة جمع الوثائق والأصول التاريخية لموضوع معـــين مثل : " مخصصات الحرمين الشريفين في مصر إبان العصر العثماني" فالـــباحث فـــي هـــذا الموضـــوع في دور الوثائق المصرية عليه أن يتجه إلى أرشيف الشهر العقاري بالقاهرة بجانب دار القضاء العالي ، فيجد بها سجلات الديـــوان العالـــي إبان العصر العثماني ، والتي كانت تسجل بها وثائق الصرة الشريفة وغلال الحرمين ، وعليه أولاً بالاطلاع على فهرس تلك السجلات لكي يوفـــر عليه جهداً في البحث عن الوثائق في شتى السجلات ، وبعد ذلك يتناول الـــسجلات ، وســـيجد بها معلومات وافية عن مخصصات الحرمين التي كانت ترســـل من مصر كل عام من أموال وغلال بصحبة أمير الحج المصري سواء كانت هذه المخصصات حكومية أو أهلية .

وســـيجد بهـــذا الأرشـــيف أيضاً سجلات المحاكم الشرعية إبان العصر العثماني وبها كانت تسجل أوقاف الحرمين الشريفين ، فعليه أن يتناول فهارس تلك السجلات أولاً لكي تعينه في الوصول السريع إلى مطلوبه ، وسيحصل في النهاية على مادة علمية غزيرة في مجال موارد مخصصات الحرمين الشريفين ، وبـــذلك تكتمل لديه معلومات تاريخية أصلية لا بأس بها عن هذا الموضوع إبان العصر العثماني .

ويذهب إلى دار الوثائق القومية بالقاهرة فيجد بها بعض محافظ خاصة بالـــصور الشريفة علي أهل الحرمين الشريفين ، وبعض المعلومات المتناثرة فـــي محـــافظ الحجـــاز وسجلات دفاتر الميزانية ، وبعض الوقفيات في محافظ الحجـــج الشرعية ، فينتقل منها ما شاء وتوفير الوقف عليه أن يطلب تصوير جانب من تلك الوثائق .

ثم يذهب الباحث بعد ذلك إلى أرشيف وزارة الأوقاف بالقاهرة حيث يجد العديـــد من الوثائق الأصلية الخاصة بالأوقاف على الحرمين الشريفين ومنافع الحج وطريق الحج والحجاز بصفة عامة .

ويجـــب علـــى الـــباحث أن يصور في هذه الأماكن المختلفة جزءاً من الوثائـــق التـــي تهمه بطريقة (الفوتوستاب) أو (الميكروفيلم) بحسب الضرورة حتـــى تكون نماذج يستدل بها في بحثه ودليلاً واضحاً على الكثير من الحقائق التي عرضها في موضوعه .

الفصل الثاني

المخطوطات

نعنـــي بالمخطـــوطات [الكـــتب العلمية التي وصلتنا عن فترة التاريخ الحديث (وغيرها من الفترات) ولا زالت مخطوطة ولم تنشر حتى الآن] ، وبها صـــورة حية عن عصورها لا غنى عنها لمن شاء الوقوف على جوانب تاريخ العـــالم العربـــي الحـــديث ، ثم هي من حيث الأصالة والتوثيق تأتي في المقام الثاني بعد الوثائق ، فكثير منها مكتوبة بخطوط مؤلفيها ، أو منقولة عن نسخ المؤلفين الأصليين .

وتلـــك المخطـــوطات موزعة على شتى مكتبات العالم ، وقد ورد كثير مـــنها فـــي كتاب تاريخ الآداب العربية لبروكلمان (١) وقام معهد المخطوطات العـــربية التابع لجامعة الدول العربية بالقاهرة بمجهود ضخم في مجال تصوير هـــذه المخطوطات من جميع أنحاء العالم ولديه مكتبة ضخمة تضم العديد من صـــور هـــذه المخطـــوطات (بالميكروفيلم) وعمل لها فهرساً في عدة مجلدات المجلـــد الثانـــي منه خاص بالتاريخ ، وضعه الدكتور لطفي عبد البديع ، وقد التـــزم فـــيه بذكر عنوان الكتاب ومؤلفه وتاريخ وفاته وبيان موضوع الكتاب وأبـــوابه وصلته بما كتب قبله من كتب إن كان ذيلاً عليها أو صلة أو تكملة ، وإن كان الكتاب مقسماً إلى أجزاء ذكر بداية كل جزء ونهايته من حيث ترتيب الـــسنين والحوادث أو الطبقات أو الأعلام ووصله بما قبله وما بعده ، ثم تبع ذلك بذكر الوصف المادي للمخطوطة كما ورد في البطاقة التي يحملها كل فيلم وأشـــار إلى المصدر الذي صورت منه المخطوطة ورقمها فيه ورقم الفيلم في

---

(١) ترجم هذا المؤلف إلى العربية في خمسة مجلدات ، الأول والثاني والثالث ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار ، والرابع والخامس ترجمة الدكتور السيد يعقوب بكر ، ونشرته دار المعارف بالقاهرة .

خـــزانة المعهـــد ، وضــــم الأجزاء المتفرقة من كتاب واحد بعضها إلى بعض لتــتكامل النسخ ، كما جمع المعهد بين المخطوطات المتماثلة في موضع واحد ليكون ذلك عوناً للباحث ، يقف منه على الأصول المختلفة لكل مخطوطة [٢] .

وتمــثل المخطــوطات عنصراً هاماً في توضيح المظاهر التاريخية لأي عــصر من العصور ، وتعد الكتابات التاريخية التي كتبت عن عصور التاريخ الحــديث مبــتورة حتــى يتم استكمالها من تلك المخطوطات (والوثائق أيضاً) والأبحاث التي تعد للحصول على درجتي الماجستير والدكتوراه لا يعتد بها إلا إذا قــدمت إضـــافات أساســية من العصور التي تناولتها معتمدة في ذلك على المعلومات المستفادة من الوثائق والمخطوطات .

وعلـــى الرغم من نشر بعض المخطوطات العربية في مجال الدراسات التاريخية والاجتماعية في القرنين الأخيرين إلا أننا ما زلنا نحصل على بعض المخطــوطات الأصـــلية لــتلك الكــتب المنشورة كانت في طي النسيان وتقدم إضافات لا بأس بها تختلف في كثير من النواحي عما نشر من تلك الكتب .

وأوضح دليل على ذلك ما قام به كاتب هذه السطور عندما حصل على كراســـة من المذكرات الأصلية للجبرتي عن فترة الحملة الفرنسية على مصر (١٧٩٨-١٨٠١م) محفــوظة فـــي مكتبة جامعة ليدن بهولندا تحت عنوان : (تــاريخ مـــدة الفرنسيس) بمصر من سنة ١٢١٣ إلى سنة ١٢١٦هـــ) برقم (cod.or.٢٤٣٧) وحصل على صورة لهذه المخطوطة مصورة بالميكروفيلم (photo copy) وقـــام بدراســـة مقارنـــة بين هذه المخطوطة وبين ما نشر للجبرتـــي في كتابه : (عجائب الآثار في التراجم والأخبار) و (مظهر التقديس بـــزوال دولة الفرنسيس) ، وتقدم بهذه الدراسة إلى الندوة العالمية التي عقدت

---

(٢) انظر: معهد المخطوطات العربية ، فهرس المخطوطات المصورة ، الجزء الثاني الخاص بالتاريخ ، أشرف على وضعه د. لطفي عبد البديع ، القاهرة سنة ١٩٦٥م .

بالقاهــرة في أبريل ١٩٧٤م حول عبد الرحمن الجبرتي المؤرخ وعصره تحت عــنوان : (مخطــوطة في تاريخ الجبرتي في ليدن دراسة مقارنة بينها وبين "عجائب الآثار" و "مظهر التقديس") .

وقــد أوضـــحت هــذه الدراسة مدى ما تحتوي عليه المخطوطات من إضـــافات علمــية قــيمة حتى ولو كانت هذه المخطوطات مكررة لمؤلف واحد فالجبرتـــي سجل أحداث الحملة الفرنسية بادئ ذي بدء في يوميات خاصة كان يحــتفظ بها لنفسه ، وكان في هذا التسجيل الأول مؤرخاً أميناً يوجه النقد إلى جميع الأطراف بموضوعية ونزاهة ، ولم تؤثر فيه عوامل المعاصرة كالرغبة فـــي نوال الحكام والرهبة منهم أو التحرج من بعض الأشخاص ذوي النفوذ ، أو من له بهم صلة علمية أو أدبية ، وهي الأمور التي أثرت فيه إلى حد كبير فـــي كــتابه (مظهر التقديس)، وإلى حد ما في كتابه الكبير (عجائب الآثار)، وفيما يلي نورد عرضاً لهذه الدراسة :

مخطوطة من تاريخ الجبرتي في ليدن بعنوان :
تاريخ مدة الفرنسيس بمصر من سنة ١٢١٣إلى١٢١٦هـ
دراسة مقارنة بينها وبين (عجائب الآثار) و (مظهر التقديس)

الدراسة المقارنة بين نصوص مختلفة لمؤرخين مختلفين لها طبيعتها الخاصة ، حيث يتجه جهد الباحث فيها إلى التعرف على منهج كل مؤرخ على حده ، ثم إبراز مظاهر الاختلاف والاشتراك بين كل منهم والعوامل التي أدت إلى ذلك سواء كانت اجتماعية أم سياسية وما إلى ذلك من العوامل التي تؤثر في المؤرخ .

أما الدراسة المقارنة بين نصين مختلفين أو أكثر لمؤرخ واحد لفترة زمنية واحدة فلها منهج آخر حيث يتجه جهد الباحث إلى دراسة الظروف والملابسات السياسية التي دفعت المؤرخ لكتابة هذه الأعمال المتباينة ثم الإشارة إلى مواطن الاختلاف في كل منها .

وعلى هذا المنهج الأخير سوف تكون دراستنا لقطعة أو كراسة مخطوطة من يوميات الجبرتي الخاصة عن فترة الحملة الفرنسية ، دراسة مقارنة بينها وبين كتابيه : (عجائب الآثار) و (مظهر التقديس) .

دون الجبرتي أحداث الحملة الفرنسية بادئ ذي بدء في يوميات خاصة بخط يده، وقد عثرنا على قطعة منها وحيدة محفوظة بمكتبة جامعة ليدن بهولندا وقد أشار إليها المستشرق (موريه Moreh) في مقال كتبه عن مجموعة من مخطوطات الجبرتي الأصلية في مجلة مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية (Bulletin of the school of oreintal and African

studies) [٣] . وقد حصلنا علي نسخة منها عن طريق التصوير بالميكروفيلم ، ويقوم كاتب هذه السطور حاليا بإعدادها للنشر .

وهــذه القطعــة من ناحية الشكل تقع في إحدى وخمسين صفحة تؤرخ لــسبعة أشهر من أوائل المحرم (١٠ منه) ١٢١٣ هــ حتى رجب من نفس السنة وهي مكتوبة بخط الرقعة الجميل ، وعدد الأسطر في كل صفحة يتراوح بــين ٢٥ ، ٣٢ سطرا ما بين ١٠ ، ٢٠ كلمة وتوجد بها الإضافات الهامشية لــبعض الأحداث التي نسيها الجبرتي أو لم تكن في متناول يده إبان كتابتها ، فاســتدركها بعدئذ وسجلها بالهامش بالخط ذاته ، ويوجد علي صفحة العنوان الكتابة الآتية :

هذا تاريخ مدة الفرنسيس بمصر من سنة ١٢١٣هــ
إلى سنة ١٢١٦هــ هو تأليف العلامة عبد الرحمن
الجبرتي المصري بخطه رحمه الله

ومكتوب على ذات الصفحة في الركن الأيسر فوق العنوان تمليك باسم الــشيخ محمد الأمير الحنفي الرشيدي بتاريخ ٦ ج (جمادى الأولى) سنة ٨١ (١٢٨١هــ) ومدون عليها ثمنها وقتذاك وهو ٩ قروش .

ويتبين لنا من صفحة العنوان الحقائق التالية :

<u>أولاً :</u> التــنويه بأنهــا مخطوطة بخط الجبرتي ، مما يجعل لها أهمية خاصة ، وقــد رجح المستشرق (موريه Moreh) أنها بخط الجبرتي لأن خطها يــتفق مع مخطوطة أخرى لمظهر التقديس مودعة بمكتبة جامعة كمبرج مكتوب عليها أنها بخط الجبرتي ، ويتفق أيضاً مع مخطوطة ثالثة للجزء

---

[٣] S. Moreh , Reputed autographs of Abd Al-Rahman Al-Jabarti and related problems, (BSOAS) , London ١٩٦٥ , vol. XXVIII , part ٣ , p. ٥٢٤-٥٤٠ .

الثالث من عجائب الآثار في مكتبة جامعة كمبرج أيضاً مدون في نهايتها أنها بخط الجبرتي [٤] .

ثانياً : أن هذه المخطوطة انتقلت إلى حوزة الشيخ الرشيدي عن طريق الشراء بعد وفاة عبد الرحمن الجبرتي بحوالي أربعين سنة هجرية [٥] .

ثالثاً : أن هذه المخطوطة من تأليف المؤرخ عبد الرحمن وحده ، وهي بذلك تختلف عن كتاب مظهر التقديس الذي اشترك في تأليفه مع الجبرتي صديقه الشيخ حسن العطار ، فهي بذلك تحمل طابعه في الكتابة وحده وأسلوبه ومنهجه .

رابعاً : يستفاد من عنوان المخطوطة أن الجبرتي كان قد دون (تاريخ مدة الفرنسيس) كاملاً في مؤلف خاص به إبان حوادث الحملة [٦] ، وقد ضاعت بقية هذا المؤلف ولم يبق منه سوى قطعة تؤرخ لمدة سبعة أشهر التي تضمنتها هذه المخطوطة [٧].

---

(٤) المرجع السابق .

(٥) انظر : لوحات رقم : ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ .

(٦) أشار الجبرتي إلى هذا المؤلف في مقدمة مظهر التقديس بقوله : (ولقد كنت سطرت ما وقع وحصل من الوقائع من ابتداء تملك الفرنسيس لأرض مصر إلى أن دخلها مولانا الوزير في أوراق غير منظومة في سلك الاجتماع والاتفاق وكثيراً ما كان يخطر ببالي وإن لم يكن ذلك من شأن أمثال أن أجمع افتراقها وألبسها بالترصيف انساقها ليكون ذلك مطلعاً للبيب على عجائب الأخبار وغرائب الآثار وتذكرة بعدنا لكل جيل) ويبدو من هذه الإشارة أن هذا المؤلف كان عبارة عن قطع في كراريس تشتمل كل قطعة منها على عدة أشهر ، ولهذا فضلنا تسمية هذه المخطوطة التي نعرضها الآن باسم قطعة من يوميات الجبرتي .

انظر : (مظهر التقديس بذهاب دولة الفرنسيس) طبعة لجنة البيان العربي في مجلد واحد ، تحقيق حسن جوهر وعمر الدسوقي ، القاهرة ١٩٦٩م ، ص١٤ .

(٧) بذلك يكون الجزء الضائع هو غالبية تلك المخطوطة (من بداية شعبان ١٢١٣هـ حتى أواخر صفر ١٢١٦هـ لأن هذه المدة هي التي حددها الجبرتي في كتابه (عجائب الآثار) فهو يقول : (فكانت مدة الفرنساوية وتحكمهم بالديار المصرية ثلاث سنوات وإحدى وعشرين يوماً فإنهم ملكوا بر إمبابة والجيزة وكسروا الأمراء المصرية يوم السبت تاسع عشر صفر سنة ثلاث عشرة ومائتين وألف وكان انتقالهم ونزولهم من القلاع وخلو المدينة منهم وانخلاعهم عن

وعلى ذلك لم يكن الجبرتي في حاجة إلي أن يعدل في كتابة (مظهر التقديس) ويخرج منه الجزء الثالث من (عجائب الآثار) كما ذهب إلي ذلك بعض المؤرخين [٨] لأن الجبرتي كان لديه مؤلف خاص لتاريخ مدة الفرنسيس بمصر اعتمد عليه في إخراج الجزء الثالث من عجائب الآثار بعد ما أضاف إليه تاريخ مصر من سنة ١٢١٦هـ إلى سنة ١٢٢٠هـ مع إضافات بسيطة من أشعار صديقه الشيخ حسن العطار التي كان يشير إليها بقوله : (كما قال صاحبنا الشيخ حسن العطار) .

الظروف السياسية التي كتب فيها الجبرتي هذه المخطوطة:

كانت مظالم المماليك بزعامة إبراهيم بك ومراد بك قد عمت آفاق القطر المصري في أواخر القرن الثامن عشر ، وأصبحت الحياة في مصر لا تطاق وفجأة هبطت الحملة الفرنسية أرض مصر في صيف عام ١٧٩٨م وسرعان ما ظهر فشل مؤسسة المماليك العسكرية في الدفاع عن البلاد ، وزحف الجيش الفرنسي على القاهرة بعد اجتياح الإسكندرية بلا مقاومة تذكر واكتسح أمامه قوات المماليك المنهارة وسقطت عاصمة البلاد في يد الفرنسيين ، ووجد الشعب نفسه أعزل أمام قوات أجنبية مسيحية لأول مرة في تاريخه الحديث .

أثرت هذه الأحداث بتلاحقها في نفسية الشعب المصري الذي كان يخضع لحماية الدولة العثمانية المسلمة التي يرى فيها رمزاً للخلافة الإسلامية

التصرف والتحكم ليلة الجمعة الحادي والعشرين من شهر صفر سنة ست عشرة ومائتين وألف) وبذلك تكون المدة التي اعتبرها الجبرتي هي مدة إقامتهم بالقاهرة وضواحيها فقط أما المدة من بداية احتلالهم الإسكندرية حتى جلائهم عنها فهي من ١٩ محرم ١٢١٣هـ إلى نهاية ربيع الثاني ١٢١٦هـ (٢يوليو ١٧٩٨م – ٨سبتمبر ١٨٠١م) ، انظر: عجائب الآثار في التراجم والأخبار ، طبعة المطبعة العامرية الشرقية ، القاهرة سنة ١٣٢٢هـ (ج٣ ، ص١٩٩ ، ص ٢٠٧) .

(٨) د. محمد أنيس ، الجبرتي بين مظهر التقديس وعجائب الآثار ، مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة ، العدد ١٨ سنة ١٩٥٦م ، ص٦٣ .

ويــشعر فــي ظلهــا بــالأمن والطمأنينة والسلام والاستقرار ، وقد سجل لنا الجبرتــي في هذه المخطوطة صوراً حية من أحاسيس الشعب المصري يروي فيها وقوع الصدمة بصدق وأمانة وواقعية .

وبدراسة هذه المخطوطة نرى أن الجبرتي قد سلك فيها منهجاً معتدلاً ، فالحقائق والأحداث التاريخية وإن كانت بها ثابتة وتتفق مع ما جاء في كتابيه : (مظهــر الــتقديس) و (عجائب الآثار) إلا أن تفسير الجبرتي لهذه الأحداث وتعليقه عليها هو الذي يختلف .

وجــه الجبرتــي نقــده إلــى جمــيع الأطراف (العثمانيون والمماليك والفرنــسيين وحتى العلماء) وأصدر أحكامه عليهم غير هياب ولا وجل ، ولم تؤثر فيه عوامل المعاصرة التي تؤثر في المؤرخ كالرغبة والرهبة التي ظهرت إلى حد كبير في كتابه (مظهر التقديس) وإلى حد ما في كتابه (عجائب الآثار) لأن نظام الحكم الذي كان قائماً قد تحطم ، وأصبح في مأمن من عسف الحاكم في ظل احتلال لم يستقر بعد .

وعلى سبيل المثال نراه ينتقد الموقف العثماني المملوكي برمته لتقصير العثمانيــين والمماليك في الدفاع عن البلاد وحمايتها من الغزو الفرنسي عقب ســماعه بنزول الحملة بالإسكندرية وذلك عندما علق على الاجتماع الذي عقد بالقصر العيني بالقاهرة ودارت فيه مناقشة حامية بين العلماء وأمراء المماليك فــيقول : (فــركب إبراهيم بك إلى قصر العيني وحضر عنده مراد بك والأمراء والقاضــي والمــشايخ وتكلموا في شأن ذلك ، فقال بعض المشايخ كل هذا من تغافــل أمر الثغور وإهمال الأمور حتى تمكن العدو وملك ثغر الإسلام ، فقال مراد بك وإيش نعمل وإذا قصدنا تعمير ذلك وتحصينه تقولوا مرادهم العصيان علــى الــسلطان فهذا هو المانع لنا من ذلك) ثم علق على كلام مراد بك بأنه (أوهى من بيت العنكبوت لأن الثغر من أيام علي بك لم يلتفتوا له جملة كاملة

بل أخذوا ما كان به من آلات القتال والمدافع ومنعوا عنه المرتبات التي كانت للمـــرابطين والعـــسكر المتقيدين وألوا علوفاتهم وقطعوا عوايدهم ولم يبق به شـــئ مـــن آلات الحـــرب إلا بعض مدافع مكسرين لا تنفع ولا تدفع حتى أنهم احتاجوا مرة لضرب مدفع العيد بارود فلم يجدوا التعميرة بل اشتروها من عند العطـــار بعد أن كانت إسكندرية وأبراجها في غاية العمارة والتحصين وحولها السور المتقن الذي اعتنت به الأوائل وبه ثلاثمائة وستين برجاً على عدد أيام الـــسنة كل برج بجبخانته وعدده ورجاله ، فأهمل ذلك جميعه حتى لم يبق منه شئ وتهدم السور وما به من أبراج وساوت حيطانه من بعض الجهات الأرض إلى غير ذلك) .

وعندما صدرت توصية من المجتمعين في قصر العيني بكتابة عرضحال إلـــى الدولـــة العثمانـــية بخبر الحملة وإرساله إليها ، علق الجبرتي على ذلك متهكماً بأسلوب لاذع : (ظنوا أن الموجوع أو المريض الملسوع يستمر بحاله حتى يأتيه الترياق من العراق) (٩) .

ويلاحظ أن هذه المناقشة وما أعقبها من تعليق لم يسجلها الجبرتي في (مظهـــر الـــتقديس) وإنما قال : (وأما ما كان من حال الأمراء فإن إبراهيم بك راكـــب لقـــصر العيني ، وحضر عنده مراد بك من الجيزة لأنه كان مقيماً بها وحضروا بقيم الأمراء والقاضي والعلماء وتكلموا في شأن هذا الأمر الذي دهم المـــسلمين فاتفـــق الـــرأي على أنهم يرسلون مكاتبة للدولة العلية بخبرة هذه الحادثـــة فأرســـلها باشا مصر إلى ذاك وهو بكر باشا على يد قاصد من جهة البر) (١٠) .

---

(٩) الجبرتي ، تاريخ مدة الفرنسيس بمصر من سنة ١٢١٣هـــ إلى سنة ١٢١٦هـــ ، ص١-٢ .

(١٠) مظهر التقديس ، ص٢٦ .

ونــراه ينتقد قيادة مراد بك ويذكر أن الشعب تنبأ بهزيمته عند خروجه لملاقــات الفرنــسيين فــيقول : (ثم أنهم اتفقوا على خروج عساكر وصارى عسكرهم مراد بك ، فتحدث الناس بأن مراد بك لم يتوجه إلى جهة ويحصل لها النصر)[١١] .

وعــندما التقى مراد بك بالجيش الفرنسي عند شبراخيت وانهزم قال : (التقــى العــسكر المصري مع الفرنج فلم تكن إلا ساعة وانهزم مراد بك ومن معــه ولــم يلبثوا لحربهم ... واحترقت ذهبية مراد بك بما فيها من الجبخانة والعدد ... فلما عاين ذلك مراد بك ولى منهزماً وترك أثقاله وحملة من المدافع وتبعه عساكره وكان في عدة وافرة) [١٢] .

وتحــدث عــن العوامل التي تسببت في خذلان المماليك أمام الفرنسيين وقارنهــا بما للجيش الفرنسي من صفات وأثنى عل نظام الفرنسيين العسكري المحكــم فــي الضبط والربط وإطاعة الأوامر ، وتقشفهم في حياتهم العسكرية وغير ذلك من الأشياء التي هي من سمات الجيوش المنظمة فيقول :

" وهــذا بخلاف الطائفة الأخرى الفرنساوية فإنهم بالعكس في جميع ما ذكر كأنهم مقتفين لآثار الأمة في صدر الإسلام ويرون أنفسهم مجاهدين ولا يــستكثرون عدد عدوهم ولا يبالون بمن قتل منهم ، ويرون أن من ولى منهم كفــر وخرج من دينه وطريقته ينقادون لأمر أميرهم ويمتثلون طاعة كبيرهم ، مظلة أحدهم غطاء رأسه ومركبه قدميه وطعامه وشرابه بلغة وجرعة معلقان تحــت إبطه ومتاعه وما يغيره من ملبوسه معلق خلف ظهره كالوسادة ، فإذا نام اضطجع عليها كالعادة ولهم علامات وإشارات فيما بينهم يقفون عندها ولا يتعدون حدها "

---

(١١) تاريخ مدة الفرنسيس بمصر ، ص٢ .

(١٢) المصدر السابق ، ص٩ .

ولم يذكر الجبرتي هذا الوصف المنصف لنظام الفرنسيين العسكري في كتابـــيه : مظهر التقديس ، وعجائب الآثار ، وحذفه مخافة أن يتهم بأنه يملئ الجيش الفرنسي .

ولم يكن الجبرتي راضيا عن قيادة المماليك ، وانتقد في مذكراته سوء تدبيـــر المماليك لملاقات الجيش الفرنسي ، فبينما كان مراد بك عند إمبابة ، كـــان إبـــراهيم بك بالبر الشرقي للنيل عند بولاق ومعه عدد كبير من العربان والمتطوعون من الشعب ، ولم تتح لهم فرصة الاشتراك في معركة إمبابة لعدم تمكـــنهم مـــن عبور النيل ، فلم تكن لهذه الجموع الغفيرة أي دور إيجابي في المعـــركة ، لأن بونابـــرت قـــد حسم الموقف بانتصار خاطف في ثلاثة أرباع الـــساعة ، فقـــال الجبرتـــي يصف تجمع الناس بالبر الشرقي وصياحهم غير المجدي :

" هذا وبر بولاق يغلي بكثرة الناس من العامة والخاصة وخلافهم وهم واقفون زمرا ويعضون أكفهم حسرا وأسفا لتخلفهم عن الوصول لعدم المعادي فلم يكن في قدرتهم إلا رفع أصواتهم وقولهم يالطيف وحسبنا الله ونعم الوكيل ، وغيـــر ذلـــك وصـــار لهـــم جلبة وغاغة عظيمة وكأنهم يقاتلون بضجيجهم وصياحهم " (١٣) .

ويـــستطرد الجبرتـــي في انتقاد موقف إبراهيم بك لفراره عندما عاين هزيمة جيش مراد بمعركة إمبابة ، فيقول :

" ولما رأي إبراهيم بك والباشا ومن معهم في المتاريس وقوع الكسرة علي أهل البر الغربي لم يثبتوا بل ركبوا وتركوا المتاريس والخيام وذهبوا إلي جهة العادلية في الطريق إلى الشام .. فلما رأى الناس هروب إبراهيم بك ومن

---

(١٣) المصدر السابق ص ١١ ــ ١٢ .

شح ص ٦٥ ، ٦٨
ويرجو جودة ، أكمل





"وعملوا محمد أغا المسلماني كتخدا [٢٧] مستحفظان والوالي علي أغا الشعراوي والمحتسب حسن أغا محرم وذلك بعد علاج ، وقولهم لا يتولى المناصب جنس مملوك وقول المشايخ أن سوقة مصر لا يخافون إلا من جنس المملوك"[٢٨] .

ومن الأمور التي لجأ فيها الجبرتي إلى استعمال الغموض ، موضوع قيام الشيخ محمد المهدي سكرتير ديوان القاهرة بصياغة منشورات بونابرت باللغة العربية .

فقد كان الشيخ محمد المهدي هو الذي يتولى صياغة منشورات بونابرت باللغة العربية بعد أن تكتب بالفرنسية ثم تقوم بترجمتها إلى العربية أجهزة الترجمة الملحقة بالحملة ، وقد ذكر الجبرتي ذلك صراحة في مخطوطة ليدن فقال في نهاية المنشور الذي كتبه الفرنسيون على لسان المشايخ إلى أقاليم مصر ، بعد قمع ثورة القاهرة الأولى :

"وذلك إنشاء كاتب الديوان الشيخ محمد المهدي" [٢٩].

ثم عاد الجبرتي فحذف اسم الشيخ المهدي عندما أخرج كتابيه : "مظهر التقديس" و "عجائب الآثار" واكتفى بالإشارة الغامضة إلى الشيخ المهدي ، إشارة يفهمها معاصروه ، فذكر عن المنشور الذي أذاعه بونابرت على لسان أعضاء الديوان عقب عودته من الحملة على سوريا أنه "من ترصيف وتنميق بعض الفصحاء " [٣٠]وهو يقصد الشيخ المهدي . وتتفق المراجع الفرنسية مع

---

(٢٧) الأصح : أغا مستحفظان (يعني رئيسا لقوات حفظ الأمن بالقاهرة) أما منصب كتخدا (وكيل أول نائب) مستحفظان فقد عين به برتلمي اليوناني كما ذكر الجبرتي بنفس الصفحة .

انظر: تاريخ مدة الفرنسيس بمصر ، ص١٥ .

(٢٨) المصدر السابق ، ذات الصفحة .

(٢٩) تاريخ مدة الفرنسيس بمصر ، ص٤٦ .

(٣٠) عجائب الآثار ، ج٣ ، ص٧٣ ، مظهر التقديس ، ص١٥٥ .

مخطـوطة لـيدن فـي أن الشيخ المهدي هو الواضع لمنشورات بونابرت في قالـبها العربـي ، فقد ثبت في رسالة بعث بها بونابرت من يافا إلى "بوسليج" مدير الشئون المالية بالقاهرة أثناء الحملة على سوريا يقول ما ترجمته :

"علـيكم أن تأمـروا بطـبع كل المنشورات التي يبعث بها فانتور إلى الديـوان وأن تـضيفوا إلـيها المحسنات والتنميقات التي يرى الشيخ المهدي إدخالها وأن تنشروها في أنحاء مصر"[٣١] .

ومـن الأمور التي أوضحتها هذه المخطوطة أيضاً ، أن الشيخ السادات هـو الذي تدخل لحل الموقف المتأزم بين مشايخ الديوان وبين بونابرت بسبب الخـلاف علـى وضع بعض الشارات الفرنسية ، وقد شعر بونابرت بنوع من الإهانة من شيخ الأزهر الشيخ عبد الله الشرقاوي رئيس ديوان القاهرة عندما رمـى بالـشارة الفرنسية على الأرض بعد أن وضعها له بونابرت ، وأبى أن يزين بها كتفه .

فقد حدث أن استدعى بونابرت إليه الشيخ الشرقاوي ومعه جماعة من العلمـاء ، فلمـا استقر بهم المجلس نهض بونابرت وأتى بشارة الجمهورية الفرنـسية ، والتي يسميها الجبرتي "الطيلسان" المثلث الألوان ، ووضعه على كـتف شيخ الأزهر تكويماً له ، ولكن شيخ الأزهر "رمى به إلى الأرض وامتقع لـونه واحتد طبعه" [٣٢] ، كما تغير وجه بونابرت لهذه الإهانة وتميز غضباً ، فتدخل الترجمان وقال للعلماء "يا مشايخ أنتم صرتم أحباباً لصارى عسكر وهو يقـصد تعظـيمكم وتشريفكم بزيه وعلامته فإن تميزتم بذلك عظمتكم العساكر والـناس وصـار لكم منزلة في قلوبهم" [٣٣] فرد عليه المشايخ قائلين : لكن

---

(٣١) الرافعي ، تاريخ الحركة القومية ، ج١ ، ص٣١١ .

(٣٢) عجائب الآثار ، ج٣ ، ص١٧ .

(٣٣) المرجع السابق ، ذات المكان .

قـدرنا يضيع عند الله وعند إخواننا من المسلمين " فاغتاظ بونابرت من ذلك ، وطلـب بقية العلماء من بونابرت إعفائهم من لبسها ، فأذعن بونابرت لطلبهم في أمر هذه الطيالس ، ولكنه أصر على أن يضعوا في صدورهم – على الأقل – الـشارة المثلـثة الألوان (الجوكار) (٣٤) فطلب العلماء منه مهلة اثنى عشر يوماً .

بـيد أن بونابرت أرسل في اليوم ذاته إلى الشيخ محمد السادات فحضر إلـيه ، وصـادف أعـضاء الديوان منصرفين ، ولما استقر به المجلس تملقه بونابـرت وأخـذ يـتحدث إليه بلطيف القول الذي يعربه الترجمان ويضاحكه "ويقـبل يـده تـارة وركبته (٣٥) أخرى" (٣٦) وأظهر بونابرت للسادات المحبة والـصداقة ، وأهـدى إلـيه خاتماً من الماس ، وطلب منه الحضور في اليوم التالي ، وعند حضوره وضع بونابرت له الجوكار على كتفه ، فسكت السادات وسايره ، وهذا مجمل ما ذكره الجبرتي في مظهر التقديس وعجائب الآثار(٣٧).

---

(٣٤) الجـوكار : ذكر الجبرتي في وصف هذه الشارة أنها : "العلامة المعروفة بالوردة وهي عبارة عن ثلاث دواير من جـوخ أو غيره متلاصقة ثلاثة ألوان : أزرق وأبيض وأحمر في قدر مقعر الكف وأصغر وأكبر دوايرها متصاغرة الثانية أصـغر مـن الأولى والثالـثة أصغر منها بحيث تبقى الألوان الثلاثة ظاهرة ، وربما شرشروا أطراف الدواير وتفننوا في تحـسينها وهي عبارة عن الطاعة وعلامة على الامتثال " أما الطيلسان : فيذكر الجبرتي عنه أنه مكون من "ثلاث شقق (أشـرطة) أبـيض وأحمر وكحلي" توضع على الكتف وسماها الجبرتي باسم آخر وهو "الشالات" لأنها تشبه الشال في وضعها على الكتف وتتدلى على الصدر .

انظر : الجبرتي ، تاريخ مدة الفرنسيس بمصر ، ص٢٣-٢٤ .

(٣٥) لـيس في رواية الجبرتي هذه مبالغة لأن بونابرت هو الذي قال لأحد جنرالاته فيما بعد وهو يهرب من روسيا في غير هوادة : "إنني حين أكون في حاجة إلى زيد من الناس لا أحجم عن شئ فإنني أقبل (...) "

انظر: كرستوفر هيرولد ، بونابرت في مصر ، ترجمة فؤاد أندراوس ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٦٧ ص٢٥٦ .

(٣٦) الجبرتي ، مظهر التقديس ، ص٦٠ .

(٣٧) انظر : مظهر التقديس ، ص٥٩-٦٠ وانظر أيضاً : عجائب الآثار ج٣ ، ص١٧ .

غيـــر أن الجديـــدي فـــي مخطوطة "ليدن" أن الجبرتي يذكر أن الشيخ الـــسادات تـــدخل في اليوم ذاته لحل الموقف المتأزم بين مشايخ الديوان وبين بونابـــرت ، فقـــال للمـــشايخ في الجلسة نفسها : "اجبروا أنتم الآخرين خاطر صـــارى عـــسكر ولا تخالفوه في وضع الوردة وإذا قمتم من مجلسه ارفعوها فسكتوا ونهض (بونابرت) فرشق لكل واحد واحدة وهم مظهرين البشاشة وهو مسرور بذلك" (٣٨) أي أنه أشار عليهم بأن يجعلوهم جواز مرور (٣٩) .

ويـــبدوا أن الجبرتـــي لم يشر إلى هذا الموقف الأخير المتعلق بتوسط السادات بين بونابرت والمشايخ في مظهر التقديس وعجائب الآثار ، مخافة أن يـــتهم العثمانـــيون الـــسادات بالتعاون مع جيش الاحتلال الفرنسي ، كما كان للـــشيخ السادات نفوذ شعبي جارف يخشى جانبه ، وكان الجبرتي على علاقة وثيقة به (٤٠) .

وعلـــى الرغم من أن الشيخ السادات لم يقبل عضوية ديوان القاهرة أو الاشـــتراك في أي نشاط سياسي آخر مع الفرنسيين ، إلا أنه كان دائم الاتصال ببونابـــرت كمـــا يـــبدو من مخطوطة ليدن ، فقد سجل بها الجبرتي أن الشيخ السادات أقام حفل عشاء بمناسبة الاحتفال بمولد السيدة زينب في أوائل رجب ١٢١٣هـــ ، ودعا إليه بونابرت وجماعة من خواصه ، يقول في ذلك :

---

(٣٨) تاريخ مدة الفرنسيس بمصر ، ص٢٣-٢٤ .

(٣٩) عـــندما وجـــد بونابرت أن الشعب (بزعامة علمائه) لا يقبل شارة الجمهورية الفرنسية ألغاها بالنسبة للعامة ، ونادى مناد بإبطال هذه الشارة عن العامة ، وما لبث الأمر كله أن ألغي بعد قيام ثورة القاهرة الأولى ، على الرغم من أن بونابـــرت كـــافح من أجل هذا الغرض كثيراً لدرجة أنه ارتدى يوما الملابس الشرقية المكونة من العمامة والقفطان ليستقبل بها أعضاء الديوان حتى يخجل المشايخ ويحملهم على أن يضعوا الشارة على الأقل .

(٤٠) قـــال في هذا الصدد "وقد كنت أصاحبه في الذهاب إلى مساكنهم (مساكن الفرنسيين) والتفرج على صنائعهم ونقوشهم وتصاويرهم" .

انظر: الجبرتي ، عجائب الآثار ، ج٤ ، ص٢٠٥ .

"فـــي ثالثه (أي في الثالث من رجب) عمل الشيخ السادات مولد السيدة زيـــنب بقناطر السباع ودعى صارى عسكر بونابرته فحضر في عصريتها في البيت الذي سكن به الشيخ وهو بيت أيوب جاويش وتعشى هناك هو وخواصه ثم ركب و عاد إلى داره" (٤١) .

ولـــم يـــشر الجبرتي إلى هذه الواقعة مطلقاً في كتابه مظهر التقديس ، مـــراعاة لجانب السادات وحفاظاً على سمعته لدى العثمانيين بعد عودتهم ، ثم عـــاد فأشـــار إليها بصفة عامة بعد وفاة السادات عندما ترجم له في عجائب الآثار فقال :

"ولما قدمت الفرنساوية إلى الديار المصرية في أوائل سنة ثلاث عشرة ومائتـــين وألف لم يتعرضوا له في شئ وراعوا جانبه وأفرجوا عن تعلقاته ، وقبلوا شفاعته وتردد إليه كبيرهم وأعاظمهم وعمل لهم ولائم" (٤٢) .

ومـــن الإضافات الجديدة التي أبرزتها هذه المخطوطة ، مطالبة علماء الأزهـــر بمـــرتباتهم التي كانوا يتقاضونها قبل مجيء الحملة ، وقطعت عنهم بـــسبب ظـــروف الاحـــتلال الفرنـــسي ، فطالـــبوا بها مراراً وتكراراً ، بيد أن الفرنسيين ما طلوهم ولم يدفعوا لهم شيئاً ولم يدفعوا لهم شيئاً ، وقال الجبرتي في حوادث شهر ربيع الأول ١٢١٣هـــ :

"فـــيه طلب المشايخ رواتبهم في الضربخانة وكانوا سألوا في ذلك عدة مـــرار وهـــم يـــواعدوهم وبعد ذلك قال لهم الترجمان اكتتبوا قايمة بعلم الذي يخـــصكم فكتـــبوا بذلك قايمة فكان الذي يخصهم ويخص بعض أفراد نحو ألف فـــضة في كل يوم فلما اطلعوا على ذلك وواعدوهم بامضاه عدة مرار ، قالوا لهـــم فـــي هذه المرة نعطيكم عوضه التزام فقالوا وايش نعمل بالالتزام ، وهذا

(٤١) تاريخ مدة الفرنسيس بمصر ، ص٤٩ .
(٤٢) عجائب الآثار ، ج٤ ، ص٢٠٥ .

شـــئ متفـــرق الجـــزئيات ، فينا من لـه خمسين فضة ومن لـه ثلاثين ومن لـه عشرين ، فقالوا يتولى ذلك أحدكم ويجمعه ويفرقه على إخوانه في كل سنة فلم يرتضوا ذلك ثم أعرضوا عن ذلك لتحققهم شحة نفوسهم به "

ثـــم أورد مقدار ما كان يتقاضاه العلماء في كل يوم قبل مجيء الحملة فقال :

"وكانـــت المـــرتبات قبل مجيئهم نيفا واثنين وثلاثين ألف فضة في كل يـــوم" (٤٣) وقـــد حذف الجبرتي هذا الموضوع ولم يشر إليه مطلقاً في كتابيه مظهـــر التقديس وعجائب الآثار مخافة أن يتهم العلماء بالتعامل مع الفرنسيين وحرصاً على أن تظل صفحتهم مضيئة أمام العثمانيين .

ومن المعلومات الطريفة التي سجلها الجبرتي في هذه المخطوطة ، ذلك التفـــسير المعقول للصراع الإنجليزي الفرنسي والعوامل التي دفعت الفرنسيين لاحـــتلال مـــصر ، قال في حوادث ربيع الأول ١٢١٣هـــ أثناء تعرضه لرواية معركة أبي قير البحرية (٦ ربيع الأول ١٢١٣هـــ – ١٨ أغسطس ١٧٩٨م) :

"وخبـــر هـــولا (هـــؤلاء) الإنجليز أنهم معادين لطايفة الفرنسيس وأن الفرنسيسي (بونابرت) لما أغار على البنادقة والونديك والجورنه وغيرهم قصد الإغارة على الإنجليز أيضاً فلم يتمكن للعبور إليهم من طريق البر فحاربهم في البحر فلم يطيقوهم لأن الإنجليز موصوفون في الشدة وقوة البأس في محاربة المـــراكب فـــي البحر والفرنسيسي بالعكس فعلم الفرنسيسي أنه لا يتمكن من غرضه معهم إلا من جهة البر ولا طريق له إلا من الهند ، ولا طريق للهند إلا مـــن بحـــر القلـــزوم والإنجليز يعلم فلما وجده ملك الإسكندرية وعبر الممالك المـــصرية علم أنه يصل إليهم بعد ذلك من هذه الجهة ولا بد من تتابع الإمداد

---

(٤٣) تاريخ مدة الفرنسيس بمصر ، ص٢١ .

والعساكر فحضر على أثرهم بعدة مراكب مشحونة بالمقاتلين إلى الإسكندرية وحاربوا المراكب التي وجدوها خارج المينة وبوقير فنالوا منهم ... واستمروا بمراكبهم قبالة الإسكندرية يذهبون ويجيئون ويشرقون ويغربون وينتظرون ما يأتي للفرنسيس من المدد أو يرسلونه إلى بلادهم فيقطعون عليهم الطريق ويقفون لهم في كل مضيق " [٤٤] .

ولم يتعرض الجبرتي لهذا الموضوع بمثل هذه الإضافة في كتابيه مظهر التقديس وعجائب الآثار ، وكل ما ذكره أنه أورد خبر معركة أبي قير في صورة موجزة ، تكاد تتفق في كلا المؤلفين ، فقال :

"وفيه تواترت الأخبار بحضور عدة مراكب من الإنجليز إلى ثغر إسكندرية ، وحاربوا مراكب الفرنسيس بالميناء وكانت أشيعت هذه الأخبار من مدة أيام وتتحادث بها الناس فصعب ذلك على الإفرنج وشق عليهم " [٤٥] .

ولذا نرى أن الجبرتي أدرك تطورات الصراع الإنجليزي الفرنسي ، ولسنا نعرف ما هي الدوافع التي جعلته يحذف هذه المعلومات عندما أعاد كتابتها في مظهر التقديس وعجائب الآثار .

ومما يلحظ على هذه المخطوطة بوجه عام ، تلك الأمانة المتناهية في المحافظة على الوثائق التاريخية التي وقعت في يد الجبرتي وسجلها في يومياته ولم يغير في صيغتها أو يصحح ما بها من أخطاء لغوية .

ويظهر هذا الأمر جلياً في منشور بونابرت الأول الذي أعلنه على الشعب المصري ، فقد سجله الجبرتي كما وصله بما فيه من أخطاء صارخة صححت غالبيتها في "مظهر التقديس" و "عجائب الآثار" عند طبعهما ، وكان في إستطاعته تصحيح تلك الأخطاء ، ولكن أمانته في المحافظة على النص

---

(٤٤) تاريخ مدة الفرنسيس بمصر ، ص١٩-٢٠ .

(٤٥) انظر: مظهر التقديس ، ص٥٤ .

وصلت إلى درجة متناهية أملت عليه أن يسجله كما هو ، ثم أشار إلى هذه الأخطاء وعقب عليها تحت عنوان :

"تفسير ما أودع هذا المكتوب من الكلمات المفككة والتراكيب الملعبكة " ولم يكن الهدف من هذا التعليق هو إعراب المنشور إعراباً نحوياً فحسب ، بل كان الهدف الأكبر هو دحض إدعاءات بونابرت التي أوردت بهذا المنشور ، بطريقة الإعراب التهكمي [٤٦] ، وعلى سبيل المثال قوله : في إعراب "واحترم نبيه" "وقوله واحترام نبيه معطوف على ما قبله وعطف الكذب على الكذب لأنه لو احترمه لآمن به وصدقه واحترم أمته" وقوله في إعراب "مسلمين" من جملة "أن الفرنساوية وهم أيضاً مسلمين" "مسلمين صوابه الرفع ونكتة العدول إلى النصب إشارة إلى أن إسلامهم نصب " [٤٧] . وغير ذلك من الأخطاء التي أشار إليها وأوضح ما اشتملت عليه من مزاعم ظاهرة البطلان .

ولعل هذه الأمانة في المحافظة على النص عند الجبرتي تعطي لنا مثالاً لأسلوب الجبرتي بوجه عام ، فهو يستعمل اللغة الشعبية الدارجة في رواية الحوادث احتراماً لنص الرواية التاريخية التي نقلها الرواة إليه ، فهو بذلك ينقل لنا صوراً حية عن أحداث العصر ، فيضع يد القارئ على نبض الحياة المصرية فيجعله يحس أنه يعيش في الجو الحقيقي لمصر في عصر الجبرتي [٤٨] .

---

(٤٦) وذلك مثل طريقة الخطيب الشربيني في إعراب قصيدة أبي شادوف في كتابه (هز القحوف في شرح قصيد أبي شادوف) .

(٤٧) تاريخ مدة الفرنسيس بمصر ، ص٧-٨ .

(٤٨) يغير الجبرتي في أسلوبه عندما يترجم لأحد الأعلام ؛ فنراه يتخير الألفاظ الجزلة ويلتزم السجع ، فتبدو في كتابته الصنعة والمحافظة عن طابع الكتابة الذي كان سائداً في عصره .

والمؤرخ الذي يتناول تاريخ الجبرتي بالدراسة لا يرى في أسلوبه عيباً أو نقصاً يقلل من قيمته التاريخية ، لأن الوثيقة التاريخية لا يعيبها رداءة أسلوبها ، ومادامت الحقائق التاريخية بها واضحة فالاستفادة منها كاملة .

كما يلحظ أخيراً ، أن مخطوطة ليدن ليس لها مقدمة ، ولا تحتوي على البسملة ، وبدأها الجبرتي مباشرة بذكر اسم سلطان الدولة العثمانية "السلطان سليم بن مصطفى العثماني" ، وأسماء حكام مصر والشام وعكا ، وأسماء أمراء مصر من المماليك وأتباعهم ، وليس لها خاتمة وإنما أنهاها بقوله : "والحكم لله الواحد القهار" (٤٩) . ويبدو من بدايتها أن عبد الرحمن الجبرتي كان يعتبرها من مقتنياته الخاصة وليست للتداول ، نظراً لما تحتوي عليها من آراء لا يرضى عنها أهل العصر ، ولو كانت معدة للتداول لالتزم فيها القواعد السائدة في التأليف في عصره ، وهي البداية بالبسملة ووضع مقدمة وخاتمة .

غير أنه مما لا شك فيه أنه اعتمد عليها فيما بعد في إخراج كتابيه : "مظهر التقديس" و "عجائب الآثار" ، بعد أن حذف منها تلك الآراء الصريحة والأخبار التي تسيء إلى سمعة بعض الأشخاص ، والواقع أن الجبرتي قد تغيرت آراؤه بتغيير الظروف والملابسات السياسية عندما أعاد كتابة فترة الحملة الفرنسية في كل من كتابيه السالفين وبقى علينا بعد ذلك أن نتعرف على تلك الظروف التي غيرت آراء الجبرتي ، وهذا ما سوف نحاول التعرف عليه فيما يلي :

عقب جلاء الفرنسيين عن القاهرة في صفر ١٢١٦هـ (يوليو ١٨٠١ م) دخلت القوات العثمانية مدينة القاهرة بقيادة الصدر الأعظم يوسف باشا ضياء وعادت البلاد بذلك إلى حظيرة الدولة العثمانية مرة ثانية ، بعد احتلال

---

(٤٩) انظر: لوحة رقم ٢ ، ٤ .

دام أكثـــر من ثلاث سنوات ، وابتهج المصريون بهذا الحادث ابتهاجاً عظيماً ، لأن الـــشعب فـــي مصر كان ينظر إلى الدولة العثمانية على أنها دولة الإسلام الكبـــرى ، تظـــل المـــسلمين بظلها الظليل ، كما كان يرى فيها رمزاً للخلافة الإسلامية.

وكان الجبرتي كغيره من المصريين سعيداً بهذا الحدث ، وقد صور لنا شـــعوره وشـــعور مواطنيه في كتاب كتبه عن أحداث الحملة اشترك في تأليفه معه صديقه الشيخ حسن العطار ، فقد أعاد الجبرتي صياغة ما كتبه عن فترة الحملة في يومياته الخاصة "تاريخ مدة الفرنسيس بمصر" وأضاف إليه ما نمقه صديقه العطار [٥٠] وأخرجا من ذلك كتابا سمياه : "مظهر التقديس بذهاب دولة الفرنسيس" .

بـــدأ الجبرتـــي في تصنيف هذا الكتاب على أثر خروج الفرنسيس من القاهـــرة في أواخر صفر من عام ١٢١٦هـــ ، وانتهى منه كما يقول في سلخ شـــعبان (آخـــره) [٥١] من السنة نفسها ، أي أنه استغرق في ذلك حوالي ستة أشهر ، وأهداه إلى الصدر الأعظم ، فقال في خاتمته : "ثم في الختم به إيماءة إلى أن من ألف الكتاب باسمه وحليت ديباجته برسمه ، وهو مولانا الوزير دام علاه وتحلت الأيام بوجودها فيه وبقاه .. ثم لسدته التي هي ملثم شفاه الإقبال ، ومحط رحال أفاضل الرجال أهدى كاسد هذا التصنيف وخامل هذا الترصيف ،

---

(٥٠) يـــشير الجـــبرتي في مقدمة مظهر التقديس إلى اشتراك العطار بقوله :"وكان ممن اعتنى بجمع تلك الأخبار ونقل غرائب هاتيك الآثار قطب الفضلا .. صاحبنا العلامة حسن بن محمد الشهير بالعطار نظمنا الله وإياه في مسلك الأخيار فـــضممت ما نمقه مع بعض منظومه ومنثوره بحسب المناسبة إلى هذا السفر لينتظم معنا في سلك حسن الذكر وسميناه : مظهر التقديس بذهاب دولة الفرنسيس " ص١٤ .

(٥١) المصدر السابق ، ص٣٨٣ .

فــإن لاحظه بعين القبول ، وذلك هو المبتغي والمأمول ، راج في معالم الأدب سوقه وبطابع السعود لاح شروقه" [٥٢] .

ويبدو من هذا الإهداء أن الكتاب ألف بإشارة من الصدر الأعظم ، فأخذ بذلك طابعه الرسمي .

والكـــتاب من حيث اشتراك العطار في تأليف يختلف بعض الشيء عما ســـجله الجبرتي في يومياته الخاصة (مخطوطة ليدن) ، فهو يحمل بذلك طابعاً مـــزدوجاً لمـــنهج المؤلفـــين (الجبرتـــي والعطـــار) ، حيث نرى فيه اهتماماً بالمحـــسنات اللفظـــية في كثير من المواطن ، وتضمن كثيراً من القطع الأدبية والـــشعرية ، لأن العطـــار أديـــب وشاعر يأسره الأسلوب الأدبي ، ويعبر عن الحـــوادث بشعر أخاذ ، وعلى سبيل المثال ، قال في قصيدته التي أهداها إلى الصدر الأعظم :

لا رعى الله ما مضى مـــن زمـــان	فيه سارت أسافل الأوغاد
واستبدت بملك مصر الفرنسيس	وعاثوا فيها بكل فســـاد
حل فيها منهـــم شياطـــين أنس	هم بقايا الهلاك من قوم عاد
شوهوا حســـنها بأســـود كفر	حين جاءوا بجيشهم كالجراد
واستباحوا الأمـــوال والدم والـــ	عرض وجاءوا بالخسر والإلحاد
ثم زالوا عنهـــا سريعـــاً وبادوا	وعليهم خزي المخاوف بادي
بقـــدوم الـــوزير دام عـــلاه	مقدم الغيث حل محل البلاد
فاكتست مصر بهجـــة وســـناء	وأماطت عنها ثياب الحداد[٥٣]

---

(٥٢) المصدر السابق ، ص٣٨٠-٣٨١ .

(٥٣) المـــصدر السابق ، ص٣٦٢ ، وانظر أيضاً للعطار بعض القطع الأدبية صفحات ٢١٥، ٢١٦ ، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٠ ، ٣٠٧ ، ٣٠٨ ، ٣١٣ ، ٣١٤ ، ٣٦٧ و ٣٦١-٣٦٢ .

والكـــتاب مــن حــيث تأليفه (برسم) الصدر الأعظم يعد بمثابة التاريخ الرســمي للحملـــة ، فاشــتمل على مقدمة ضافية حمل فيها الجبرتي المماليك وحـــدهم مسئولية وقوع البلاد تحت وطأة الاحتلال الفرنسي ، وأرجع ذلك إلي تطرق الخلل إلي دولتهم بسبب ما إبتدعوه من المصادرات التي أفقرت البلاد ، وإهمالهم تحصين الثغور حتى داهمها الفرنسيون . وأثنى علي حكومة الدولة العثمانــية بقــيادة ســلطانها (الغــاز سليم) التي " توجهت إنتصارا للإسلام عــزيمته وتــسامت لإستنقاذ مصر من أيدي أولئك الأشرار همته فوجه إليها بوجــوه دولــته وعــساكر حمايته من كل رئيس بصير بأمور العواقب "[٥٤] ، ورحــب بعــودة الجيش العثماني بقيادة الصدر الأعظم "لأنه أزال دولة الكفار وجدد دولة الأخيار وعادت به بهجة مصر بعد انمحاقها وأشرقت شمس طلعته على آفاقها فانصلح بعد الفساد حالها " [٥٥] .

ومن ثم كان طابع الكتاب الظاهر هو الإشادة بالدولة العثمانية ، بالثناء علــيها والحط من قدر المماليك الذين انحدرت جماعتهم ، وأهملوا أمر الدفاع عــن الــبلاد ، ثــم الحملة الشديدة على فترة الحكم الفرنسي الأجنبي للبلاد ، وإظهـــار الفـــرح بزوالهم ، وحذف كثيراً من المواقف التي ظن أنها تسئ إلى سمعة العلماء أو تضعف من مركزهم أمام السلطات العثمانية العائدة .

والكــتاب مــن ناحــية ثالــثة ؛ يمثل تسجيلاً أميناً لشعور المصريين وابــتهاجهم لجــلاء الفرنــسيين عن البلاد ، وتعليقات الجبرتي فيه تدل على كــراهية ظاهــرة لهذا الاحتلال ، ومرد هذه الكراهية ما رآه من استيلاء دولة أجنبــية لوطنه تختلف في دينها وعاداتها وتقاليدها عن المصريين المسلمين ، رأى الجبرتـــي تبـــرج النساء وشرب الخمر علناً ، وتحويل بعض البيوت إلى

---

(٥٤) المصدر السابق ص ٩ .

(٥٥) المصدر السابق ص١٢-١٣ .

أمـــاكن عامـــة للتـــسلية والمجون ، تقدم الخمر لروادها وتهيئ لهم الاختلاط بالنساء ، وفتح الفرنسيون كثيراً من المحال للدعارة في بعض أنحاء القاهرة ، كانـــت هـــذه العادات والتقاليد الخليعة تتعارض مع تقاليد المصريين الإسلامية فسلط عليها الجبرتي قلمه الناقد [٥٦] .

وتأصـــلت كـــراهية الفرنسيين في نفسية الجبرتي بسبب فظائعهم التي ارتكبوها في البلاد بسبب مقاومة الشعب لهم ، وخاصة أنهم استهدفوا الأزهر بـــسخطهم ، وأنـــزلوا بأهله أشد ضروب الانتقام ، وكانت أشد الفعال وقعاً في نفـــسية الجبرتي ، هي دخول الفرنسيين الجامع الأزهر بخيولهم بعد قمع ثورة القاهـــرة الأولى (في ليلة الثلاثاء ١٣ جمادى الأولى ١٢١٣هـــ -١٣ أكتوبر ١٧٩٨م) يقول الجبرتي في وصف هذا المشهد:

"ثـــم دخلـــوا أولئك الوعول إلى الجامع الأزهر وهم راكبون الخيول .. وداس فيه المشاة بالنعالات ، وهم حاملون السلاح والبندقيات وتفرقوا بصحنه ومقصورته وربطوا خيولهم بقبلته وعاثوا بالأروقة والحارات وكسروا القناديل والـــسهارات .. وشـــققوا الكتب والمصاحف وعلى الأرض طرحوها وبأرجلهم ونعالهم داسوها ، وأحدثوا بالمسجد وبالوا وتغوطوا وشربوا الشراب وكسروا أوانيه وألقوها بصحنه ونواحيه ، وكل من صادفوه به عروة من ثيابه أخرجوه " [٥٧] .

ويرجع الجبرتي هذا العمل الهمجي إلى العداوة الدينية فيقول : "وفعلوا بـــذلك الأزهـــر مـــا ليس عليهم بمستنكر لأنهم أعداء الدين وأخصام متغلبون وغرماء متشمتون".

---

(٥٦) انظر حديث الجبرتي عن هذه البدع في مظهر التقديس : ص٣١٠ -٣١١ .

(٥٧) مظهر التقديس ، ص٨١-٨٢ .

ونلاحظ أن الجبرتي في كتابه "مظهر التقديس" يشير إلى الفرنسيين في كثير من المواطن بقوله : "الكفار" يقول : "وإن من أعظم الدلائل على ما رميت بـه مصر وحل به لأهلها تنوع البؤس والاصر بحلول كفرة الفرنسيس" وقوله عـن الصدر الأعظم "أنه أزال دولة الكفر" و "عصابة الكفار" وقوله عنهم أيضاً "خـسرة الكفـار" ولا يذكـر اسماً لقائد من قوادهم إلا مصحوباً بوصف مهين كقـوله : "اللعـين دبـوي" و "التعس بونابرته" وغير ذلك من الأوصاف التي يلحظها من يتصفح الكتاب [٥٨] .

ويمكننا القول بأن رؤية فرنسا غازية قاهرة لمصر ، وأعمالها الحربية القاسية التي باشرتها في البلاد ، ومخالفة الغزاة للمصريين في الدين والتقاليد واقـتحامهم للأزهـر بخيولهم ، كل ذلك أقام حاجزاً من عدم الثقة وسوء النية بين الغزاة وأهل البلاد ، وقد عبر الجبرتي عن شعور مواطنيه ، ووقف موقف الـرفض لتلك الحملة مهما أبدت من جوانب حضارية نيرة ، وبرزت في كتابه "مظهـر التقديس" حركة التمسك بالتبعية العثمانية والترحيب بعودة العثمانيين واعتبار عودتهم بداية لانبثاق فجر جديد .

بـيد أن الجبرتي عندما أعاد كتابه فترة الحملة الفرنسية مرة ثالثة في كتابه الأخير "عجائب الآثار في التراجم والأخبار" غير آراءه هذه ، وحمل على الدولـة العثمانـية فـي أحكامه واعتبرها مسئولة عن الشقاء الذي عانى منه المـصريون ، ثم أثنى على الفرنسيين في عدة مواضع ، وكانت هناك ظروف وملابـسات جعلـت الجبرتـي يـنهج هذا المنهج الجديد ، وهذا ما نحاول أن نوضحه في النقطة الأخيرة من هذا البحث .

---

(٥٨) انظر هذه الأوصاف على سبيل المثال في مظهر التقديس ، صفحات ٤ ، ٢٣ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٧٩ ، ٢٠٧ ، ٢٥٠ .

عقب جلاء الفرنسيين رزحت البلاد تحت وطأة عهد من الفوضى السياسية امتد من سنة ١٨٠١-١٨٠٥ ، فقد عاد الأتراك إلى مصر والفكرة المسيطرة على أذهانهم هي أنهم نظروا إليها على أنها فتح جديد ، ولهم بفضل هذا الفتح أن ينهبوا ويسلبوا أرزاق المصريين ويسيئوا معاملة الشعب أبلغ إساءة ، وانعكست هذه الفكرة على معظم تصرفاتهم في البلاد عقب عودتهم ، فقد عزلوا قاضي القضاة المصري الشيخ أحمد العريشي الذي عينه الفرنسيون ، وعينوا تركياً مكانه .

وطلب القاضي العثماني الجديد من أرباب العقارات والأملاك أن يشتروها مرة ثانية من الدولة العثمانية ، لأنها "صارت ملكاً للسلطان لأن مصر قد ملكها الحربيون وبفتحها صارت ملكاً للسلطان فيحتاج أن أربابها يشترونها من الميري ثانياً " [٥٩] وعاد الفساد إلى القضاء مرة أخرى ، وتدخل العساكر العثمانيون في الدعاوي فكانوا يأخذون ضريبة لهم على الدعاوي الشرعية ، وقال الجبرتي في ذلك .

"وإذا تداعى شخص على شخص أو امرأة على زوجها ذهب معهم أتباع القلق [٦٠] إلى المحكمة إن كانت الدعوى شرعية فإذا تمت الدعوى أخذ القاضي محصوله ويأخذ مثله أتباع القلق على قدر تحمل الدعوى" [٦١] .

وتمادى العثمانيون في سياستهم ، فامتدت أيديهم إلى أموال الشعب فراحوا ينهبون أرزاقه ويسيئون معاملته أبلغ إساءة [٦٢] .

---

(٥٩) الجبرتي ، عجائب الآثار في التراجم والأخبار ، ج٣ ، ص٢٠٢ .

(٦٠) القلق : تحريف للكلمة التركية (قوللق) وهو مركز العسكر أو ما نسميه الآن نقطة الشرطة ، وتطلق على أحد رجال نقطة الشرطة .

انظر : محمد شفيق غربال ، مصر عند مفترق الطرق ، مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة ، المجلد الرابع ، الجزء الأول ، عدد مايو ١٩٣٦ ، ص٢٢ ، حاشية (١) .

(٦١) الجبرتي ، عجائب الآثار ، ج٣ ، ص٢٠٣ .

وفي غضون ذلك بلغ التذمر الشعبي مداه بسبب خيبة الأمل التي منى بهـا الشعب ، فقد كان ينتظر العدل والإنصاف من العثمانيين المسلمين بعد جلاء الفرنسيين المسيحيين ، وأعلن العلماء رفضهم للظلم أياً كان مصدره ، سـواء أكـان مصدره الفرنسيون (أعداء الدين) ، أم كان مصدره العثمانيون حماة الدين كما يدعون.

وبلغـت مـوجة العداء للعثمانيين في هذه الأثناء درجة كبيرة ، جعلت علماء الأزهر يرحبون بمبعوث فرنسا (المسيو سباستياني) [٦٣](Sebastiani) الـذي وصـل القاهرة في ٢٦ من أكتوبر ١٨٠٢م ، وصارحوه بأنهم يتمنون عودة الحكم الفرنسي لمصر مرة أخرى .

فقد بادر المبعوث الفرنسي بعد وصوله إلى القاهرة بزيارة الشيخ عبد الله الـشرقاوي شيخ الأزهر في بيته في ٢٧ من أكتوبر ، وعقد معه اجتماعاً حضره عدد كبير من كبار العلماء ، ودار الحديث حول اهتمام بونابرت بمصر ، وأظهر العلماء في كلامهم مقدار ما يكنونه لشخص بونابرت من محبة وود ، وعلـق سباسـتياني علـى هذا الاجتماع في تقريره إلى حكومته بقوله : "أنه

---

(٦٢) راجع أعمال السلب والنهب وإيذاء الشعب التي عرضها الجبرتي في عجائب الآثار ، ج٣ ، صفحات: ٢٠٧ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢٤٠ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥١ ، ٢٥٢ –٢٦٠ .

(٦٣) كـان المسـيو سباستياني قد وصل إلى مصر في ١٦ من أكتوبر ١٨٠٢م ، بوصفه وزيراً مفوضاً من بونابرت للوقـوف علـى آخر التطورات بمصر بعج خروج الفرنسيين ؛ ومعرفة موقف كل طائفة من الطوائف المتصارعة على الـسلطة والاتـصال بهم جميعاً ، وكان من خطة المبعوث الفرنسي مقابلة كبار العلماء والتعرف على ميولهم بعد هذه الفتـرة الـتي مضت منذ خروج الفرنسيين ، وقد دون المسيو سباستياني ملاحظاته في تقرير قدمه إلى حكومة القنصل الأول ، وقـد قامت الحكومة الفرنسية بنشر هذا التقرير الخاص بمهمته في الجريدة الرسمية في ٣٠ من يناير ١٨٠٣ ، بعد حذف فقرات منه اقتضت الحكمة السياسية حذفها .

انظر : د.محمد فؤاد شكري ، مصر في القرن التاسع عشر ، ج١ ،ص٣٣ ، ٣٤، ٤٦.

دهــش مما أبداه المشايخ من شجاعة في إعلان رغبتهم في أن يصبحوا مرة أخرى رعايا القنصل الأول" [٦٤] .

ويـــبدو مـــن تقارير المسيو سباستياني أن علماء الأزهر بدأوا يعيدون تقيـــيمهم لفترة الحكم الفرنسي لمصر ، وبدأوا يقرون أن العدل يمكن أن يتأتى مـــن الحـــاكم غير المسلم ، وأن الحكام المسلمين ليسوا في كثير من الأحيان عادلين .

وقـــد تـــرجم الجبرتـــي عن هذا التغيير الجديد عندما أعاد كتابة تاريخ الحملـــة الفرنـــسية مرة ثالثة ، وأخرج عنها الجزء الثالث من كتابه الضخم : "عجائب الآثار في التراجم والأخبار" بعد أن أضاف إليها حوادث ما بين ١٢١٦ هـــ وسنة ١٢٢٠هـ (١٨٠١-١٨٠٥م) ، ففي هذه الصياغة الأخيرة تظهر آراء الجبرتـــي المعـــتدلة ، فقد أشاد ببعض أعمال الفرنسيين ، وأبدى إعجابه ببعض نظمهم الحضارية ؛ في عدة مواضع من كتاب عجائب الآثار ، وكان قد أغفل الإشارة إليها في كتابه مظهر التقديس .

مـــثال ذلـــك إعجابـــه بـــتفوق الفرنسيين العلمي ، وكان قد سجله في مخطوطة ليدن " تاريخ مدة الفرنسيس بمصر" [٦٥] ثم أشار إليه إشارة سريعة في مظهر التقديس [٦٦] ، ثم توسع فيه أخيراً في عجائب الآثار [٦٧] .

وقـــد ســـجل الجبرتـــي منشور بونابرت الأول الذي أعلنه على الشعب المـــصري فـــي يومياته الخاصة "تاريخ مدة الفرنسيس بمصر" ، وفي "مظهر الـــتقديس" ، وعلق عليه بالنقد والتجريح لجميع ما فيه من أخطاء ومزاعم ،

---

(٦٤) المرجع السابق ، ج١ ، ص٣٧-٣٨ .

(٦٥) تاريخ مدة الفرنسيس بمصر ، ص٤٨-٤٩ .

(٦٦) مظهر التقديس ، ص٩٥-٩٦ .

(٦٧) عجائب الآثار ، ج٣ ، ص٣٥-٣٧ .

وذلــك تحت عنوان :"تفسير بعض ما أودعه هذا المكتوب من الكلمات المفككة والتــراكيب الملعبكة" [٦٨] . وهي التعليقات التي سبق أن أشرنا إليها ، أما في عجائب الآثار فقد حذف هذا النقد برمته .

ثــم أثنـــى على تنظيمهم للديوان ، وإعطائهم مرتبات مجزية لأعضائه تغنـــيهم عـــن الارتـــشاء ، فيقول في ذلك : " ورتبوا لكل شخص من مشايخ الديـــوان التـــسعة أربعـــة عشر ألف فضة في كل شهر عن كل يوم أربعمائه نـــصف فـــضة وللقاضـــي والمقيد والكاتب العربي والمترجمين و باقي الخدم مقادير متفاوته تكفيهم و تغنيهم عن الارتشاء " [٦٩] .

ولعل أوضح صورة لهذه المقارنة تظهر عندما نقارن ما كتبه الجبرتي عـــن حادثـــة مقـــتل كليبر ومحاكمة قاتليه – في كلا المؤلفين : ففي (مظهر الـــتقديس) [٧٠] يـــورد خبـــر الحادثة موجزاً ، ولا يسجل محاضر التحقيق ولا محاضر جلسات المحاكمة التي نشرتها الفرنسيون في حينها .

أما في عجائب الآثار فيورد هذه المحاضر بنصها العربي كما نشرت ؛ ويعلـــق علـــيها تعلـــيقاً يدل على إعجابه الظاهر بنظامهم القضائي وضبطهم الأحكـــام ؛فـــيقول :" وقـــد كنت أعرضت عن ذكرها (يعني محاضر التحقيق) لطولها وركاكة تركيبها لقصورهم في اللغة ، ثم رأيت كثيرا من الناس تتشوق نفسه إلي الإطلاع عليها لتضمنها خبر الواقع وكيفية الحكومة (المحاكمة) ولما فـــيها من الاعتبار وضبط الأحكام من هؤلاء الطائفة الذين يحكمون العقل ولا يتديـــنون بـــدين وكيف قد تجري علي كبيرهم ويعسو بهم رجل آفاقي أهوج وغـــدره وقبـــضوا عليه وقرروه ولم يعجلوا بقتله وقتل من أخبر عنهم بمجرد

(٦٨) مظهر التقديس ، ص٣١-٣٥ .

(٦٩) عجائب الآثار ، ج٣ ، ص٤٥ .

(٧٠) مظهر التقديس ، ص٢٤٦-٢٥٠ .

الإقـــرار بعـــد أن عثـــروا عليه ، ووجدوا معه آلة القتل بدم ساري عسكرهم وأميـــرهم بـــل رتبوا حكومة ومحاكمة وأحضروا القاتل وكرروا عليه السؤال والاستفهام مرة بالقول نفذوا الحكومة (الحكم) فيهم بما اقتضاه التحكيم . . . بخـــلاف مـــا رأيـــناه بعد ذلك من أفعال أوباش العساكر الذين يدعون الإسلام ويزعمون أنهم مجاهدون ويقتلون الأنفس وتجاريهم علي هدم البنية الإنسانية بمجرد شهواتهم الحيوانية مما سيتلى عليك بعضهم بعد " (٧١) .

ويـــؤخذ مـــن قول الجبرتي الأخير"مما سيتلى عليك بعضه بعد" أنه قد وضـــع فلنفسه منهجا جديدا لبيان مفسد النظام العثماني والمقارنة بينه وبين الحكم الفرنسي، وهذا ما أوضحه في تلك الصياغة الأخيرة لأحداث الحملة في كتابه "عجائب الآثار" .

ويتـــضح مـــن هذا العرض السريع ؛ أن الجبرتي سجل أحداث الحملة الفرنـــسية بـــادئ ذي في هذا التسجيل الأول مؤرخا أمينا ، يوجد النقض إلي جميع الأطراف بموضوعية ونزاهة ، ولم تؤثر فيه عوامل المعاصرة كالرغبة فـــي التقـــرب إلي الحكام والرهبة منهم ،أو التحرج من بعض الأشخاص ذوي الـــنفوذ ،أو من له بهم صلة ، وهي الأمور التي ظهرت إلي حد كبير من كتابه مصدر التقديس ، وإلي حد ما في " عجائب الآثار" .

---

(٧١) عجائب الآثار ج ٣ ص ١٢٢ .

انتحال المخطوطات :

في أثناء قراءتي لبعض المخطوطات التاريخية بمكتبة الحرم[٧٢] المكي في عام ١٩٧٨م وقع في يدي مخطوطة بعنوان : "تحصيل المرام في أخبار البيت الحرام والمشاعر العظام ومكة والحرم وولاتها الفخام" ومكتوب على ورقة خارجية حديثة ليست من أوراق المخطوطة الأصلية أن المخطوطة من تأليف محمد بن أحمد الصباغ المتوفى سنة ١٣٢١هـ (١٩٠٣م) والصباغ قال عنه الزركلي وكحالة بأنه مكي من أصل مصري له اشتغال بالتاريخ ولد بمكة وتوفي في رحلة له بالمغرب ، له "تحصيل المرام في أخبار البيت الحرام والمشاعر العظام" مخطوط في مجلد ينتهي إلى سنة ١٢٨٧هـ يظن أنه بخطه (الأعلام ٦/١٢ الطبعة الخامسة) .

وقد اعتمد الزركلي في كلامه هذا عن الصباغ وكتابه لا على رؤية المخطوط وإنما اعتمد على معلومات استمدها من مقال للشيخ عبد الوهاب الدهلوي في مجلة المنهل ٣٤٤/٧ وعلى نظم الدرر ، والفهرس التمهيدي ٣٦١ : ورضا كحالة معجم المؤلفين ٢٦٢/٨ زاد بأنه مالكي .

ولكن بعد قراءتي لهذه المخطوطة تتضح الملاحظات التالية :

<u>أولاً :</u> هناك شطب وطمس في عدة مواقع من المخطوط الأمر الذي يجعل القارئ يشك في أن هناك دوافع وراء هذا الشطب لأن المخطوطات لم يكن يستعمل فيها هذا الشطب وإذا أراد المؤلف أو الناسخ تصحيح شيء فإنه يكتب فوقه علامة (صح) ويضيف التصحيح المراد في الهامش طبقاً للتقاليد العلمية المعروفة لدى العلماء في نسخ وكتابة المخطوطات ، وهذا الشطب هو الذي استوقفني .

---

[٧٢] كنت في هذا العام أعمل أستاذاً زائراً في جامعة الملك عبد العزيز فرع مكة المكرمة والتي تحولت فيما بعد إلى جامعة أم القرى .

ففـــي مقدمـــة المخطــوط بعد البسملة يشير المؤلف إلى نفسه فيقول :"يقــول العبد الفقير إلى ربه القدير (شطب) الحنفي مذهباً المكي بلداً" فيلاحظ أن هــنا شطب لاسم المؤلف وهو يتحدث عن نفسه ولم أستطع أن أقرأ الاسم لأن الــذي شطبه استعمل المداد الأسود وترك مذهب المؤلف وهو حنفي بينما مــذهب المنــتحل مالكــي كما سنرى . والقاعدة أن اللص يترك أثراً يدل على عملــه ، فأصبح لدينا إشارتين إلى مذهب المؤلف أن المؤلف يشير إلى نفسه في المقدمة ويقول بأنه حنفي بينما الإشارة إليه في نهاية المخطوط بخط مغاير بأنه مالكي والأوثق عندنا ما هو مكتوب بالمقدمة لأنها هي الأصل .

وفـــي موضع آخر من المقدمة يشطب المنتحل تاريخاً يدل على الوقت الــذي كان المؤلف يكتب فيه هذه المقدمة ، ويقول المؤلف الأصلي : "وأتممته بذكر أمراء مكة من الأشراف وغيرهم طبقة بعد طبقة إلى وقتنا هذا ــــــــــ" وذكر التاريخ الذي حاول المنتحل شطبه بالحبر الأسود أيضاً ، ولكني استطعت أن أتبيــنه بتعــريض الورق للضوء ، وهو سنة ألف ومائتين وتسعة وثمانين للهجرة (١٢٨٩هـ) .

وكــتب المنتحل في نهاية المخطوط إضافة بقلم آخر وخط مغاير تماماً وتنظيم آخر في صفحتين وخمسة سطور جاء في نهايتها "انتهى ما كتبه محمد بن أحمد الصباغ المالكي التيجاني ، وكان الفراغ من تأليفه سنة ألف وثلاثمائة وعشرين " ١٣٢٠هـ .

فكــأن المنــتحل قد شطب اسم المؤلف الأصلي وترك مذهبه الحنفي ، ومحــا الــسنة التـــي أشار إليها إبان تأليفه للمخطوط وأثبت اسمه في نهاية الكــتاب وســنة انــتهائه من تأليفه وهي سنة١٣٢٠هـ . ولما كان المؤلف الأصلي وقف في حوادثه إلى سنة ١٢٨٨هـ فأصبحت هذه زلة أخرى للمنتحل تــدل على انتحاله ، فقد فاته أن يضيف إلى المخطوط تاريخ السنوات ما بين

١٢٨٨هـــ وســنة ١٣٢٠هـ وقد حاول في هذا المجال ولكنه لم يستطع أن يــضيف ســوى صفحتين وخمسة سطور بخط وتنسيق وحبر وأسلوب مغاير للمؤلف الأصلي أضافهما بطريقة واضحة قبل الفهرس النهائي .

كمــا يلاحــظ أن الورقتين المضافتين من نوع مغاير للورق الأصلي ، فالأصلي ورق سميك خاص بالمخطوطات والمضافتان من ورق ضعيف لم يكن يليق بالمخطوطات .

ومـــن الــشطب الذي يعين على معرفة المؤلف الأصلي عبارة تتصل بذكــر صــلة النسب الذي بين المؤلف وبين بعض من ترجم لهم وهو الشيخ محمــد بــن عــبد الله ابـــن يحيى بأفضل المتوفى يوم السبت الموافق لخمس وعشرين مضت من ذي الحجة سنة ألف ومائتين وواحد وثمانين وصلى عليه بالمسجد الحرام بعد العصر ودفن بالشبيكة ثم شطب المزور بعد ذلك العبارات التالــية ، وهــي :"وكان متزوجاً بأخت الفقير رحمه الله تعالى وقد تمكنت من قــراءتها بتعريض الأصل للضوء وعبارة الفقير كانت تستعمل يومئذ للإشارة إلـــى المؤلــف تواضعاً وكل من يتحدث عن نفسه ، فكلما أشار إلى نفسه قال الفقير من باب التواضع .

ويلاحــظ أن المنـــتحل نزع ورقتين هما ٢٠٤ ، و٢٠٥ وكتب غيرهما بخط مغاير لخط المخطوط الأصلي كما أهمل المغير ترقيمهما والمعلومات بهما عـــن الفترة التي تلي إمارة الشريف محمد بن عبد المعين ١٢٧٢هـــ وأضاف في الورقة ٢٠٤ ترجمة الشريف عبد المطلب غالب وهذه الإضافة ظهرت في التغييـــر الذي أحدثه في الفهرس حيث أنه غير في الفهرس أيضاً بنفس الحبر والخـــط الجديـــد ، ولو كانت هذه الإضافة موجودة في الأصل لما لزم إضافتها إلـــى الفهـــرس ، ولا نعرف الدوافع وراء هذه الإضافة وهذا التغيير ، كما أننا

بالتالـــي لا نعــرف مـــا كان موجوداً بالأصل من معلومات وربما كانت تتصل بالمؤلف الأصلي لأنه معاصر لهذه الأحداث .

وقـــد قـــام فاعــل مجهول غير المنتحل ربما دوافعه تختلف عن الأول بمحاولـــة شطب كثير من سطور المخطوط وذلك بنفس الطريقة حيث استعمل المـــداد الأسود ولكن قليل الطمس بحيث تبدوا الكلمات المشطوبة واضحة لمن يدقـــق فـــي قـــراءتها وخاصـــة إذا عرضها لضوء ونظر من الناحية الأخرى وغالبـــية المواضـــع المـــضروب علـــيها أي المشطوبة تتعلق بذكر المقامات والقباب.

ومـــن ذلك على سبيل المثال ما حدث في ورقة ١٧٠ عند الحديث عن قبر محمود بن إبراهيم بن أدهم يقول المؤلف " وممن دفن في غير مقابر مكة ســـيدي محمـــود بـــن إبـــراهيم بن أدهم دفن بمكة بأول جرول كذا في "تاريخ الرحمات على من فات" ثم شطب بعدها العبارات التالية ولكنها تقرؤ بسهولة : "وقد بني عليه قبة في زمن السلطان عبد المجيد خان ثم هدمت القبة المذكورة وبنـــي غيـــرها قـــبة عالية إبراهيم الشرباص ينة ثمانية وثمانون بعد الألف والمائتين " .

عنوان الكتاب :

يقـــع هذا المخطوط في ٢٢٦ صفحة عدا الفهرس ، في كل صفحة من أوراقـــه مـــا بـــين ثلاثة وعشرين وأربعة وعشرين سطراً وفي كل سطر من سطوره ما بين ١٢ كلمة و١٥ كلمة .

أمـــا بالنـــسبة لعنوان الكتاب فقد أشار إليه المؤلف في المقدمة بقوله (صفحة ٢) :

" وســـميته تحـــصيل المـــرام في أخبار البيت الحرام والمشاعر العظام ومكـــة والحـــرم " وجاء في صفحة العنوان بخط نسخ واضح ومداد أحمر ما نصه :

"هـــذا تحـــصيل المرام في أخبار البيت الحرام والمشاعر العظام ومكة والحـــرم وولاتهـــا الفخـــام " فهناك اختلاف طفيف بين عبارة المقدمة وعبارة صفحة العنوان وذلك بزيادة لفظتي : "وولاتها الفخام" .

أما الإشارة إلى الكتاب في فهرس مكتبة الحرم المكي فتأتي على النحو التالي :"تحصيل المرام في أخبار البلد الحرام" رقم ١١ تاريخ مخطوط دهلوي . وبـــذلك يرى القارئ أن هناك تباين واضح في اسم الكتاب ويبدو أنه وقع عن طريق الخطأ وعدم الدقة في إثبات اسم الكتاب في فهرس مقتنيات مكتبة الحرم المكي .

والأصـــح من هذه العناوين كلها ما هو موجود في مقدمة المؤلف فهو أدعـــى للـــثقة مـــن غيره الذي لم يلتزم كاتبوه الدقة في إشارتهم إلى عنوان المخطوط كما نوه به مؤلفه في المقدمة .

ويـــوجد تملـــيك علـــى صفحة العنوان باسم : أبو الفيض عبد الستار الصديقي الحنفي وهذا نصه : "في ملك الفقير أبي الفيض عبد الستار الصديقي الحنفي عفى عنه" وهذا التمليك مؤرخ بسنة ١٣٢٢هـ .

ويلـــي اسم الكتاب في صفحة العنوان سطر بالمداد الأسود به العبارات التالـــية "اللهم اجعل آخر كلامي لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم" يلي هذا عبارة تنص على وقف الكتاب بالمكتبة الفيضية المباركشاهوية البكرية وهذا نصها :

"الوقف لله بالمكتبة الفيضية المباركشاهوية البكرية حرسها رب البرية عن كل آفة وبلية آمين" .

يلي هذا بخط رقعة وحبر أزرق من الأحبار الحديثة ما نصه :

تأليف

العلامة الشيخ محمد بن أحمد المعرف بالصباغ المكي من علماء القرن الثالث عشر .

مصادر المؤلف :

أوضـــح المؤلف المجهول في المقدمة المصادر التي استقى منها مادته العلمـــية حـــيث قال في المقدمة بكل أمانة : إنه انتخبه من كتب عديدة منها : السيرة النبوية للشيخ على بن برهان الدين الحلبي ، ومن شفاء الغرام والعقد الثمـــين للـــسيد تقـــي الدين الفاسي مؤرخ مكة ، ومن كتاب المواهب اللدنية للحـــافظ أحمـــد بـــن محمد الخطيب القسطلاني وشرحها للشيخ محمد بن عبد الباقي الزرقاني والبحر العميق لأبي البقاء محمد بن أحمد بن محمد أبي الضيا المكي العمري القرشي ، ومن كتاب " الأعلام لأهل بلد الله الحرام للشيخ قطب الدين (النهروالي) محمد بن أحمد المكي الحنفي مؤرخ مكة ، ومن كتاب "درر الفـــرايد" للـــشيخ عبد القادر الأنصاري الجزيري الحنبلي مؤرخ مكة ، وكتاب "زبـــدة الأعمال في فضائل مكة" للشيخ سعد الدين الاسفراييني ، وكتاب "أخبار مكـــة" للأزرقـــي وكتاب :"منايح الكرم في أخبار البيت وولاة الحرم" للخاوي ، وكـــتاب "توضيح المناسك" وحاشيته لشيخ المؤلف الشيخ حسن بن إبراهيم بن حـــسين عامـــر المغربـــي مفتـــي المالكية بمكة (توفي سنة ١٢٩٢هـ [٧٣]) وغيرهم [٧٤] .

---

[٧٣] الأعلام ، للزركلي .

[٧٤] انظر المخطوط ص٢ .

والكتاب ممتاز لخص فيه مؤلفه ما كتب عن أخبار مكة والحرم حوالي ثلاثة عشر قرناً من كتب شتى ويهتم بوجه خاص بما جرى على الحرم المكي من تغييرات خلال العصور المختلفة والعمائر التي قام بها الملوك والسلاطين ، كما يذكر طرفاً من تاريخ الأشراف بمكة .

ملخص المخطوط :

يـــشتمل هـــذا المخطوط على مقدمة وستة أبواب يشتمل كل منها على فصول ، وخاتمة في ذكر أمراء مكة .

فالـــباب الأول : في بناء البيت الحرام وذكر من بناه وأول من بناه ، وذكـــر الكـــسوة ، وفضائل البيت وما يتعلق بالحجر الأسود والمطاف وسدنة البيت الحرام ، ويشتمل على ١٨ فصلاً .

والباب الثاني : في ذكر زمزم وأول من حفرها ومشروعية السعي ، وحفـــر عـــبد المطلـــب لها ، وذرع زمزم ، وساقية العباس رضي الله عنه ، وفضائل زمزم ، ويشتمل هذا الباب على ثلاثة فصول .

الـــباب الـــثالث : فيما كان عليه وضع المسجد في الجاهلية وصدر الإسلام ، ويشتمل على تسعة فصول .

والـــباب الـــرابع : فـــي ذكر مكة المشرفة وأسمائها وفضل جبالها والأماكن المباركة فيها ، ومساجدها ، ويشتمل على ثلاثة فصول .

والـــباب الخـــامس : فـــي فضل مكة المشرفة وفيما جاء في تحريم حـــرمها وفـــضل أهلها ، وحكم المجاورة بها وفضلها ، وفي أن مكة والمدينة أفضل بقاع الأرض ، ويشتمل على خمسة فصول .

والباب السادس : في ذكر عيون مكة والبرك والآبار والسقايات مما هـو بها وبالحرم وما قاربها ، وذكر مياضيها والمدارس والأربطة الموقوفة ، ويشتمل على أربعة فصول .

الخاتمة : بذكر أمراء مكة من الأشراف وغيرهم وذكر بعض الحوادث وهناك تعليقات شتى في هوامش الكتاب بخط ومداد مغاير للأصل .

وأخيـراً أتمنـى لـو أن كـتاباً آخرين أسهموا في كشف اسم المؤلف الأصلي لهذا المخطوط ، هذا والله أعلم بالصواب .

الإضافات الهامشية :

هـناك إضـافات هامـشية بحبـر مغاير وخط مغاير أيضاً ، وفي هذه الإضـافات تأتي فوائد مثل إثبات تاريخ معين أو ترجمة علم أو إضافة خبر أو إثبات كلمة سقطت سهواً من الناسخ .

فمـن الإضافات التوضيحية للأمكنة (ص٨) عند الحديث عن بناء آدم للكعـبة وأنـه بناها من عدة جبال منها جبل رضوى ، فجاء عند جبل رضوى وأضاف في الهامش قوله :

"رضوى كسكرى وهو جبل بقري ينبع في طريق المدينة "

وقـد وردت في ص٢٩ الحديث عن كسوة الكعبة فيقول "كانت الكسوة تـارة من قبل سلاطين مصر وتارة من قبل ملوك اليمن إلى أن اشترى الملك الناصـر قـلاوون قـريتين من قرى مصر ووقفها على كسوة الكعبة أحدهما اسمها بيسوس والأخرى سندبيس" .

وعـند ذلـك أضـاف المضيف الإضافة التالية في الهامش بخط ومداد مغايرين :"قال المهودي وفي عشر الستين وسبع مائة اشترى السلطان الصالح إسـماعيل بـن الناصر محمد قرية من بيت مال المسلمين بمصر ووقفها على

كسوة الكعبة المشرفة في كل سنة وعلى كسوة الحجرة والمنبر في كل خمس سنين مرة ، وذكر التقي الفاسي والزين المراغي إلا أنه قال في كسوة الحجرة في كل ست سنين مرة تعمل من الديباج الأسود مرقوماً بالحرير الأبيض ولها طراز منسوج بالفضة المذهبة ...إلخ" .

وهناك إضافة في صدر ص١٦٤ تحدث فيها المضيف عن جواز زيارة القبور فقال تحت عنوان فائدة :"في المدخل لابن الحاج المالكي أما زيارة القبور فجايز خصوصاً إن كان ممن ترجى بركته أو قرابته للنبي صلى الله عليه وسلم فيجوز التوسل بهم إلى الله وأن الله قد اختارهم وشرفهم وكرمهم فكما ينتفع بهم في الدنيا ففي الآخرة أكثر فمن أراد حاجة فليذهب إليهم ويتوسل بهم فإنهم الوسيلة إلى الله تعالى لخلقه وما زال الناس من العلماء والأكابر كابر عن كابر يتبركون بهم شرقاً وغرباً يتبركون بزيارة قبورهم ويجدون بركة ذلك حساً ومعنى ..." إلى آخر ما أضاف من أقوال تتعارض مع الإيمان الصحيح ، مما يدل على أن كاتب هذه الإضافة ممن يخالفون الدعوة السلفية في الحجاز ويعترض على إزالة القبور التي قام بها السلفيون في الحجاز .

والملاحظ أن هذه الإضافة الهامشية بنفس الخط والحبر الذي كتبت به الإضافة الأخيرة في نهاية الكتاب والتي رجحنا أنها من إضافة المنتحل وهو محمد الصباغ الذي أورد فيها اسمه وسبق أن أشرنا إليها .

وإضافة أخرى في (ورقة ١٦٩) بخط نسخ ومداد أسود خفيف عن مداد الأصل وهي ليست بخط المنتحل الذي أشرنا إليه سالفاً وهي تتعلق بالتعليق على (حي الزاهر بمكة) عندما ذكر قصة بعض العلويين الذين استشهدوا بالزاهر فقال في الهامش :"والزاهر المذكور قال ابن بطوطة في رحلته لما حج سنة سبعمائة وخمسة وعشرين قال : فيه أثر دور وبساتين

وأسواق وعيون ونخيل وفيه عين ماء مجراها من المشرق إلى المغرب بقرب الجبل الذي تحته قبر عبد الله بن عمر انتهى باختصار" .

ومـــن الإضافات أنه علق على فترة ولاية الشريف مسعود بن سعد بن زيـــد الذي توفي سنة ألف ومائة وخمسة وأربعين ١١٤٥هـــ (خمسة وستين مـــن تصحيح المعلق) فقال :"ومما كان من الحوادث في دولة الشريف مسعود أنـــه نادى على جميع الغربا من جميع الأجناس بالتوجه إلى بلادهم وشدد في ذلـــك وسبب ذلك كثرة الغربا بمكة حتى صاروا يتعاطون بيع الأقوات واستولوا علـــى باقي الدفاتر السلطانية من المرتبات فسافر خلق كثير وكان ذلك سنة (١١٤٩هـــ) " من تاريخ شيخنا أحمد دحلان . [انظر ظهر ص ٢٠٠] .

الفصل الثالث

الكتابات التاريخية عن العصر العثماني (بصفة عامة)

تعـد الكتابات التاريخية التي كتبها مؤرخو العصر العثماني قليلة إذا ما قـورنت بالكـتابات الـضافية التي وصلتنا عن فترة عصر المماليك (البحرية والجراكسة) ، مما يدل على تأخر الكتابة التاريخية في العصر العثماني ، وذلك علـى الرغم من وجود مصادرها الأصلية التي سبق أن أشرنا إليها ، فهي من وجهة نظرنا تعتبر فترة مظلومة وليست مظلمة كما يحلو للبعض أن يصفها ، الجبرتي يحاول في مقدمة كتابه (عجائب الآثار) أن يفسر لنا سبب هذا النقص فيقول بعد أن ذكر عدة مراجع تاريخية :

(هـذه صـارت أسـماء من غير مسميات ، فإنا لم نر من ذلك كله إلا بعض أجزاء مدشته بقيت في بعض خزائن كتب الأوقاف بالمدارس مما تداولته أيـدي الـصحافيين وباعهـا القـومة والمباشـرون ونقلت إلى بلاد المغرب والسودان) أي أنها تسربت في نظرة إلى خارج البلاد .

ثـم يقول في موضع آخر : (ثم ذهبت البقايا في الفتن والحروب وأخذ الفرنـسيس مـا وجـدوا إلى بلادهم ، ولما عزمت على جمع ما كنت سودته وأردت أن أصـله بشيء قبله فلم أجد بعد البحث والتفتيش إلا بعض كراريس سودها بعض العامة من الأجناد ركيكة التركيب مختلفة التهذيب والترتيب وقد اعتـراها النقص في مواضع من خلال بعض الوقائع ، وكنت قد ظفرت بتاريخ مـن تلك الفروع ، ولكنه على نسق في الجملة مطبوع لشخص يقال له أحمد

جلبـي عـبد الغنـي مبـتدئاً فيه من وقت تملك بني عثمان للديار المصرية ، وينتهي كغيره ممن ذكرناه إلى خمسين ومائة وألف هجرية ، ثم أن هذا الكتاب اسـتعاره بعـض الأصحاب وزلت به القدم ووقع في صندوق العدم ومن ذلك الـوقت إلى وقتنا هذا لم يتقيد أحد بتقييد ولم يسطر في هذا الشأن شيئاً يفيد ، فـرجعنا إلـى الـنقل مـن أفـواه الـشيخة المسنين ، وصكوك دفاتر الكتبة والمباشرين وما انتقش على أحجار ترب المغبورين) .

وفي موضع ثالث يذكر أن السبب يرجع إلى نظرة أهل العصر إلى علم الـتاريخ وعـدم اهتمامهم به وتوفرهم على غيره من المؤلفات فيقول : (نبذه أهل عصرنا وأغفلوه وتركوه وأهملوه وعدوه من شغل الباطلين وقالوا أساطير الأولين)(١) .

وبالإضـافة إلى الأسباب السالفة التي أشار إليها الجبرتي فإننا نستطيع القول بأن التدهور العام الذي أصاب الحياة الفكرية في العصر العثماني قد ألقى بظله على الكتابة التاريخية بدورها (٢) .

ومـع ذلك فقد ظهر في مصر في العصر العثماني عدد لا بأس به من المؤرخـين الـذين ألفوا كتباً في التاريخ العام و تاريخ مصر بصفة خاصة و يأتـي فـي مقدمتهم المؤرخ محمد بن إياس المصري المتوفى سنة ١٥٢٤م (٩٣١هـ) وأحمد بن زنبل المحلي الرمال المتوفى بعد سنة ١٥٥٢م ومحمد بـن أبـي السرور البكري الصديقي المتوفى سنة ١٠٨٧هـ ومحمد بن عبد المعطـي الإسـحاقي مـن رجال القرن الحادي عشر الهجري (١٧ ميلادي) ،

---

(١) انظر: عبد الرحمن الجبرتي ، عجائب الآثار ، طبعة المطبعة العامرة الشرقية ، القاهرة سنة ١٣٢٢هـ ، ج١ ، ص ١-١١ .

(٢) انظـر عرضـاً وافياً لخصائص الحياة العلمية في العصر العثماني للدكتور محمد أنيس ، في كتابه : مدرسة التاريخ المصري في العصر العثماني ، من مطبوعات معهد الدراسات العربية القاهرة ، سنة ١٩٦٢م ، ص١٣-١٨ .

وعـــبد القادر الأنصاري من رجال القرن العاشر الهجري (١٦م) وعبد الرحمن الجبرتي ذائع الصيت المتوفى سنة ١٢٤٠ (١٨٢٥م) وغيرهم .

أمـــا (أحمد بن زنبل المحلي الرمال) فقد كان من الأجناد الذين لم تكن صـــنعتهم كتابة التاريخ بل تناولوه بدافع الرغبة والهواية وهؤلاء أطلق عليهم الجبرتـــي لفـــظ العامـــة حـــين قال : (ولم أجد بعد البحث والتفتيش إلا بعض كـــراريس ســـودها بعـــض العامة من الأجناد ركيكة التركيب مختلفة التهذيب والترتيب) .

وقـــد كـــتب ابـــن زنبل كتاباً في تاريخ الفتح العثماني لمصر سجل فيه حوادث الفتح يوماً بعد يوم سماه (تاريخ أخذ مصر من الجراكسة) ، وله كتاب آخـــر فـــي التاريخ باللغة التركية وهو يشتمل على حكام مصر العثمانيين في زمـــنه ، وكتاب ثالث في الجغرافيا أطلق عليه اسم : (تحفة الملوك والرغائب لما في البر والبحر من العجائب والغرائب) وكلها مازالت مخطوطة حتى الآن.

محمد بن إياس المصري :

محمـــد بـــن إيـــاس المـــصري الحنفـــي من أصل مملوكي ويعتبر من المؤرخـــين المخـــضرمين الـــذين عاصروا نهاية دولة المماليك وبداية العصر العثمانـــي في مصر ، وقد ولد بالقاهرة سنة ١٤٤٨م وكان جده الأكبر ويدعى أزدمـــر العمري الناصري الشهير بالخازندار وكان من أمراء الدولة المملوكية البحـــرية الأولـــى وتقلد عدة وظائف عامة فيها وكان جده لأبيه واسمه إياس الفخري من مماليك الظاهر برقوق وتولى وظيفة الدوادار الثاني زمن السلطان فـــرج بن برقوق أما والد بن إياس واسمه شهاب الدين أحمد فكان كما وصفه ابـــنه مـــن مـــشاهير الفـــرقة المملوكية التي ضمت أبناء الأمراء الذين كانوا يحـــصلون على إقطاعات من الدولة ، وكان محبباً إلى كثير من أمراء الدولة

وأربابها ، وذكر ابن إياس أيضاً أن والده هذا قد عمر نحوا من أربع وثمانين ســنة ومات سنة ١٥٠٢م وخلف بنتاً واحدة وصبيان أحدهما محمد بن إياس نفسه وأخيه الجمالي يوسف بن أياس.

ويتــضح من ذلك أن ابن أياس نشأ في وسط مملوكي بحت ، وأنه قد اتــصل بــبعض رجــال الدولــة المملوكية في عصر قايتباي والغوري بصلة المصاهرة والقرابة وقد حج ابن اياس سنة ١٤٧٧م دون أن تسند إليه وظيفة معيــنة فــي الــركب المصري وشهد ما لقي الحجاج من عنت في تلك السنة وغلاء وفناء بمكة ، ووصف لنا ما حدث في موسم الحج في تلك السنة وصفاً دقــيقاً يعطينا فكرة عما كان يقع بين السلطات المملوكية وبعض ذوات الحجاز وأمرائه .

وتمــتع ابــن إيـــاس في معظم حياته بإقطاع وافر من الدولة ، فعاش عيشة راضية مكنته من التوفر على الكتابة والتأليف في التاريخ وكان بجانب اشــتغاله بتــسجيل الحولــيات التاريخية يعالج نظم الشعر والزجل والمواويل والموشــحات والمزدوجات في مناسبات شتى ، على أن منظومات بن إياس لا ترقـــى إلـــى درجـــة الإجـــادة وكلهـــا تدور حول مدح أو رثاء لبعض الأمراء والــسلاطين ، ومنها ما هو تهنئة بالشفاء من مرض أو نجاة من محنة لعين مــن أعــيان الدولة ومنها ما هو نقد أو تعقيب على بعض الأعمال الحكومية ويــذهب الــبعض إلـــى أن هذه المنظومات التي كانت تدور حول رجال الدولة تعتبــر مــن القــرائن علـــى أن ابـــن إيـــاس تولـــى وظيفة مؤرخ الدولة (Historiographer) في الحكومة المملوكية ، وذلك على الرغم من أن ابن إيـــاس لم يذكر لنا شيئاً من هذا القبيل في كتبه برغم أن وظيفة بهذا الاسم لم تعرف في نظام المماليك ، ويبدو أنه غدا من رجال الأدب المشغوفين بالعيش علـــى هـــامش الحاشية السلطانية المتصلين ببعض رجالها كأبيه من قبل وأنه

اعـتماد علـى نظـم الشعر حباً للشهرة كلما واتته الفرصة ، وعلى كل حال فالواضـح من أشعاره وأزجاله هذه والمناسبات التي قيلت فيها أنه عاش فرداً متتـبعاً عـن كتب حوادث المجتمع الذي عاش فيه ، وليس ذلك بصفة مؤرخاً معيناً بتدوين الحوادث والأخبار فحسب بل لأنه كان رجلاً يعيش عصره بكل ما فيه في دولة بدت عليها أعراض الاحتضار والانحلال ، وربما كان أوضح دليل على هذه الحساسية الخاصة بأحداث عصره قصيدته التي نظمها بصدد ضرائب المـشاهرة التـي ألغاها السلطان الغوري أواخر أيامه ومرثيته التي قالها في وقعة الفتح العثماني لمصر .

وفـي سنة ١٥٠٨م جرد السلطان الغوري كثيراً من الأمراء والأعيان ومنهم ابن إياس من اقطاعاتهم للصرف على شئون الدولة وذلك عندما نزلت الضائقة الاقتصادية بمصر بعد اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح ، وتسببت هـذه الإجراءات الاقتصادية في تعكير صفو الحياة على ابن إياس إلى حين ، وعـندما شـكا ابن إياس سوء حالته إلى السلطان الغوري في سنة ١٥١٠م استجاب له ورد عليه اقطاعاته ومدحه ابن إياس من أجل ذلك بقصيدة طويلة من نظمه المعتاد .

مؤلفات ابن إياس :

أهـم مـؤلفات ابـن إياس على الإطلاق كتابه الكبير في تاريخ مصر المـسمى (بدائع الزهور في وقائع الدهور) وهو كتاب شامل لتاريخ مصر منذ أقـدم العصور إلى أوائل العصر العثماني ووقف فيه ابن إياس إلى نهاية عام ٩٢٨هـ/١٥٢١م ، وهذا الكتاب هو الذي استحق به ابن إياس مركز الزعامة بين معاصريه من المؤرخين في مصر في أواخر القرن الخامس عشر الميلادي وأوائل القرن السادس عشر .

وابن إياس ينتمي في نظر مؤرخي العصر المملوكي أكثر من انتمائه إلى العصر العثماني ولذلك وضعه الأستاذ الدكتور محمد مصطفى زيادة في عداد مؤرخي القرن الخامس عشر على الرغم من أنه مات في سنة ١٥٢٤م (٩٣١هـ) أي بعد الفتح العثماني بثماني سنوات شاهد فيها الفتح العثماني والتنظيمات العثمانية الأولى في مصر وأرخ لها (٣) .

ومن مؤلفات ابن إياس في التاريخ كتاب : (عقود الجمان في وقائع الأزمان) وهو مختصر مستقل لتاريخ مصر وليست له أية علاقة بكتابه الكبير ، ثم كتاب : (نزهة الأمم في العجائب والحكم) وهو مؤلف صغير في تاريخ العالم ، وكتاب (مرج الزهور في وقائع الدهور) وهو مؤلف شعبي في قصص الأنبياء والرسل ، ويذهب البعض إلى أن هذا الكتاب الأخير ربما كان لغير ابن إياس من المؤرخين وذلك على الرغم من إشارته هو لبعض محتوياته في الجزء الأول من كتابه الكبير بدائع الزهور ، وله أيضاً كتاب : "تشق الأزهار في عجائب الأقطار" وهو كتاب في الفلك والهيئة وتركيب الكون وآثار مصر الفرعونية وملوكها .

على أن شهرة ابن إياس تستند كلية إلى كتابه الأول في التاريخ (بدائع الزهور في وقائع الدهور) فقد سار به ابن إياس عمدة المؤرخين في أحوال دولة المماليك وأخبارها مدة الطور الأخير من حياتها كما هو أيضاً المرجع الرئيسي لحوادث الفتح العثماني لمصر .

وأحدث طبعة لابن إياس هي الطبعة التي نشرتها جمعية المستشرقين الألمانية بتحقيق محمد مصطفى في خمسة أجزاء طبعت بالقاهرة بدار إحياء

---

(٣) يمكن الرجوع في دراسة ابن إياس إلى ما كتبه الدكتور محمد مصطفى زيادة في كتابه (المؤرخون في مصر في القرن الخامس عشر الميلادي) وإلى ما كتبه المؤرخ البريطاني مارجوليوث في كتابه محاضرات في المؤرخين العرب :

Margo liouth : lectures on Arabic Histopians

الكتب العربية (عيسى البابي الحلبي) ظهر الجزء الرابع منها سنة ١٩٦٠ والخامس سنة ١٩٦١م والثالث سنة ١٩٦٣م إلى أن طبع الجزء الأول وهو الأخير في الطباعة سنة ١٩٧٥م .

وقد عالج ابن إياس الفتح العثماني في هذا الكتاب ولم يكن من المؤيدين للسادة الجدد ولذلك تلمس في حديثه عن الفتح العثماني وسياسية العثمانية في مصر الكثير من التحقير والنقد اللاذع غير أن أمانته العلمية ودقته فوق مستوى الشبهات فهو لا يزال المرجع الأول حول فترة الفتح العثماني .

والواقع أن ابن إياس كان على جانب كبير من القدرة في النقد فلم يقف عند سرد الحوادث والوقائع والوفيات على وتيرة أغلب السالفين من كتاب التاريخ بل وقف بين الحادثة والأخرى يشرح ويحلل ويعقب ويفلسف على شيء من القسوة في الحكم والجراءة في التقدير والمغالاة نوعاً ما في التصوير .

ويتضمن هذا الكتاب أخبار مصر منذ أقدم العصور وما ورد عنها في القرآن الكريم وفي الأحاديث النبوية الشريفة ، وأقوال العلماء والشعراء في أخبارهم والتقسيم الجغرافي في البلاد ويعطي فكرة عن أعمال الديار المصرية وكورها ويذكر من دخل مصر من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ومن كان بمصر من الحكماء في أول الدهر ، ومن دخلها من الصحابة والتابعين .

ثم يتحدث بأسلوب العاشق عن فضائل مصر وما خصت به من المحاسن دون غيرها من البلاد ثم بتناول أخلاق أهل مصر وطبائعهم وأمزجتهم وما أشبه ذلك ، وما قاله الشعراء في وصف مصر ونيلها ويذكر من ملك مصر في أول الزمان ومن ملكها من الفراعنة ، ثم يتحدث عن الأقباط بمصر وبعد ذلك يعد وسريعاً إلى تاريخ دخول الإسلام بمصر وفتحها على يد

عمـــرو ابن العاص سنة ٢١هـــ ويتناول في سرعة ذكر أخبار مصر في عصر الولاة من قبل الخلفاء الراشدين والأمويين ، ثم العباسيين ، والدولة الطولونية والأخـــشيدية والفاطمية والأيوبية ودولة المماليك الأولى حتى يأتي إلى الفترة التاريخـــية التـــي عاصرها من تاريخ الدولة المملوكية الثانية وذلك ابتداء من الجـــزء الـــثالث من هذا الكتاب ابتداء من سلطنة الأشرف قايتباي (٨٧٢هـــ) وذلـــك حتـــى سنة ٩٢٨هـــ ، وهذه الفترة (سنة ٨٧٢هـــ - سنة ٩٢٨هـــ) تعتبر أهم ما كتبه ابن إياس ذلك لأنه عاصرها وعايشها وكتب عنها بملاحظته الشخـــصية لأحداث عصره أما ما ورد في الجزء الأول والثاني من الكتاب فقد نقلـــه مـــن المؤرخـــين الـــسابقين لـــه كالطبري وابن عبد الحكم وابن الأثير والمسعودي والمقريزي وغيرهم .

ولذلك فالمعول لدى الباحثين على الأجزاء الثلاثة الأخيرة من كتاب ابن إيـــاس. وقـــد ارتفع ابن إياس في هذا الجزء لدرجة المؤرخين المجيدين ولذا ميـــزة مارجوليوث عن جمهرة المؤرخين المسلمين في مصر وغيرها بقوله : (إن أســـلوبه فـــي الكتابة والتأليف وعظمه في التفكير ينم كل منها عن فردية واستقلال في الرأي قل أن يدانيه فيه معظم المؤرخين .

أمـــا عـــن أسلوبه فهو أسلوب شعبي دارج ويقع في كثير من الأخطاء اللغوية الظاهرة ويستعمل الألفاظ العامية كما ينطقها أبناء الأحياء الشعبية من السوقة والحرافيق ولذلك يقع ابن إياس عرضة للنقد الموجه نحو هذا الأسلوب وخاصة من الباحثين في المحال الأدبي لأن الأديب تأسره الألفاظ الأدبية الرنانة ، بـــيد أن المـــؤرخ لا ينظـــر إلي كتابات ابن أياس من ناحية رونق الأسلوب وبلاغـــته وإنما من ناحية الأخبار وصدقها وطريقة عرضها ومعايشة المؤرخ لهـــا ، بـــصرف النظـــر عما فيها من أخطاء فالرواية التاريخية أهم شئ فيها الـــصدق بغض النظر عن الأسلوب الذي صيغت به ، فالاستفادة منها كاملة في

أي أسلوب وضعت ، والمؤرخ الأمين (كابن إياس) أشبه شيء بالمصور المبدع الذي ينقل صوراً كاملة عن المجتمع بكل ما فيه من عيوب ، فكتابات ابن إياس صورة صادقة لعصره وهي من هذه الزاوية تعتبر مجالاً لدراسة اللغة العربية وتطورها .

أما عن أخلاق ابن إياس فلا سبيل لمعرفة ما اشتهر به من صفات عند معاصريه لندرة ما كتب عنه في كتب المعاصرين له ، على أن كتبه التي ألفها وملاحظاته التي أودعها إياها عن نفسه وحوادث عصره ورجاله تدل على الكثير من كنة شخصيته الكبيرة ، فضخامة مؤلفاته برهان على أنه ظل طول حياته مجداً في الكتابة ، وقسوته في الحكم على الناس تخبر بعلو مستواه الخلقي ، وتناوله الحكم العثماني في مصر بالنقد والسخرية أحياناً لإهمال رجاله مصالح المصريين ، يعطيه مكانة سامية بين مفكري عصره إذا علمنا مبلغ ما أحاط السيادة العثمانية في القاهرة من رهبة وخشية .

غير أن ابن إياس يقف عند بداية العصر العثماني لذلك لتصور كتاباته تحول المجتمع المصري من العصر المملوكي إلى العصر العثماني ، والواقع أن المراجع فقيرة في هذه الناحية .

محمد بن أبي السرور البكري :

هو من علماء القرن الحادي عشر الهجري (١٧ ميلادي) وقد نشأ في بيئة علمية ذات ثراء واسعة النفوذ مكنته من أن يكون أكثر إلماماً بأحداث عصره من معاصريه وكان والده من كبار علماء الأزهر ولقبه ابنه (أبو السرور) بشيخ الإسلام وكان عميداً لأسرة البكري المعروفة بمصر والتي

تنتسب إلى أبي بكر الصديق [٤] وله أربعة كتب تاريخية مازالت مخطوطة هي :

١- الروضـــة المأنوسة في أخبار مصر المحروسة ، وفيه يؤرخ لولاة مصر وقضاة العسكر في العصر العثماني إلى سنة ١٠٥٤هـــ .
٢- عيون الأخبار ونزهة الأبصار ، وهو تاريخ مختصر لمصر والدول التي تعاقبت عليها إلى آخر عصر المماليك الجراكسة .
٣- المـــنح الـــرحمانية في الدولة العثمانية ، وفيه يؤرخ السلاطين آل عثمان وينتهي إلى سنة ١٠٢٩هـــ .
٤- النـــزهة الـــزهية في ذكر ولاة مصر والقاهرة المعزية ، وهو بحث مختصر في ذكر خلفاء وملوك مصر ونوابهم منذ أقدم العصور إلى دولـــة السلطان مراد ابن السلطان أحمد في سنة ١٠٤٢هـــ ختمه بحديث عن خصائص مصر وعجائبها .

له بحث خامس منشور [٥] تحت عنوان : كشف الكربة في رفع الطلبة يتحدث فيه عن الصراع الذي نشب منذ الربع الأخير من القرن السادس عشر بـــين جند الحامية العثمانية من جانب و الباشوات العثمانيين من جانب آخر ، يوضح فيه أسباب هذا الصراع وتأثيره علي الحياة الاقتصادية والاجتماعية في مصر من ناحية وعلي الحكم العثماني نفسه من ناحية أخرى .

محمد بن عبد المعطي الإسحاقي :

هـــو محمـــد بن عبد المعطي بن أبي الفتح بن أحمد بن عبد الغني بن علي الإسحاقي المنوفي الشافعي ، وهو من رجال القرن الحادي عشر الهجري

(٤) انظر بحثاً وافياً عن (بيت الصديق) لمحمد توفيق البكري ، مطبوع بالقاهرة سنة ١٣٢٣هـــ .

(٥) انظر: د.عبد الرحيم عبد الرحمن ، دراسات في مصادر تاريخ مصر في العصر العثماني (تحقيق وتقديم كتاب كشف الكربة في رفع الطلبة) منشور في مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، المجلد الثالث والعشرون سنة ١٩٧٦م .

(١٧م) وقـــد ترجم له المحبي في كتابه (خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر) فقال عنه : " أنه كان قاضياً عالماً ومؤرخاً كثير النظام صحيح الفكرة ، ولـــه تاريخ لطيف ، ورسائل كثيرة ، قرأ ببلده علي شيوخ كثيرين وكان يتردد علـــي مـــصر (القاهرة) وأخذ بها عن أكابر علمائها ، وتوفي في نيف وستين وألـــف ببلده منوف كتابه التاريخي الذي سماه : " لطائف أخبار الأول في من تصرف في مصر من أرباب الدول) ويعرف بتاريخ الإسحاقي .

وقـــد قسم الإسحاقي كتابه هذا إلي مقدمة عن فضائل مصر وذكرها في كتاب الله تعالى وما ورد عنها من أحاديث وعشرة أبواب في تاريخ مصر منذ عـــصر الخلفـــاء الراشـــدين حتى سنة ١٠٣٣ هـــ ، وقد طبع هذا الكتاب في القاهـــرة طبعات مختلفة في السنوات : ١٢٧٦ هـــ ، ١٢٩٦ ، ١٣٠٠ هـــ . ويمـــتاز كـــتاب الإسحاقي بالمعلومات الاقتصادية الوفيرة ، فهو يتناول أسعار الـــسلع فـــي كثيـــر من مواطن كتابه مما يضفي علي كتابه أهمية خاصة في الـــتاريخ الاقتـــصادي ، وبـــه معلـــومات قـــيمة عـــن أوقـــاف الحـــرمين الشريفين،والـــصرة الـــشريفة لأهالـــي الحـــرمين الشريفين وعن قافلة الحج المصرية .

حسين أفندي الروزنامجي :

هـــو مـــؤرخ الـــنظم المـــصرية فـــي العصر العثماني وكان من رجال الروزنامة (الإدارة المالية) في مصر أبان الحملة الفرنسية علي مصر ، وابان حـــوادث الحملة (١٢١٣ـــ ١٢١٦ هـــ / ١٧٩٨ـــ ١٨٠١ م) اهتم الفرنسيون بمعرفة طرق حكم الديار المصرية ونظام أرضها وكيفية جباية أموالها ، ولقي الفرنـــسيون عـــناء شديداً تجاه جمع المعلومات المطلوبة ، وذلك لفرار الباشا والروزنامجـــي واســـتعان مدير المالية الفرنسي استيف (Esteve) برجل من

رجال الروزنامة في مصر وهو حسين أفندي الروزنامجي فأجابه على الأسئلة التـــي وجهها إليه ، ونظم حسين أفندي إجاباته في ستة عشر باباً ، وكان هذا بـــتاريخ ١٣ من المحرم سنة ١٢١٦هـــ (أواخر مايو سنة ١٨٠١م) أي قرب انتهاء العهد الفرنسي ، وتقع هذه الأبواب في خمس وسبعين صفحة في مجلد مخطـــوط بقلـــم معـــتاد محفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ١١٥٢ تاريخ بعـــنوان : (تـــرتيب الـــديار المـــصرية في عهد الدولة العثمانية) وقد نشرها المـــرحوم المـــؤرخ شـــفيق غربال وعلق عليها في مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة في المجلد الرابع – الجزء الأول – مايو سنة ١٩٣٦م .

وفـــي هـــذا المخطـــوط تعـــريف بمـــصر العثمانية ونظامها وأمرائها وصـــناجقها والأوجاقات السبعة وأسمائها ، والتعريف برجال القضاء في مصر العثمانـــية وأفـــندية الروزنامة وخدمتهم والأقاليم المصرية والتعريف بالتزام الملتزمين والأراضي المصرية وضبط أطيانها إضافة من المخطوط .... إلخ ، وغير ذلك من الموضوعات الخاصة بالنظم المصرية في العصر العثماني .

والذي يكتب في تاريخ النظم المصرية في العصر العثماني لا بد له من الرجوع إلى هذا الكتاب الهام .

عبد القادر الأنصاري الجزري :

هـــو من رجال القرن العاشر الهجري (١٦م) قضى معظم حياته موظفاً في إدارة الحج بالقاهرة ، وصحب قافلة الحج من مصر إلى الحجاز عدة أعوام ، وقد مكنته وظيفته من تأليف كتاب حول طريق الحج ومناسك الحج بعنوان: (درر الفـــوائد المنظمة في أخبار الحج وطريق مكة المعظمة) وهو عبارة عن مذكـــرات شخصية كتبها الجزري عن تجاربه في وظيفة ضمنها معلومات قيمة عن أخبار الحج ومنازله وكيفية الرحيل والنزول والإقامة ، وأرخ فيه لمن حج بالناس من الخلفاء والصحابة والأمراء والأعيان من مختلف القاع والأماكن ،

كمـــا شرح مناسك الحج على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، ورتب الحوادث فيه على السنين الهجرية[٦] .

وتـــوجد مـــن هذا الكتاب نسخة في المكتبة الأزهرية تحت رقم ٢٨٤٤ تـــاريخ وهـــي بخـــط المؤلـــف ، ومنه نسخة ناقصة في دار الكتب المصرية بالقاهرة ، وأخرى في المكتة التيمورية [٧] .

أحمد الدمرداش (كتخدا غربان) :

مـــن مؤرخـــي الأجناد ، ومن الواضح من لقبه أنه كان يتولى منصب الكتخدائـــية بأوجاق غربان (وكيل رئيس الأوجاق) وهو يأتي بعد منصب الأغا قائـــد الأوجـــاق كمـــا كـــان أوجـــاق غربان يأتي في المرتبة التالية لأوجاق الانكـــشارية . وقـــد ألـــف الدمـــرداش كتاباً سماه : (الدرة المصانة في أخبار الكنانة) وهو مخطوطة ضخمة في جزئين بالمتحف البريطاني بلندن .

ويتـــناول كـــتاب الدمرداش تاريخ مصر السياسي من سنة ١٠٩٩هـــ حتـــى سنة ١١٦٩هـــ ويبدوا أن الدمرداش توفي بعد هذا التاريخ لأنه ذكر في آخـــر مؤلفه ما يلي: (هذا وقد نهيت تاريخي على ذلك وإن أعطاني الله عمراً زدتـــه مما أراه عياناً) ، ومن هنا يعتبر كتاب الدمرداش مكمل لكتاب الجبرتي (عجائـــب الآثـــار) لأن الجبرتي بدأ يكتب بدقة وإفاضة منذ عام ١١٩٠هـــ ، وتأتـــي أهمية كتاب الدمرداش من ناحية أن الفترة التي تناولها بالتاريخ كان معاصراً لأحداثها بل اشترك فيها ولذلك تتميز كتاباته بالإدراك العميق للنزعات المملوكية العثمانية في تلك الفترة في صراعها على السلطة.

---

(٦) انظر : د. جمال الدين الشيال ، التاريخ والمؤرخون في مصر في القرن التاسع عشر ، القاهرة سنة ١٩٥٨م ، ص٦ -٧ .

(٧) أقوم الآن بدراسة حول هذا المخطوط .

وبالكـــتاب مجمـــوعة من المصطلحات التاريخية بالعصر العثماني في مجـــال الإدارة والجـــيش والمالية . ويتناول التركيب الطائفي للمجتمع ، وهو مجـــال للدراسات الاقتصادية حيث يكثر فيه الدمرداش من ذكر الأسعار ارتفاعاً وانخفاضاً ، كما يقدم صورة واضحة من الحياة الاجتماعية بما فيها من عادات وتقاليد وطنية ودينية (٨) .

وقسم الدكتور محمد أنيس مدرسة التاريخ المصري في العصر العثماني إلى ثلاثة أقسام أو مدارس :

أولاً : مدرسة المؤرخين العلماء المتأثرة بمدرسة التاريخ الإسلامي كابن إيـــاس وأحمـــد شـــلبي عبد الغني والإسحاقي وابن أبي السرور البكري وعبد الرحمن الجبرتي وعبد الله الشرقاوي .

ثانياً : مدرسة التراجم ، ومنهم العيني في القرن العاشر والمحبي والزبيدي والجبرتي في القرنين الحادي عشر والثاني عشر .

ثالـــثاً : مدرسة الأجناد : وهي التي اهتمت بصفة خاصة بحوادث الحروب والفـــتن بين الحاميات العثمانية التي ملأت هذا العصر ، وهي تبتعد كثيراً عن مدرســـة العلمـــاء فـــي فهمها للتاريخ فهي تكتب بدون خطة للبحث وبأسلوب شعبي دارج ويمثلهم ابن زنبل الرمال والدمرداش ومصطفى بن الحاج إبراهيم في القرن الحادي عشر (٩) .

المراجع الأجنبية :

بجانـــب مـــا تقـــدم من مراجع عربية هناك أيضاً كتب الرحالة الأجانب الذين زاروا مصر في فترة العصر العثماني والمستشرقين الذين تناولوا تاريخ

---

(٨) انظر : د. محمد أنيس ، مرجع سبق ذكره ، ص٥٥-٥٧ .

(٩) المرجع السابق ، ص١٨ .

مــصر فــي أبحاثهم ومن هؤلاء على سبيل المثال لا الحصر الرحالة الفرنسي فولني .

هو قسطنطين فرانسو فولني (١٧٥٧-١٨٢٠)

Constantin Francois Volney

وقد استطاع فولني بفضل ثروته وحبه للإطلاع والبحث أن يسافر إلى مصر وبلاد الشام وقضى بها ثلاثة أعوام من ١٧٨٣ حتى ١٧٨٥ ، وقد مكث معظــم هذه الفترة في بلاد الشام بسبب اضطراب أحوال مصر العامة ولم يزر من المدن المصرية سوى القاهرة والإسكندرية ورشيد والسويس ونشر رحلته عام ١٧٨٧م تحت عنوان:

"Voyage en Syrie et en Egypte"

وتعتبر رحلته من أدق كتابات الرحالة الأوروبيين عن مصر في القرن الــثامن عشر ونشرت في بيروت سنة ١٩٤٩م تحت عنوان (ثلاثة أعوام في مصر وبر الشام) .

وكـــتب الأســـتاذان : (هاملـــتون جـــب H. Gibb) و (هارولد بوون Harold Bowen) كـــتابهما القـــيم (المجـــتمع الإسلام ي في القرن الثامن عـــشر) وهي دراسة أكاديمية تعتمد على الوثائق العربية والتركية والأوروبية أتمها المؤلفان ونشرت في لندن عام ١٩٥٠م ، وتوضح هذه الدراسة في ستة فصول نظام الدولة العثمانية وعلاقتها بالشريعة الإسلام ية والخلافة الإسلام ية والهيئة الحاكمة بها ، والإدارة في الولايات العربية ، والفلاحون وحيازة الأراضي والزراعة ، والمدينة والصناعة والتجارة .

وقـــد ترجم هذا المؤلف إلى العربية الدكتور أحمد عبد الرحيم مصطفى وراجعـــه الدكـــتور أحمـــد عزت عبد الكريم ونشرته دار المعارف بمصر عام

١٩٧١م فــي مجلدين تحت عنوان (المجتمع الإسلام ي والغرب) وبه توضيح لكثير من المصطلحات التركية .

ومــن المراجع الأجنبية الهامة عن فترة الحكم العثماني وعصر الحملة الفرنـسية تلــك الموســوعة الكبيرة التي كتبها علماء الحملة تحت عنوان : (وصــف مــصر) Describtion de l'egypte وعلى الرغم من قيمة هذا الكــتاب إلا أنــه مــازال باللغة الفرنسية ولم يترجم إلى الآن ، وتوجد الطبعة الثانية منه في حوزة دار الكتب المصرية في ٢٦ جزءاً .

وقــد طــبع هذا السفر الذي اسمى بحق انسكلوبيديا مصرية مرتين :

الأولــى : وقــد استغرق العمل فيها من ١٨٠٩ إلى ١٨٢٢ وظهرت في تسعة مجلدات ضخمة في تاريخ مصر منذ أقدم العصور حتى عصر الحملة الفرنسية.

أما الطبعة الثانية : فهي في ٢٦ جزء بالإضافة إلي ١١ مجلداً للوحات وهو جدير بالذكر أن محتويات المجلدات ٢٦ هي نفسها محتويات المجلدات ال ٩ فــي الطبعة الأولي ، وغاية ما في الطبعة الثانية أنها وزعت علي مجلدات أصغر حجما من الطبعة الأولي ، وقد بدأ العمل في هذه الطبعة من عام ١٨٢١ وانتهي في عام ١٨٢٩ .

وللمــرحوم الأســتاذ (زهير الشايب) جهود صادقة في مجال تعريف قــراء العــربية بمحــتويات هــذه الموسوعة الضخمة فقد قام بمجهود فردي لترجمة بعض محتوياتها نشر بعضها في مجلة الثقافة ، ونشر منها قبل وفاته سنة ١٩٨٢ م الأعداد التالية :

١- المجلــد الأول : دراســة فــي عادات وتقاليد سكان مصر المحدثين ، تأليف دي شابرون من علماء الحملة الفرنسية ، القاهرة ١٩٧٦م ، مطبعة الجملاوي / القاهرة .

٢- المجلد الثاني : العرب في ريف مصر وصحراواتها ، تأليف نخبة من علماء الحملة الفرنسية ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ١٩٧٨م .

٣- المجلد الثالث : المدن والأقاليم المصرية ، تأليف نخبة من علماء الحملة الفرنسية ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ١٩٧٨ م .

٤- المجلد الرابع : الحياة الاقتصادية في القرن الثامن عشر – الجزء الأول (الزراعة – الصناعات والحرف – التجارة) تأليف نخبة من علماء الحملة الفرنسية ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ١٩٧٨م .

٥- المجلد الخامس : الحياة الاقتصادية في مصر في القرن الثامن عشر – الجزء الثاني (النظام المالي والإداري في مصر العثمانية) تأليف نخبة من علماء الحملة الفرنسية ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ١٩٧٩م .

٦- المجلد السادس : الحياة الاقتصادية في مصر في القرن الثامن عشر – الجزء الثالث (الموازين والنقود) تأليف صمويل برنار من علماء الحملة الفرنسية ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ١٩٨٠م .

٧- المجلد السابع : الموسيقى والغناء عند قدماء المصريين ، تأليف فيوتو ، من علماء الحملة ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ١٩٨١م .

إدوارد وليم لين :

يعتبـــر المستشرق الانجليزي إدوارد وليم لين أعظم وأشهر مستشرق إنجليزي وقد زار مصر ثلاث مرات ، الأولى من ١٨٢٥-١٨٢٨م والثانية من ١٨٣٣-١٨٣٥ والثالـــثة مـــن ١٨٤٢-١٨٤٩م ، وتظاهـــر باعتناق الإسلام وتـــسمى باسم منصور ، وعاش بحي السيدة زينب ودرس بالأزهر على طائفة من علمائه وبرع في العربية ، وترجم كتاب (ألف ليلة وليلة) إلى الإنجليزية ثم أصـــدر قاموسه الشهير في العربية والإنجليزية ، ووضع عدة كتب عن مصر أشهرها كتابه المعروف (عادات المصريين المحدثين وشمائلهم) :

Manners and Customs of the Modern Egyptians

وقد ترجم هذا الكتاب إلى العربية الأستاذ عدلي طاهر نور عام ١٩٥٠م في ترجمة موجزة حذف منها بعض فصول الأصل الإنجليزي ، ثم ترجمه مرة أخـــرى تـــرجمة وافـــية لكل محتويات الأصل الإنجليزي ، ونشر بالقاهرة سنة ١٩٧٥م ، نشر دار النشر للجامعات المصرية ، وذلك تحت عنوان :

(المـــصريون المحدثون شمائلهم وعاداتهم في القرن التاسع عشر) ثم نـــشر الأستاذ عدلي طاهر نور أيضاً كتاباً عن ترجمة حياة إدوارد وليم لين و أعماله وفترة إقامته بمصر بعنوان (المستشرق الكبير إدوارد وليم لين) ونشر في نفس الدار السالفة سنة ١٩٧٣م.

وقـــد تـــناول إدوارد ولـــيم لـــين في كتابه السالف عادات المصريين وملابـــسهم ونظام الأسرة والحياة المنزلية ، وعادات المجتمع العامة ، واللغة والآداب والعلـــوم والخـــرافات السائدة على أيامه والسحر والتنجيم وأثر هذه الأشياء في الناس من وجهة نظره ، ثم تناول الصناعات والألعاب والموسيقى والـــرقص وغيـــرها وتـــناول الأعـــياد الدينية والوطنية ، والوفاة والطقوس

الجنائـــزية وغيرها من الأمور التي لاحظها ووصفها بدقة وحللها وعلق عليها من وجهة نظره .

وتعتبـــر كـــتابات لـــين مكملـــة لكتابات الجبرتي حيث أن لين كانت له ملاحظاته على بعض العادات والتقاليد التي لا تلفت نظر الجبرتي لتكرارها في الحـــياة المصرية ، بيد أنها تلفت نظر الأجنبي فيسجلها ، ومن ثم يجد القارئ فـــي كـــتاب لين وغيره من الكتب الأجنبية ما لا يجده في المؤلفات العربية ، ولذلك فكتابات الرحالة الأجانب تعتبر مكملة للكتابات العربية في هذه الناحية ، مع ملاحظة أنه يجب على القارئ لكتب الرحالة الأجانب أن يأخذ بحذر كل مـــا يـــتعلق بتفـــسيرهم وتحليلهم للظواهر الاجتماعية فغالبية آرائهم في هذا المجـــال *تعتبـــر من وجهة نظرهم فقط وقد تصيب* أحياناً *وتخطئ أحياناً* كثيرة .وفـــيما يلـــي نص بحث بعنوان :مصر في نظر المستشرق الإنجليزي إدوارد ولـــيم لين ، قدمته في ندوة عقدت بجامعة الأزهر بعنوان : مصر في الآداب العالمية .

مصر في نظر المستشرق الإنجليزي " إدوارد وليم لين":

يعتبر المستشرق الإنجليزي "إدوارد وليم لين" أعظم وأشهر مستشرق إنجليزي ، وقد زار مصر ثلاث مرات:

الأولى : من ١٨٢٥-١٨٢٨م

والثانية : من ١٨٣٣-١٨٣٥م

والثالثة : من ١٨٤٢-١٨٤٩م .

وتظاهـــر بالإســـلام وتسمى باسم : (منصور) ، وعاش بحي السيدة زينب ودرس بالأزهر على طائفة من علمائه وبرع في العربية ، وترجم كتاب

(ألــف لــيلة ولــيلة) إلى الإنجليزية ، ثم أصدر قاموسه الشهير في العربية والإنجليــزية ، ووضع عدة كتب عن مصر أشهرها كتابه عن (وصف مصر) Description of Egypt فــي ثلاثــة مجلــدات مازالــت مخطوطة وكتابه الشهير(عادات المصريين المحدثين وشمائلهم) Manners and Castoms of the Modern Egyptions طبع سنة ١٨٣٦م .

وقد ترجم هذا الكتاب إلى العربية الأستاذ عدلي طاهر نور عام ١٩٥٠م في ترجمة موجزة حذف منها بعض فصول الأصل الإنجليزي ، ثم ترجمه مرة أخــرى تــرجمة وافية لكل محتويات الأصل الإنجليزي ، ونشر بالقاهرة سنة ١٩٧٥م بــدار النــشر للجامعــات المصرية وذلك تحت عنوان : " المصريون المحدثون شمائلهم وعاداتهم في القرن التاسع عشر " .

ثم نشر الأستاذ عدلي طاهر كتابا عن حياة المستشرق إدوارد وليم لين وأعماله وفترة إقامته في مصر بعنوان : " المستشرق الكبير إدوارد وليم لين " ونشر أيضا في دار النشر للجامعات المصرية بالقاهرة سنة ١٩٧٣م .

وقــد تــناول إدوارد ولــيم لــين في كتابه السالف عادات المصريين وملابــسهم ونظــام الأسرة والحياة المنزلية ، والعادات العامة في المجتمع ، واللغــة والآداب والعلــوم ومجتمع العلماء بالأزهر ، والخرافات السائدة على أيامــه والــسحر والتنجــيم وأثر هذه الأشياء في الناس من وجهة نظره ، ثم تــناول الــصناعات والألعــاب والموسيقى والرقص وغيرها ، وتناول الأعياد الدينــية والوطنية ، والطقوس الجنائزية في الوفيات وغيرها من الأمور التي لاحظهــا ووصفها بدقة وحللها وعلق عليها من وجهة نظره . وسنتناول هذه الملاحظات التي أبداها "لين" عن الشعب المصري ومجتمع علماء الأزهر ونبذه عن حياته فيما يلي :

من هو إدوارد وليم لين ؟

ولـــد إدوارد ولـــيم لين في ١٧ من سبتمبر ١٨٠١م بمدينة (هرفورد) التـــي تقع غربي لندن على بعد ١٦٦ ميلا بطريق القطار ، وينتمي إلى عائلة متوسطة ، فأبوه يدعى "تيوفيلس لين Theophilus lane" كان حاصلا على درجـــة الدكتوراه في الدراسات القانونية ، وكان قسيسا لبعض الكنائس يتناول مرتبا منها وتوفى والده وهو في الثالثة عشرة من عمره في سنة ١٨١٤م .

أمـــا والدته فهى (صوفيا جاردنر Sophia Gardiner) تنتسب إلى خالهـــا الرســـام الـــشهير توماس جنسبوره Thomas Gainsborough (١٧٢٧-١٧٨٨م) وأنها قضت فترة طويلة من طفولتها في مرسم خالها وأنها عملت على تنمية الذوق الفنى لذلك في ابنها لين . [١]

وكان لعمل والده في مهنة قسيس أثر في تربيته على المبادئ الدينية . وقد التحق لين بعد وفاة والده بمدارس مخصصه لدراسة أصول اللغة اللاتينية واليونانـــية ، وأقبل على العلم ولزمه منذ البداية ، وحذق في الأدبين الاغريقى والرومانى وألم باللغات السامية والرياضيات .

وكـــان لـــين يعد نفسه للحصول على شهادة "جامعة كمبردج" ثم يسلك الكهـــنوت مـــع أبـــيه وكان ينتمى إلى الكنيسة البروتستانتية ، وطبقا لنشأته الدينية وتوجيه والدته التي تولت امر تربيته بعد وفاة أبيه ، وتركت في نفسه أثـــراً دينياً عميقا وقوة خلقية ساطعة . لكنه بعد فترة تخلى عن فكرة الالتحاق "بكمبردج" عندما عرف أن مستواها العلمى دون طموحه ، وأهمل بالتالى فكرة الانتماء إلى الكنيسة .

---

[١] عدلي طاهر نور ، المستشرق الكبير إدوارد وليم لين ، القاهرة سنة ١٩٧٣ ص٢١ .

واشـــتغل مـــع أخيه "ريتشارد" في مهنة الرسم بالحفر في لندن في فن الطـــباعة واكتـــسب مـــنها مهـــارة فـــن الرسم الذي أجاده عندما أخرج أدق الرسومات التي أوضح بها نصوص كتابيه: " المصريون المحدثون " و "وصف مـــصر" واتـــضح ولعه بالشرق وعلى الأخص مصر فبدأ يقرأ عنها فيما كتبه الرحالة ، وعلى الأخص رحلات "سافاري" .

وأخذ يدرس اللغة العربية قبل سفره إلى مصر ، ورحل إلى مصر سنة ١٨٢٥م وهـــو يعلـــم عـــنها ما يكفيه ، وكان يتشوق إلى شمس الشرق لعلة لازمـــته في لندن حيث أصيب بالتهاب رئوي مزمن بسبب حمى تيفودية ولذلك كـــان جسده هزيلا ضعيفا لا يقوى على العمل الشاق بسبب قسوة برد الشتاء في لندن ، ويحس بافتقاره إلى شمس الشرق .

وعـــرف لـــين أن العقـــبة التي تعترض أي رحالة أجنبي إلى الشعوب الإســـلامية هـــي أن هـــذه الشعوب تنظر إلى أصحاب العقائد الأخرى نظرة عدائـــية فـــرأى أنه لكي ينجح في رحلته أن يتقدم إليهم في صورة مسلم وهذا الأمـــر لا يكلفه شيئا لأنه كان قد تعلم اللغة العربية ويحفظ بعض آيات القرآن الكريم ثم قرر أن يرتدى الملابس الشرقية وأن يحافظ على التقاليد الإسلامية ، وأخيـــرا علـــيه أن يتخذ اسما إسلاميا فسمى نفسه (منصوراً) وبذلك أصبح الذي يراه لا يشك في أنه شرقي بسبب هذا التخفى .

وكـــان هـــذا الأسلوب من التخفي شائعا بين كبار رحالة القرن الثامن عـــشر والتاسع عشر فالسير (ريتشارد بورتو) حج إلى مكة في ثياب درويش فارسي .

والأســـباني (جفيرا) طاف بالمغرب على أنه مسلم ارتد عن المسيحية وأتخذ اسم القائد إسماعيل .

والفرنـــسي (رينـــيه كيليه) رحل إلى تمبوكتوا في صورة مسلم شرقي انفصل عن والديه منذ الطفولة .

والدكـــتور (لينز) أشقر الشعر ، ويجهل العربية تماما ذهب من طنجة إلى تمبوكتوا متخفيا وراء مظهر طبيب عثماني وهكذا .

والأسباني (دومنجو باديا) قبل أن يذهب إلى رحلة له في إفريقيا ذهب إلـــى لـــندن حيث اختتن عند طبيب يهودي وحصل على الوسائل التي سوف يحـــتاج إليها في رحلته ، واستقر رأيه على أن يحمل اسم (على بك عبد الله) واستقر أخيرا على أن يصبح (على بك العباسى) وفي طنجة قدم نفسه على أنه ســـوري مسلم درس العلوم منذ طفولته في إيطاليا وفرنسا وأسبانيا وإنجلترا وادعـــى أنـــه نـــسى لغته القومية وأنه أتى إلى الشرق ليتعمق في دين آبائه وأجداده . [١٠]

وكـــذلك إدوارد ولـــيم لـــين لـــبس الملابس الشرقية وادعى أنه تركي وتـــسمى باسم (منصور) وكان يعرف العربية لأنه تعلمها في بلاده ، ولا يشك أحـــد يقابله أنه مسلم ، أما اللكنة التي في لسانه فهي نظراً لأنه تركي ، وهنا فـــإن منظـــره هكذا كان مقبولا لدى المصريين ، هذا بجانب أنه كان ودودا لا يفعل شيئا يتصادم مع عقائد المصريين المسلمين.

ومـــا كـــاد لـــين يـــصل إلى سواحل الأسكندرية حتى نزل إلى الشاطئ متـــشوقا وقد اشتد به الانفعال ، وقد وصف شعوره في تلك اللحظة بقوله : " اقتربت السفينة إلى الشاطئ وقد انتابتني مشاعر بالاهتمام الشديد الذي يشوبه قلق عميق ، فيحد من بهجة تلك المشاعر " فكان يشعر وكأنه " عريس شرقي يوشك أن يرفع النقاب عن وجه عروسه التي لم يرها بعد " .

---

[١٠] طاهر احمد مكي ، رحلة أسباني يصف الإسكندرية في مطلع القرن الماضي، العدد السابع من مجلة وجهات نظر ، ص٤٦.

ولم يكن لين مثل غيره يقصد مصر للترويح والتسلية ، فهو يحدثنا عن هدفه فيقول :

" لم تكن زيارتي لمصر لغرض اللهو ومشاهدة أهراماتها ومعابدها ومقابرها ثم أغادرها إلى أماكن ومتع أخرى بعد أن أشبع فضولي ، وإنما كنت على وشك أن أقذف بنفسي كلية بين غرباء عني ، وسط شعب سمعت عنه الكثير من الأخبار المتناقضة ، وكان على أن آخذ لغتهم وشمائلهم وملبسهم ، وكان هدفي لأستزيد في دراسة آدابهم ، أن أعايش المسلمين منهم بصفة خاصة " [١١] .

ويقول في المقدمة :

" والمقصد الأول من وضع هذا الكتاب هو تمحيص الأشياء وتحقيق الحوادث ، فلم أصح بالحقيقة في سبيل تجميل القصة ، أما الصور التي رسمت فيه فقد رسمتها للشرح لا للزينة [١٢] "

ويعتقد بعض من درس حياة لين دراسة سطحية أنه اعتنق الإسلام ، والواقع أن علاقته بذلك الدين لا تزيد عن فهم أصوله واحترامها ، ولم تكن ممارسته لشعائرهم غير محاولة للتقرب من المسلمين ودراسة معتقداتهم وعاداتهم ، ولم تؤثر إقامته الطويلة في الشرق في عاطفته الدينية البروتستانتية ، وظل قائما على إيمانه بدينه منذ طفولته .

ويقول ستانلي بول حفيد أخته الذي كان يلازمه في أواخر حياته :

" إن معرفة لين باللغات السامية التي كتب بها العهدان القديم والحديث ، وفهمه لأسلوب التفكير السامي قد غير بلا جدل بعض

---

[١١] المرجع السابق ، ص ٢٦ .

[١٢] إدوارد وليم لين ، المصريون المحدثون شمائلهم وعاداتهم ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، ١٩٧٥م ، ص٩ .

معـــتقداته الدينية الثانوية . غير أنه بقى مؤمنا بالتعاليم الجوهرية فلم تتغيـــر عقيدته البروتستانتية ، ولم يكف عن القيام بواجباته الدينية في الكنيسة كلما استطاع إلى ذلك سبيلا يوم الأحد ، ويمضى بقية اليوم في دراسة الكتاب المقدس الذي كان يتخذه مرشدا في حياته الدنيوية [١٣] "

وقـــال الـــشيخ الدسوقى (الذي لازمه في رحلته الثالثة) عن تدين لين وهـــو الـــذي كـــان ملازما له بالقاهرة مدة طويلة : " ومع ذلك لم يزل هذا الرجل عيسوى الدين معتقداً في صحة الإسلام وعقيدة المسلمين ، كأنه كان يظـــن عـــدم عمـــوم رســـالة "ســـيد ولد عدنان" ، وعدم نسخ دينه للأديان ، بروتستانتي المذهب مع عائلته يقول بنبوة عيسى ورسالته ، لا كما يعتقد بقية النـــصارى ممـــن صاروا في كلمة الله عيسى حيارى ، هذا وكان يعتقد حرمة تعاطـــى الخمـــر والخنزير ، ويقول إن أكابر الانجليز البروتستانيين على هذا الـــرأى النضير ، معللا ذلك بأنهما يضران بالصحة ، فانظر وفاقهم لنا في هذه اللمحة [١٤] "

ويذكر لين عن سماحة المصريين قوله :

" ومـــن بواعث الأدب أو الصالح الذاتي أن يتحدث المسلم أحيانا إلى المسيحي ، وخاصة الأوربي بلهجة كريمة ، وقد يصرح بصداقته ، وهو يضمر الازدراء له ، ولما كان المصريون المسلمون يحكمون على الفرنج بمقتضى ما يظهر من الذين يسكنون مدنهم ، وأكثرهم من شذاذ الآفاق ونفاية البلاد ، فمن الصعب لومهم على ازدرائهم ، ويعامل أهل مصر المسيحيين مع ذلك بلطف ، فالمسلمون ، قد عرفوا بالتسامح ، كما اشتهروا باحتقار الكفار [١٥] "

---

[١٣] عدلى طاهر نور ، مرجع سبق ذكره ، ص١٠٤-١٠٥ .
[١٤] على مبارك ، الخطط التوفيقية ، ج١١ ، ص٢٩ .
[١٥] لين ، مصدر سبق ذكره ، ص٢٤٣ .

مؤلفات لين عن مصر :

أولاً: أشــهر كتاب له ترجم إلى العربية وطبع عدة طبعات بالإنجليزية والعربية هو :

"المصريون المحدثون شمائلهم وعاداتهم " Manners and Customs of The Modern Egyptions .

ثانيا :كتاب "وصف مصر" Description of Egypt وهو مازال مخطوطا في ثلاثة مجلدات يصف مصر في الفترة من سنة ١٨٢٥إلى ١٨٢٨م.

ثالثا: " القاهرة منذ خمسين عاما " نشر سنة ١٨٩٦م

رابعــا: ولــه بالإضافة إلى ما تقدم كتاب عن " المجتمع العربي في العصر الوسيط " نشره في سنة ١٨٨٣م

خامــسا : ثــم قاموسه الشهير " مد القاموس " الذي وضعه بالاستعانة بالــشيخ إبــراهيم عــبد الغفــار الدسوقي معتمدا على كتاب " تاج العروس " للــزبيدى ، فــي اللغــة . كما كتب " مختارات من القرآن الكريم " ونشر سنة ١٨٤٠م .

سادســا : ونــشر أيــضا ترجمة بالانجليزية لكتاب " ألف ليلة وليلة " صدرت أولا في أجزاء شهرية من سنة ١٨٣٨ إلى سنة ١٨٤٠م .

أمــا الكــتاب الأول :" المصريون المحدثون ...." فهو أشهر كتب إدوارد ولــيم لــين لدوام نشره منذ الطبعة الأولى سنة ١٨٣٦م ومازال يطبع حتــى الآن وتــرجم إلــى عدة لغات أوربية أهمها الألمانية ، ونشر أيضا في أمريكا واستند إليه المؤلفون في أبحاثهم ، واقتبس منه البعض ، وأذكر أننى أعــتمدت علــى المعلــومات القــيمة التي أوردها عن الأزهر والعلماء في رســالتي للدكتوراه وعنوانها : " دور الأزهر في الحياة المصرية إبان الحملة

الفرنـسية ومطلـع القرن التاسع عشر" [١٦] كما اعتمدت عليه في كتابى عن "الحركة الوطنية وجذور النضال المصرى " .

ويتألف الكتاب من مقدمة و٢٣ فصلا وبعض الملاحق ، يتحدث فيه عن الـبلد ومـناخه والعاصمة والمنازل والسكان ، ومميزات المصريين المسلمين وملابـسهم ، والطفـولة وتـربية الأطفـال ، والدين والشريعة ، والحكومة ، والحـياة المنـزلية لـشتى الطبقات ، وعادات المجتمع العامة واللغة والآداب والعلوم ، والخرافات ، والسحر والتنجيم ، والأخلاق ، والصناعة ، والمكيفات ، والألعـاب ، والموسـيقى ، والرقص ، والحواة ، والرواة ، والأعياد العامة والخاصة ، والوفاة وطقوس الجنائز ، وأهل الذمة من يهود وأقباط ، بالإضافة إلى كثير من الرسوم التي رسمها بنفسه توضيحا لتلك المشاهد .

وكـتابة "لين " تمتاز عن غيرها من الكتابات التي كتبت عن مصر منذ رحـلات ابن جبير وابن بطوطة والورثلانى والعياشى والنابلسى وغيرهم من الـرحالة المـسلمين وكـذلك تختلف عن كتابات "فولنى" و "سافارى" وعلماء الحملـة الفرنسية ، وذلك لأن "لين" عاش في مصر ثلاث فترات <u>الأولى :</u> من ١٨٢٥-١٨٢٨م .

<u>والثانية :</u> من ١٨٣٣-١٨٣٥م .

<u>والثالثة :</u> من ١٨٤٢-١٨٤٩م .

وتغلغل في المجتمع المصري لتظاهره بالإسلام وتسمى باسم منصور ولـبس الملابس الشرقية ودخوله الأزهر واختلاطه بالعلماء والشعب ويصور كـل ذلك بريشة فنان مبدع في فن التصوير ، فهو من هذه الناحية يمتاز عن كـل الرحالة الذين لم تدم مشاهداتهم إلا عدة أشهر فكتبوا ما كتبوا على عجل

---

[١٦] نوقشت هذه الرسالة تحت إشراف المرحوم الأستاذ الدكتور عبد العزيز الشناوى سنة ١٩٧٤م وطبعت سنة ١٩٨٦م بالقاهرة.

ومـــن ثم كانت له ملاحظاته النافذة على مشاهداتهم السطحية سجلها في كتابه هذا .

ومن هذا المنطلق فالكتاب جدير بالأعتبار ، وحاز شهرة أدبية واسعة ، بالإضافة إلى تجرده من الهوى في كثير مما سجله .

وميـــزة الكتاب أنه سجل ما سجل عن مصر وهى في فترة "محمد على باشـــا" ، علـــى مفـــارق الطرق بين القديم والحديث ومحمد على يقودها إلى العصور الحديثة ويغير مجتمعها تغييراً جذريا بالأخذ من المدنية الأوربية بقدر ما يستطيع . ويسعى إلى تقليد الغرب ، فمن هنا فإن تغييرات محمد على تظهر أكثـــر ما تظهر بوضوح في كتابات لين لأنه عاصر هذه التغييرات وهو شاهد عيان لها ، محايد ، يصف أوضاع مصر بأمانة نادرة وتجرد واضح .

وكانـــت القاهـــرة عندما زارها لين لا تزال تحافظ على هيئتها العربية الإسلامية ، وكانت قد تحولت إلى مركز للثقافة الإسلام ية العربية بعد ان أزال المغـــول الخلافة في بغداد وأخضعوا العراق لحكمهم مدة طويلة ، ولم تعد مديـــنة بغـــداد موطن الخلافة حيث انتقلت الخلافة إلى القاهرة ، وبلغت العلوم الإسلام ية والفنون أوج عظمتها في مصر في عهد سلاطين المماليك .

" وخلـــف هؤلاء في مساجد القاهرة آثارا رائعة لا تزال عنوان قوتهم وثقافتهم ، وخلف هؤلاء الحكام أيضا طابعا خاصا رسم الحياة اليومية ، وظل يـــسود آداب المجـــتمع القاهرى وعقليته دون أن يغير ما به على مدى ثلاثة قـــرون مـــن الحكـــم التركـــى ، وقد تبين "لين" ذلك عندما وجد في المصريين المعاصـــرين لـــزيارته الأولى للقاهرة (١٨٢٥-١٨٢٨م) من عادات وتقاليد ، وخـــرافات وملـــبس ، وغير ذلك ، صورة مطابقة لهم في قصص " ألف ليلة

ولـــيلة " ، وقد ظهرت ترجمة لين لتلك القصص في أجزاء شهرية إبتداء من ١٨٣٨ إلى ١٨٤٠م [(١٧)] " .

العادات الشائعة في المجتمع :

عـــندما نزل "لين" في الاسكندرية وجد بها أخلاطاً من الإفرنج والأتراك والمغاربة والمصريين والشوام واليهود والأرمن وغيرهم ، وسرعان ما أدرك أن الاســكندرية ليست المدينة الشرقية التي تصورها ، فقد رأى أثناء تجولهم بها في الحى الأفرنجى قوما تجمعوا أمام مقهى ، ورأى بين خليط روادها من الأتـــراك والـــسكندريين والافـــرنج جنديين تركيين وقد ذهب الغضب برشد كل منهما ، ويروى القصة فيقول :

" وقـــد عجزت عن معرفة سبب النزاع ، غير أننى لن أنسى سريعا ما أفضى إليه هذا النزاع ، كان الاثنان قد استثارهما السكر ، فاحتدم أحدهما إلى حـــد الجنون ، فقام من مقعده ، وانتزع مسدسه من حزامه ، ودفعه إلى وجه خصمه الجالس قبالته ، ثم أطلق النار ، غير أن ضحيته المرتقبة تفادت الطلقة ببـــراعة ، فأصـــابت جـــنديا آخر يقف إلى جانبها فسقط في التو جثة دامية ، واغتاظ هذا الوحش وسحب سيفه ، وكاد يسيل مزيدا من الدماء لو لم يسارع مـــن حـــوله بتجـــريده من سلاحه .... وقد ضُرب عُنق الجاني بعد لحظة من اعتدائه [(١٨)] "

وغادر "لين" الإسكندرية على عجل واتخذ طريقه عن طريق الإبحار في تـــرعة المحمودية وبدأ يسجل ملاحظاته الدقيقة فذكر كل ما تراه عيناه ويثير انتـــباهه مـــن السراب إلى أصوات السواقي ونقيق الضفادع ، وطريقة النوتية وطباعهم ونزولهم إلى الشاطئ ويروحون عن أنفسهم بالتدخين والغناء والنفخ

[(١٧)] عدلى طاهر نور ، المستشرق الانجليزى ...... ، ص٩٤ .
[(١٨)] لين ، " وصف مصر " الفصل الأول ، مخطوط بالمتحف البريطاني . نقلا عن عدلي طاهر نور ، ص٤٠ .

فـــي المزمار ، ويملأون الليل ضجيجا بقرع طبولهم ، وأخيرا يفرشون الحصر وهـــم قانعون بحفلهم ، وسرعان ما يستسلمون للنوم ، بلا وسادة أو غطاء ، وهم في سعادة تامة . [١٩]

وســـرعان ما وصل إلى القاهرة في الثاني من أكتوبر ١٨٢٥م واستقر بهـــا ، ولـــم يلبث أن ترك ملابسه الإنجليزية وتزيا بزي الأتراك ، وانطلق إلى شـــوارع القاهرة يسجل بقلمه وفرشاه صوراً حية من عيشة الشعب المصري في المنزل والسوق والشوارع والمساجد والمدارس وهى الصور التي أصبحت الآن ذات قـــيمة تاريخـــية لا تقل روعة عما سجله علماء الحملة الفرنسية بل تزيد عنها دقة وإنصافا .

واستطاع" لين" ما لم يستطعه أوربي آخر إلا نادراً ، استطاع أن يختلط بـــسكان القاهـــرة كـــواحد مـــنهم ، وأن يتفهم دقائق لغتهم الدارجة وآدابهم الاجتماعية ، وأن يصل إلى أعماق فهمهم وعقليتهم . ورسم كثيرا من عاداتهم وملبسهم ، وساعده على ذلك تميزه بملامح تجعله قريب الشبه بالعرب .

هيئة المصريين وأشكالهم :

يـــتحدث لين في الفصل الأول عن مميزات المسلمين العرب وملابسهم ويذكر عنهم أنهم يؤلفون غالبية سكان مصر منذ قرون ، وأنهم ينحدرون من عـــدة قبائل عربية قدمت إلى مصر ، وأصهر أفرادها إلى الأقباط ويتحدث عن هيئتهم مفصلا أشكالهم ، فيقول :

" فـــأدى اخـــتلاطهم هـــذا إلـــى تكوين شعب كثير الشبه عامة بقدماء المـــصريين الـــذين ينـــتمون إلى الجنس " القوقازى " مع قرابتهم إلى الجنس الأســـود ..... وفـــي بقاع مختلفة من مصر عشائر تنحدر من العرب الأولين

---

(١٩) عدلي طاهر نور ، المستشرق الإنجليزي إدوارد وليم لين ، ص٤٢-٤٣ .

وهـؤلاء يـصعب بل يستحيل ، تمييزهم من قبائل صحراء الجزيرة العربية ، ومـسلمو القاهـرة الوطنـيون يسمون أنفسهم عادة " المصريين" و " أولاد مـصر" و " أولاد البلد" وآخر تلك العبارات الثلاث أكثرها شيوعا في المدينة نفـسها ، أمـا أهل الريف ، فيسمون "بالفلاحين" أو" المزارعين " وكثيرا ما يطلـقَ الأتـراك علـى المصريين لفظ "الفلاحين" ، ويقصدون به معنى الغلظة والجفـاء ، أو ينبذونهم بأهل فرعون إهانة لهم ، فيرد عليهم المصريون كلما اجترأوا على ذلك بتسميتهم "أهل نمرود" . [٢٠] "

ويذكـر أن مـن عـادة المصريين في هذه الفترة أنهم يطلقون لحاهم بمقـدار قبـضة الـيد تقـريبا ، إقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم ، وهم لمحافظـتهم علـى السنة لا يُطِيلُون الشاربين ، ولا يمدونهما على الأقل فوق الـشفة العلـيا حتى لا يضايقانهم عند الأكل أو الشرب وعادة الخضاب ليست شائعة في مصر لأنهم يحترمون الشيب [٢١] "

ملابس المصريين :

كانـت ملابـس المصريين من الطبقتين العليا والوسطى : في النصف الأول مـن القرن ١٩ عبارة عن " سروال " فضفاض من الكتان أو القطن يشد حـول الوسـط بشريط طَرَفَاهُ مطرزان بالحرير الملون وإن كانا تحت الملابس الخارجـية ، ويصل السروال إلى ما تحت الركبتين بقليل أو ينزل حتى الكعبين إلا أن الكثير من العرب لا يلبسون السراويل الطوال لأن النبي حرمها عليهم ، بعـد ذلك " قميص " أكمامه واسعة جداً تصل حتى المعصم ، يصنع من نسيج الكـتان الأبـيض الرخيص أو من نسيج القطن أو الحرير الموصلي أو الحرير المخلوط بالقطن وكلها مفوفة بيضاء . ويرتدى أغلب الناس فوق هذا ، عندما

---

[٢٠] إدوارد وليم لين ، المصريون المحدثون ......، ص٢٩-٣٠ .
[٢١] إدوارد وليم لين ، المصريون المحدثون ......، ص٣٢ .

يبــرد الطقس " صديرياً " قصيرا من الجوخ أو من الحرير الملون المفوف أو مـــن القطــن ، ولا أكمـــام له ، ويضاف إلى هذا " رداء " طويلا من الحرير المفــوف أو القطــن يسمى " قفطان ينزل حتى الكعبين .... ثم يُلَفُّ حول هذا الثوب " شال ملون " ، وأخيرا الحلة الخارجية العادية ، وهى عبارة عن كساء طويل من الجوخ يسمى "جُبَّة " ..... وبعض الأشخاص يلبسون " البنش " وهو قــباء من الجوخ (يحل محل الجبة) .... وهناك رداء آخر يسمى " فَرجيَّة " يــشبه البــنش ... يلبسها غالبا رجال العلم . [٢٢] " ويلبس الرجال فوق هذه الملابس العباية الصوفية في الشتاء ، أو شال من الحرير الموصلى يلف حول الرأس والكتفين ، وغطاء الرأس القلنسوة ، أو العمامة بالطربوش الأحمر .

أما ملابس الطبقة السفلى: فهى جد بسيطة ، مكونة من "سروال" فوقه "قميص" طويل فضفاض أو ثوبٍ أزرق واسع الأكمام من الكتان أو القطن ، أو من الصوف الأسمر .

أمـــا غطاء الرأس ، فهو قلنسوة قطنية صغيرة ، أو العمامة الملفوفة علـــى الطــربوش مـــن الجوخ الأحمر ، وقد يكتفى البعض بالطربوش الأحمر المغربى .

وتمـــتاز عمامة المسلم باللون الأبيض عن عمامة القبطى واليهودى ، فهـــؤلاء يعــتمون باللون الأسود أو الأزرق أو الرمادى أو الأسود الخفيف ، ويلبـــسون عادة الثياب القاتمة ، ويرجع استخدام الألوان للتمييز بين المذاهب والعشائر والأسر المالكة إلى عهد بعيد ، وعمامة الأشراف خضراء .

---

(٢٢) لين ، المصريون المحدثون ......، ص ٣٢-٣٨ .

أما ملابس النساء :

فـــيقول "لـــين" : " أما ملابس نساء الطبقتين الوسطى والعليا: فتمتاز بجمال نسيجها ، وأناقة زيها وقميص المرأة كقميص الرجل فضفاض ، ولكنه قصير ، وتلبس النساء "سروالا" من القطن أو الحرير وله حزام يسمى "دكة" ، وفوق القميص سترة طويلة تسمى "يلك" [٢٣] يشبه القفطان وله أزرار تشد إلى الجـــسم ، وغطـــاء الـــرأس " منديل " مربع ، وهناك " الطرحة " وهى قطعة طـــويلة من الموصلى الأبيض محبوكة الطرفين بالحرير الملون والذهب تطرح فوق الرأس وتتدلى على الظهر . وهذه في الغالب ملابس المنزل.

أمـــا ثياب الخروج: فتسمى " تزييره " وتعنى هيئة الزيارة فعلاوة على الملابـــس الـــسابقة فيلـــبس النساء عند الخروج " التوب " أو " السبلة " يكاد عـــرض كمـــيه يعـــادل طوله ، ويكون من الحرير ، ثم يضعن " البرقع " وهو غطـــاء للوجه ، وهو قطعة قماش من الموصلى الأبيض تحجب الوجه كله ما عـــدا العينـــين وتـــسقط من القدمين ، ويشد البرقع إلى الرأس بشريط ، ثم " الحبرة " من النسيج الأسود ، أما الحذاء فهو " الخف " من الجلد .

وهـــذه الملابس لإخفاء زينة المرأة وكل ما فيها من جاذبية وقد لاحظ لـــين أن نـــساء الطبقة السفلى حتى في العاصمة لا ينقبن والثياب الشائعة في معظم القطر المصرى هى القميص الأزرق أو الثوب والطرحة ، أما في الصعيد الأقصى فأغلب النساء يتغطين بقطعة من الصوف الأسمر القاتم تسمى " حُلَلِية " تُلَـــف حـــول الجسم وطرحة ويتحلين بحلى زائفة مختلفة من أقراط وعقود وأساور [٢٤] .

---

[٢٣] يلك : بالفارسية قميص نسائى ، ويعنى في التركية (صديرى) .
[٢٤] لين ، المصريون المحدثون .... ، ص٢٤٢-٢٤٨

علماء الأزهر:

دخـل "لــين" الأزهر واتصل بعلمائه أمثال: الشيخ المهدى والعروسى والـشيخ العطار شيخ الأزهر ، والشيخ (إبراهيم الدسوقى) الذي كان يقرأ له الكـتب وخاصـة كـتب اللغة ، وقد اختار الشيخ الدسوقى عن طريق صديق فرنـسى هـو المستشرق (فرينيل) المقيم بالقاهرة وكان لين يود أن ينسخ له الدسـوقى كـتاب " تاج العروس " للزبيدى[٢٥] ، ولذلك كان يشترط فيمن يقوم بهذه المهمة أن يكون عالما بأصول المفردات وأن يكون له بين علماء الأزهر مكانة تؤهله لثقة الناس به ، فيستطيع بتلك الصفة أن يستعير المخطوطات من المساجد .

فـيقول لين : " أعتقد أنه من الضرورى لنجاح عملى أن أتجنب ما قد يجلـب لـى أو للشيخ الذي يعاوننى في الحصول على المواد اللازمة لكتابى ، إزدراء علماء القاهرة أو غيرهم من السكان المسلمين . والواقع أننى ما كنت أستطيع الحصول على مخطوط ما من مكتبة ملحقة بالمسجد بدون وساطة ذلك الـشيخ الـذي كـان يـستعير المخطوط لنفسه ، فيمكننى من استخدامه بتلك الطريقة " .

ولـين يصف الشيخ الدسوقى بالشح وحدة الطبع ، ولكنه فطن إلى أن الاسـتغناء عنه قد يجعل منه عدوا له ، ويدفعه إلى إرباك عمله ، علاوة على أنه كان يدرك صعوبة اختيار الرجل المناسب لهذا العمل بنفسه ، وهو لا يملك الوقت الكافى . [٢٦]

---

[٢٥] هو الشيخ محمد مرتضى الزبيدى من أصل يمنى كان يعيش في مصر وتوفى سنة ١٢٠٥هـ .راجع ترجمته في كتاب عبد الرحمن الجبرتى عجائب الآثار في التراجم والأخبار ، ج٢ ، ص٢٠٨-٢٢٣ .طبعة المطبعة العامرة الشرفية ، القاهرة سنة ١٣٢٢هـ .

[٢٦] عدلى طاهر نور ، مرجع سبق ذكره ، ص٩٩-١٠٠ .

إلا أن الـشيخ الدسـوقى [٢٧] يثنـى على لين في رسالة له كتبها عن صـحبته بلين إبان اقامته بالقاهرة وأعطاها لعلى مبارك فأودعها على مبارك في كتابه الخطط عند ترجمته للشيخ إبراهيم عبد الغفار الدسوقى .

فقال الشيخ الدسوقى كثيرا من الثناء على لين فيذكر عنه أنه " صاحب الطـبع اللـين الماهر الألمعى والأديب اللوذعى رب الأخلاق الجميلة المقرونة بحلـى الفضيلة المتميز في جنسه بالفطنة الوقادة البارع "منصور أفندى زاده" المعروف في بلده بالمستر لين.

وقـال عنه عند أول لقاء له : " وتأملته فإذا إنسان قد وخطه الشيب ، وليس في لسانه لكنه ولا عيب ، طويل القامة كبير الهامة تلوح عليه إمارة ، فصيح العبارة ، كأنه عدنانى أو قحطانى ، إلا أنه ذو زى عثمانى ، لا يتكلم إلا بفصيح الكلام ، وله بفنون الأدب إلمام ، فهزتنى إليه أريحة الطرب ، وتعجبت مـن فصاحته مع أجنبيته كل العجب ، فالتمس منى الذهاب إلى وطنه (مسكنه) ليعرفنى محل سكنه ، فلم يكن منى إلا الامتثال وموافقته على ما قال ، فرأيت لـه عادة المصريين في مأكله ومشربه ، وزى الأتراك في حليته وأدبه ووقع بينـى وبيـنه الاختيار على أن أمر عليه آخر النهار عند رجوعى من تصحيح كتب الرياضة بمدرسة المهندس خانه الفياضة ، فربط لى ماهية مع قلة الزمن عظـيمة لها عند الفقير وقع في النفس وقيمة ، على أن نقرأ معا كل يوم نحو نـصف كراسة من شرح متن القاموس المسمى "بتاج العروس" ..... للزبيدى مع التفهم والتفهيم لما صعب أو كان غير مستقيم مع مراجعة ماكان عنده من معتبرات اللغة الصحاح [٢٨] "

---

[٢٧] كان الشيخ الدسوقى رئيسا للمصححين بمطبعة بولاق ، وكان يصحح الكتب الطبية المطبوعة لطلبة مدرسة الطب مع الشيخ الهراوى ومدرسة المهندس خانة وكان يدرس اللغة العربية لطلبة مدارس محمد على ، وكان محررا في جريدة الوقائع المصرية ، وتوفى عام ١٣٠٠هـ .انظر : على مبارك ، الخطط التوفيقية ، الجزء ١١ ،ص٢٢-٢٧ ، الطبعة الثانية ، القاهرة سنة ١٩٩٤م، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب .

[٢٨] على مبارك ، الخطط التوفيقية ، الجزء ١١ ، ص٢٢-٢٤ .

وبعد مفارقتى إياه كل يوم في العشية يكون قد ترجم ما قرأناه إلى لغته الانجليزية مرتبا له ترتيب المصباح كعادة المعجمات اللغوية قبل ظهور ترتيب الجوهرى صاحب الصحاح برد كل فصل من فصول القاموس إلى محله المعتبر في الترتيب الأول المأنوس [٢٩] "

وعندما حدثت له (لين) مشكلة مالية بضياع ماله في "بنك" بسبب إفلاس البنك وحزن لذلك قال له الشيخ الدسوقي : " لا تفكر في هذه القضية فسترى منى ما يسترك بالكلية " وأخذ يدرس له بلا مقابل إلى أن تحسنت حالته فشكره لين على وقوفه معه وقت الشدة مع عدم قدرته على دفع ماهيته.

وأعترف الشيخ الدسوقى بأنه كان يستفيد بعض المعلومات العلمية من لين وبعض المعارف التي حصلها لين في بلاده ، فيقول : " على أنى كنت في لذة اكتساب معارف من هذا المجلس اليومي وهى عندي ألذ من العوارف[٣٠] "

رأى لين في علماء الأزهر :

كان الأزهر قد شهد نهضة فكرية وسياسية في النصف الثاني من القرن الثامن عشر الميلادي (١٢هـ) وأصبح مهيأ لكي يلعب دورا في الحياة المصرية بصفة خاصة وفي الحياة الإسلامية بصفة عامة ، وتزعم علماء الأزهر النضال الشعبي إبان الحملة الفرنسية ، وبعد خروج الحملة الفرنسية إلى أن تولى محمد على السلطة في البلاد برأيهم وبشروطهم ، لكن محمد على خذلهم وخدعهم وعصف بأمانيهم وعزلهم عن قيادة الشعب وتولى هو قيادة مصر وسار بها في طريق الإصلاح على طريقته هو .

ولكن ما انفك الأزهريون منذ خروج الحملة الفرنسية يفكرون في إصلاح معهدهم ، وكان في طليعة هؤلاء الشيخ حسن العطار الذي تولى

---

[٢٩] المصدر السابق ، ج١١ ، ص٢٦ .
[٣٠] المصدر السابق ، ج١١ ، ص٢٧ .

مشيخة الأزهر من ١٢٤٦-١٢٥٠هـ فقد كان له ولع بقراءة الكتب المترجمة من اللغات الأوربية خاصة في علمي : الجغرافيا والتاريخ وغيرها من العلوم ، وأوفد تلميذه رفاعة إلى فرنسا مع البعثة الأولى التي أرسلها محمد على ونصحه بأن يكتب كتابا عن مشاهداته في فرنسا .

وقابل الشيخ (حسن العطار) المستشرق الإنجليزي لين وتحدث معه ، ونوه لين بالعطار فقال عنه : " ويعتبر الشيخ حسن العطار ، وهو شيخ الأزهر الآن (في الرحلة الثانية ١٨٣٣-١٨٣٥م) أحد مشاهير العلماء المعاصرين ، وهو وإن لم يبلغ في التوحيد والفقه مبلغ بعض العلماء معاصريه كالشيخ القويسني خاصة ، ضليع في علم الأدب ، وهو مؤلف كتاب " الإنشاء " الذي يعتبر مجموعة فائقة من الرسائل العربية في مختلف الموضوعات ، وضعها نموذجا للأسلوب الإنشائي . وقد طبع هذا الكتاب في مطبعة بولاق " [٣١]

كما أثنى لين على الشيخ (محمد شهاب) الأديب الشاعر ، وكان أحيانا يعقد جلسات علمية في بيته ويحضرها لين فيقول عنه : " وقد اشتهر بحق أيضا الشيخ محمد شهاب بجودة أدبه ورقة شعره ، وكان أنسه وذكاؤه يجذبان الاصدقاء إلى منزله كل مساء ، وكنت أحيانا اشترك في مسراتهم . فكان الشيخ يستقبلنا في غرفة صغيرة مريحة ، فيدخن كل منا شبكه ، وتقدم إلينا القهوة ، وكان حديث الشيخ أعذب ما يقدم ، وأثنى على المؤرخ المصري الكبير عبد الرحمن الجبرتي، غير أنه لم يتمكن من رؤيته قبل وفاته فقال عنه : " ويستحق الشيخ عبد الرحمن الجبرتي وهو من مؤلفي القاهرة المتأخرين أن يشار إليه بصفة خاصة إذ أنه وضع تاريخا جليلا لحوادث مصر منذ القرن الثاني عشر للهجرة وقد توفى عام ١٨٢٥أو عام ١٨٢٦م عقب قدومي

[٣١] إدوارد وليم لين ، المصريون المحدثون ..... ، ص١٨٩-١٩٠ .

القاهـرة لأول مرة [٣٢] " ويخص لين الجبرتي بالثناء في وقت ينقد فيه مناهج الأزهر في مجال المعرفة التاريخية فيقول : " وقلما يعرف علماء مصر تاريخ بلدهم معرفة جيدة ، وأقل من ذلك معرفتهم بتاريخ الأمم الأخرى [٣٣] "

ويعـتقد لين أن الخرافة مازالت تهيمن على الفكر في الأزهر في كثير مـن القـضايا ، فقد ذكر لين أنه وقعت بين الشيخ (محمد الأمير) والشيخ (محمد البهائي) مناقشة حول وجود رأس الحسين بمسجده بالقاهرة ، وقد أنكر الـشيخ الأمير وجود الرأس بالمشهد الحسينى في بعض دروسه ، لأنه لم يقم على وجودها أى دليل تاريخى .

ولقـد تأثـر لذلك القول الشيخ البهائى وبكى في نفس الليلة رأى رؤيا خلاصـتها: أنه رأى النبى صلى الله عليه وسلم فسأله عن حقيقة الأمر ، فنبأه بـأن الرأس موجودة في المشهد حقيقة ، فذهب إلى الشيخ الأمير في الصباح الباكـر وقـص عليه رؤيته ، غير أن الشيخ الأمير اضطر إلى مجاملة الشيخ البهائـى وذهب معه إلى المشهد وأعلن أمام المزار إيمانه بوجود الرأس فيه ورجع بذلك عن رأيه السابق .

ويدل هذا الموقف على أن الشيخ الأمير اضطر إلى مجاراة ما يؤمن به الـسوادالأعظم من أهل مصر ، وقد تثير آراء الأمير الجريئة غضب الجماهير ممن يؤمنون بالأساطير التاريخية وما نسج حولها من خرافات في مصر .

ولهـذا يقول لين : " من المحقق أن العلماء المسلمين (في مصر) كان يعـوقهم طابـع الخـرافة مـن الماضي في بعض مناهج الدرس ، وقد تتحكم الخرافة في البت في نقطة كانت موضع الجدل منذ عصور " [٣٤]

---

[٣٢] المرجع السابق ، ص١٩٠ .والثابت تاريخيا أنه توفى في رمضان سنة ١٢٤٠هـ(١٨٢٥م) ، انظر : للمؤلف كتاب : "دور الأزهر في الحياة المصرية " طبعة القاهرة ١٩٨٦م ، ص٤٨٣ .

[٣٣] المصدر السابق ، ص ١٩٠ .

[٣٤] المرجع السابق ، ص١٨٨ طبعة ١٩٧٥ وص١٤٧-١٤٨ طبعة ١٩٥٠ .

وينفى لين أكذوبة شائعة في أوربا عن عداء المسلمين للعلم ويذكر أن أوربا تدين للعرب في مجال معرفة الطب والكيمياء فيقول :

" ويخطئ المسيحيون في أوربا في اعتقادهم أن المسلمين أعداء العلم على اختلاف أنواعه تقريبا . والحقيقة أن العلم في الوقت الحاضر تحده حدود ضـيقة فقـل مـن يـدرس الطـب والكيمياء (وندين بمعرفتنا بها للعرب) والرياضيات وعلم الفلك . وتجد أغلب الأطباء والجراحين المصريين حلاقين ، يجهلـون العلم الذي يباشرونه جهلا مضرا ، وتنقصهم المهارة فيما يمارسونه ويـرجع بعـض ذلك إلى تحريم الدين تشريح الجسد . إلا أن بعض المصريين الشبان يتلقون الآن دراسة أوربية في الطب والتشريح والجراحة وعلوم أخرى لخدمة الحكومة .

" وكثيـرا ما يرفض المرضى من المصريين كل مساعدة طبية متوكلين على العناية الإلهية أو معتمدين على السحر . [٣٥] "

التوقيت المصرى في النصف الأول من القرن ١٩:

كـان المـصريون حتـى منتصف القرن ١٩ وقت وجود "لين" بمصر يقـسمون الـسنة إلـى ثلاثة فصول : "الشتاء" و"الصيف" و"النيل" ، ويستعمل الفلكـيون المصريون تقويم "الأبراج القمرية" التي أعتاد أهل الجزيرة العربية تنظيم شئونهم المتعلقة بالفصول عليها.

ويـبدأ اليوم في مصر من غروب الشمس إلى الغروب التالى ، فَيُحْسَبُ اللـيل السابق مع النهار التالى ، وتسمى الليلة السابقة ليوم الجمعة مثلا ليلة الجمعة ، ويوافق غروب الشمس الساعة ١٢ فتكون الساعة واحدة بعد غروب الـشمس بـساعة . والثانـية بعد غروبها بساعتين وهكذا حتى الساعة ١٢ صباحا وبعدها تبدأ الساعة واحدة مرة أخرى والساعة الثانية وهكذا .

---

[٣٥] لين ، مصدر سبق ذكره ، ص١٩٠-١٩١ .

ويمــلأ المــصريون ساعتهم ويضبطونها عند كل غروب ، إذ أن الأيام تخــتلف طــولا وقصرا [٣٦] .يتوقع لين تقدما علميا وفكريا في مصر منذ عهد محمد على بسبب اقتباس العلوم الأوربية . [٣٧]

الخرافات :

يــتحدث لــين فــي فصول ثلاثة هى "العاشر" و"الحادى عشر" و"الثانى عــشر" عــن الخرافات والسحر والتنجيم . ويعتقد أن هذه الخرافات هى التي تعوق المصريين وتقف حجر عثرة في سبيل تقدمهم .

ومــن هــذه الخرافات "الجن" والأعتقاد بوجودهم وتأثيرهم على البشر وكــذلك "العفاريــت" . والاعتقاد في ولاية "الأبله" و"المجنون" وينسبون إليهما الكــرامات وأكثر هؤلاء يسيرون عراة تقريبا ويتمتعون باحترام زائد ، ويأكل بعضهم التبن والزجاج ويسمون "مجاذيب " [٣٨]

ويحمــل المسلمون المصريون (على اختلاف مذاهبهم ما خلا الوهابية) للأولــياء المتوفين احتراما وتقديسا لا سند لهما في القرآن أو الأحاديث أكثر ممــا يحملــون للأحياء منهم ، ويشيدون فوق أكثر قبور الأولياء المشهورين مــساجد كبيرة جميلة . ويزور المصريون هذه الأضرحة وغيرها أحيانا ، إما إجلالاً للميت ، وقياما بأعمال تستحق الثواب لأجل هؤلاء المكرمين ، معتقدين أنهــم سينزلون عليهم البركات ، وإما بقصد التماس البرء من مرض أو طلب النسل ، مقتنعين أن فضائل الميت تكفل قبول دعواتهم قبولا مرضيا ، ويقدمون لهم النذور .

---

[٣٦] وكان موذن مسجد قريتنا " الدراكسة " دقهلية في منتصف القرن العشرين يضبط ساعة المسجد كل يوم بهذه الطريقة الاسلامية ورأيت ذلك بنفسى - المؤلف .

[٣٧] لين ، المصدر السابق ، ص١٩٥ .

[٣٨] المصدر السابق ، ص٩٦-٢٠٥ .

وفـــي كل قرية تقريبا من قرى مصر ضريح لولى يزوره الكثيرون ولا ســـيما النـــساء فـــي يوم خاص من الأسبوع ويحمل بعض النساء إليه الخبز والهـــدايا والـــنقود ، وقـــد اعتاد الفلاحون أن يحملو إلية الذبائح ، وينذرون النذور التي تذبح عند قبره .

ويكثـــر الـــدراويش فـــي مصر وأكثر طوائفهم : "الرفاعية" و"القادرية" و"الأحمديـــة" و"البراهمة" و"البيومية" و"الشعراوية" و"الشناوية" ، وغيرها من الطوائـــف المنتشرة في القاهرة والاقاليم . وتقوم أعمال الدراويش على الذكر واقفـــين فـــي حلقـــة مستديرة أو مستطيلة أو في صفين متقابلين أو جالسين مـــرددين أسماء الله الحسنى وشهادة التوحيد والأدعية المختلفة . ويكررونها حتى تخور قواهم ويتمايلون بطريقة رياضية مع مصاحبة بعض العازفين على " الناى " أو " الأرغون " .

ويـــتحدث "لين" عن الاعتقاد في "التمائم" و"الأحجبة" التي يستند أكثرها علـــى الـــسحر ويتوهم الناس أن ذلك كله له خاصية خفية عظيمة ، وبعضهم يعتقدون أنها تحميهم من الحسد وخاصة الأطفال الصغار .

ويذكـــر خـــرافات أخرى منتشرة مثل "ضرب الرمل" و"الودع" و"المندل" واعتقاد الناس فيها . [٣٩]

ويذكر "لين" عن أخلاق المصريين في النصف الأول من القرن ١٩ م ، أنهـــم كانوا يترددون في طبع الكتب وأنهم كانوا يخشون أن يدنس المداد الذي يطبع به إسم الله ، أو الورقة التي يطبع عليها ذلك الاسم المقدس أو أقوال من القـــرآن ، ويخشون أيضا أن تصبح كتبهم عند طبعها رخيصة الثمن فتقع بين أيدى من لا يصونها فيقول ، : " ومن ثم لم يطبع الكتب في مصر حتى الآن إلا الحكومة ، غير أن اثنين أو ثلاثة استأذنوها في طبع بعض الكتب في مطبعتها

---

[٣٩] السابق ، ص٢١٧-٢٤٢ .

فأذنت لهم . وأعرف كاتبا هنا رغب طويلا في طبع كتب كان يثق بعظيم ربحها ولكنه لم يستطع أن يتغلب على تردده في شرعية هذا العمل" [٤٠] .

القصاصون في مصر :

يخصص "لين" ثلاث فصول للحديث عن القصص والقصاصين في مصر ، وهـي الفـصول ٢٢، ٢١، ٢٣ ويـبدأها لين بالحديث عن القصاصين الذين يَغْـشَوْن مقاهـي القاهرة وغيرها من مدن الأقاليم ويسامرون الناس ببراعة تجـذب القلوب ، وعلى الأخص طائفة الشعراء أكثر طبقات الرواة عدداً الذين يتخصـصون فـي روايـة قصص أبو زيد الهلالي وغيرها من قصص قبائل الهلالـية والزغبية والزناتية ، ويصف هذه القصص ويبين قيمتها الاجتماعية والتاريخـية ، ويـرى أنها ذات قيمة أدبية قليلة ، وقيمتها الحقيقية في نظره تبرز في تصوير عادات البدو وشمائلهم في جزيرة العرب وشمال أفريقيا .

ويـتحدث عن طبقة أخرى من القصاصين يروون الحواديت من سيرة الظاهر بيبرس وهذه الطبقة من الرواة يتلون الشعراء من حيث العدد ، وطبقة ثالـثة مـن الـرواة والقـصاصين يروون حواديت عن سيرة عنتر بن شداد ويـسمون " عنتـرية " وهم أقل عدداً من الطبقتين السابقتين ، ويروون أيضا سـيرة " ذو الهمـة " وسيف بن زى يزن ، وقصص " ألف ليلة وليلة " وهى القصص التي اهتم "لين" بترجمتها إلى الإنجليزية .

ويقـدم لين للقارئ وصفا مختصرا لبعض وقائع هذه القصص ، ليعطى صـورة مـن الكـتب التـي يستمد منها رواة القاهرة مادتهم لتسلية جمهور المستمعين .

---

[٤٠] السابق ، ص٢٤٧.

ويعــزف هؤلاء الرواة على نغمات الربابة الشعبية ، ويصحب الراوى عــازف آخــر علـــى ربابة أخرى من نفس النوع ، وهو عزف بسيط يكتفى العازف فيه بنغمة واحدة مقدمة وفاصلا [٤١] .

ويـــتحدث "لـــين" فـــي الفصل العشرين من كتابه عن نوع من التمثيل الـــشعبى الـــذي يوضــــح فساد القائمين على جمع الضرائب في مصر ، وهذه الفرق كانت تسمى فرق "المحبظين" يمثلون في حفلات الزواج والطهور ، وفي مـــيادين القاهـــرة العامـــة يضحكون الناس بنكات نقدية ولا يوجد بها عنصر النساء . وإنما يقوم بدورهم رجل أو صبى في ثياب امرأة .

ويـــورد لـــين نمـــوذجا مـــن تمثيلية للمحبظين مثلت أمام الباشا أثناء الاحتفال بختان ولد من أولاده ، وكان أشخاص الرواية : الناظراً أى مدير إقليم ، وشـــيخ البلد وخادمة وكاتبا قبطيا ، وفلاحا مدينا للحكومة وزوجه ، وبعض الموسيقيين والراقصين .

وتبدأ التمثيلية بالطبل والزمر والرقص ، ويظهر الناظر ويقول متسائلاً : كم قرشا دين عوض بن رجب ؟

فيجيب العازفون الذين يقومون بأدوار الفلاحين :

" مر النصرانى بالبحث في السجل " فيسأله شيخ البلد :

" كم على عوض بن رجب؟"

فيجيبه : " ألف قرش "

فيسأله : كم دفع ؟

فيقول : خمسة قروش

فيخاطب الفلاح قائلا : " يا رجل لماذا لم تحضر النقود ؟

فيجيبه : ليس عندى نقود .

---

[٤١] لين ، الفصول ٢٣، ٢٢، ٢١، ص٣٣٧ - ٣٥٩ .

فيصيح الشيخ : ليس عندك نقود ؟ اطرحوه .
ويأتون بسوط ويضربونه به .
فيستغيث الفلاح بالناظر وذيل حصانه وسروال زوجته وعصابة رأسها .
فينتهي الضرب بعد عدة صيحات ، ويقاد إلى السجن .
وتحضر امرأة الفلاح فيطلبون منها أن تأخذ شيئا من الكشك والبيض والشعرية وتذهب إلى منزل الكاتب وتستعطفه ليخلص زوجها .
فتذهب الزوجة بالهدية إلى الكاتب وهو " المعلم حنا "
فتقول له : " يا معلم حنا تفضل بقبول هذه الهدية وأنقذ زوجي.
فيقول الكاتب لها : " أحضري عشرين قرشا أو ثلاثين رشوة لشيخ البلد فتنصرف وتعود بالنقود وتسلمها إلى شيخ البلد ، فيأخذها ويقول حسن جداً وينصحها بأن تذهب إلى الناظر . فتتكحل الزوجة وتتخضب وتقصد الناظر وتحييه وتبتسم له وتطلب منه تخليص زوجها ، وتظهر له أنها راغبة في مكافأته على هذا المعروف .

فيقبل الناظر ويقوم بالدفاع عن زوجها ويخرجه من السجن . [٤٢]

ولا شك أن هذا النوع من التمثيل كان يوضح فساد نظام جمع الضرائب في مصر في هذه الفترة ، وانتشار الرشوة والمحسوبية .

ولم يلتفت أحد من مؤرخي مصر إلى تسجيل هذا الفن الناقد ، وهو شبيه بفن خيال الظل الذي كان منتشرا في مصر في العصر المملوكي مع وجود فارق وهو أن خيال الظل كان من وراء ستار ويستعمل الظل ، وتحدث عنه ابن إياس في كتابه بدائع الزهور في وقائع الدهور .

ويتحدث لين عن أعياد المصريين وما فيها من خرافات في الفصول ٢٥،٢٤ ، ٢٦،٢٧ ،. وعادات سيئة واختلاط الرجال بالنساء في صور لا تمت

---

[٤٢] لين ، ص٣٣٥ -٣٣٦ .

إلـــى الإسلام بصلة كالاحتفال بيوم عاشوراء ، وهو اليوم العاشر من المحرم مـــن كـــل عـــام وانتشار التسول في هذا اليوم وخاصة من المتسولات النساء ويرجع كثرة المتسولين في مصر إلى ميل المصريين إلى الإحسان ويقول "لين" بأنه يبدو أن تلك العادة أي الاحتفال بيوم عاشوراء نقلت عن اليهود . [٤٣]

ومن الأعياد استقبال قافلة الحجاج العائدين من الحجاز ، ومن الأعياد الاحتفال بالمولد النبوي كل عام في ليلة ١٢ من ربيع الأول في بركة الأزبكية ، ومـــا يقـــوم به الدراويش السعدية ، حيث يركب شيخهم صهوة جواده وينام الـــدراويش منبطحين على وجوههم ويمشى الحصان على أجسامهم وكثيرا ما تحـــدث إصابات لهم ، وبعضهم لقي حتفه أو أصيب بضرر بالغ ويعتقدون خطأ أنها من الكرامات . [٤٤] وتسمى هذه العملية بالدوسة .

نلاحـــظ أن بعض هؤلاء الرحالة له ملاحظات مغرضة وخاصة إذا كان إبـــان قيامه برحلة في مهمة سياسية ، وغالبية هؤلاء كان يقوم بتقديم بعض التقارير الرسمية لحكومة بلاده بعد عودته من رحلته .

ستانلي لين بول :

ولا يفوتـــنا ونحـــن نتحدث عن إدوارد وليم لين ، أن نتحدث عن حفيد أخـــته المستشرق (ستانلي لين بول) Stanley lane – poole مؤلف كتاب (ســـيرة القاهرة The story of cairo) والذي قام بمتابعة نشر مؤلفات لين التـــي مات قبل أن يتمها ، وستنالي باحث ومؤرخ للآثار العربية ، وكان يعمل أميـــناً لقـــسم النقود الأثرية في المتحف البريطاني بلندن ووضع دليلاً للنقود الـــشرقية فـــي ١٤ مجلداً وأتم المعجم العربي الذي بدأه (لين) وقام برحلة إلى مـــصر ســـنة ١٨٨٣م ، واشـــتغل بين سنتي ١٨٩٥– ١٨٩٧م بدراسة آثار

---

[٤٣] السابق ، ص ٣٥٩ .
[٤٤] السابق ، ص ٣٨٠ .

القاهــرة تحــت إشــراف الحكومة المصرية ، وعين أستاذاً للغلة العربية في جامعــة دبلــن من سنة ١٨٩٧ حتى ١٩٠٤م ، وأخرج ستانلي عدة مؤلفات نفيسة عن الشرق العربي والإسلام ي ، وكان نصيب مصر منها أوفر نصيب ومنها :

١- صــور القاهرة ، ويصور فيه الحياة الاجتماعية في مصر Cairo sketches .

٢- دراســات فــي مــسجد Studies in a Mosque يتناول الناحية الدينية من إقامة الصلاة والاحتفالات التي لا تمت إلى الدين بصلة .

٣- الحــياة الاجتماعــية في مصر Social life in Egypt (١٨٨٣) ببحث عن المجتمع المصري .

٤- ثــم تــوج أعماله عن مصر بكتاب نفيس عن القاهرة كتبه في عام ١٩٠٢م تحــت عنوان (تاريخ القاهرة) The Story of Cairo تحدث فيه عن القاهرة وآثارها منذ بنائها حتى عصره ، وقد ترجم هــذا الكــتاب إلــى العربية الدكتور حسن إبراهيم حسن ، د. علي إبــراهيم حــسن ، و إدوارد حليم سنة ١٩٥٠م (طبع ونشر مكتبة النهضة المصرية) [٤٥] .

---

[٤٥] انظر: مقدمة كتاب (سيرة القاهرة) الذي كتبها المترجمون ص١١-١٩ .

الفصل الرابع

المصطلحات التاريخية

أثناء قيام الباحث بقراءة كتب مثل :"النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة "لجمال الدين أبي المحاسن بن تغري بردي (٨١٣-٨٧٤هـ) وكتاب "بدائع الزهور في وقائع الدهور" لمحمد بن إياس المصري (ت ٩٣٠هـ) ، وكتاب "عجائب الآثار في التراجم والأخبار" لعبد الرحمن الجبرتي (ت١٢٤٠ هـ) أقول أثناء قراءة هذه الكتب تصادف الباحث بعض الكلمات الاصطلاحية من أصل فارسي أو تركي مستمدة من النظم الفارسية أو التركية إبان غلبة الأتراك وحكمهم لكثير من الدويلات الإسلامية ، وظلت هذه المصطلحات مستعملة في عصور الأتراك .

ونظراً لمعرفة الناس في تلك العصور بمدلول تلك المصطلحات فندر أن يتعرض مؤرخ من مؤرخي تلك العصور لتلك الكلمات بالشرح والتوضيح وتعيين المراد منها باللغة العربية ، ومن ثم غدت تلك المصطلحات تشكل عقبة أمام الباحثين المحدثين ، ويحتاج الباحث لحل تلك المشكلة إلى قراءة شتى الكتب في التاريخ والنظم والآثار والفنون والوظائف وكتب المصطلحات لكي يعرف معنى الكلمات مثل : (روزنامة) و (أميرآخور) و (استادار) و (جمليان) و (تفكشيان) و (أوجاق) و (بردار) و (طبردار) و (خاصكية) و (بشمقدار) وغيرها من الكلمات الاصطلاحية ، لأن معرفة المؤرخ باللغتين الفارسية والتركية قد لا تفيد كثيراً في معرفة تلك المصطلحات ، فأحياناً يكون المصطلح مكوناً من كلمتين إحداهما عربية والأخرى فارسية أو تركية أو إحداهما تركية

والأخـــرى فارسية إلى غير ذلك من التراكيب وذلك مثل : (أميراخور) مصطلح عثمانــي واستعمل أيام المماليك أيضاً مركب من كلمتين إحداهما عربية (أمير) والأخرى فارسية وهي (آخور) ومعناها الاصطبل ، وكان هذا المصطلح يطلق علـــى الـــشخص المـــنوط بـــه أمور الخيل أي ناظر اصطبلات الخيل ، وكلمة (آخـــور) معـــناها فـــي الأصـــل المزود الذي يأكل فيه الفرس ثم أطلقت على الاصـــطبل ، والأميـــرآخور مـــتعدد ، فمنهم أميرآخور المهارة ، وأميرآخور الدشـــار وهـــو مخـــتص بالجمـــال ، وأميرآخور السواقي وهو مختص بالبقر وللجميع رئيس يسمى (أميراخور الكبير) .

وقد يختلف معنى المصطلح من عصر إلى آخر وذلك مثل : (استادار) : فهـــي كلمـــة فارســـية كانت تطلق في الغالب على الذي يوكل إليه أمر البيوت الـــسلطانية كلهـــا من المطابخ والحاشية والغلمان ويمشي صحبة السلطان في رحلاته وأسفاره ، وله مطلق التصرف في بيوت السلطان وما يجري فيها من طعام وكسوة وغير ذلك من الشئون ، ولكن بالبحث في تاريخ المصطلح اتضح أن معنى (استادار) في الأصل الحاذق في صنعته، ثم استعملت في الخصبي من الآدميين ، وقد تكتب (استاد الدار) ويقال للجماعة (استدارية) وهي عند ملوك المشرق على الإطلاق رتبة من الرتب المعتبرة ، وكان حكام خوارزم يصنعون تحـــت إدارة الاســـتدار جملة أموال بعضها من الخزنة وبعضها من المديريات وتوزع بمعرفته على المخبز والمطبخ والاصطبلات والخدم ونحوها.

ويذكـــر تقي الدين المقريزي في كتابه "المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثـــار" أن رتبة الأستادار ظلت على ذلك حتى عهد السلطان الظاهر برقوق أيام المماليك في مصر فأقام :

"الأمير جمال الدين محمود بن علي بن أصفر عينه استاداراً ، وناط به تدبيـــر أمـــوال المملكـــة ، فتصرف في جميع ما يرجع إلى أمر الوزير وناظر

الخــاص وصــارا يترددان إلى بابه ويمضيان الأمور برأيه ، فجلت من حينئذ رتبة الأستادار بحيث أنه صار في معنى ما كان فيه الوزير في أيام الخلفاء"[١].

ويذكر المقريزي أن الأمير جمال الدين يوسف الاستادار في أيام الناصر فــرج بــه برقوق "كان كالوزير العظيم لعموم تصرفه ونفوذه في سائر أحوال المملكة ، واستقر ذلك لمن ولي الاستدارية من بعده والأمر على هذا إلى اليوم "يعنــي إلــى أيام المقريزي المتوفى سنة ٨٤٦ هـ (١٤٤٢م) . وأطلق عليه شهاب الدين بن فضل الله العمري (ت٧٤٨هـ) .

وفــي كــتابه التعريف بالمصطلح الشريف (أستاذ الدار) وقال عنه أنه يتفقد أحوال الحاشية على اختلاف طوائفها وأنواع وظائفها ويرتبها في الخدمة علىمــا يجــب وينظر في أمورهم نظراً لا يخفى معه شيء ، وينظر في أمور السماط وأحوال المطبخ الكريم [٢] .

وهكذا فإن الترجمة الحرفية للمصطلح لا تفيد في معرفة معناه والمراد مــنه ، فيضطر الباحث إلى الرجوع لشتى المصادر لدراسته ومعرفة معناه في مختلف العصور الإسلامية من حيث نشأته وتطوره ، وكثيراً ما يضطره البحث إلــى الرجوع إلى الوثائق الرسمية التي تخلفت عن تلك العصور ، وهي أفضل وســيلة لدراســة المــصطلحات لأن الوثائق مصادر ذات دلالة قاطعة في هذا المجال .

---

(١) تقي الدين المقريزي ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، طبعة دار التحرير للطبع والنشر ، القاهرة ١٩٦٨ م ،ج٣ ، ص٦٤-٦٥ .

(٢) شهاب الدين بن فضل الله العمري ، التعريف بالمصطلح الشريف ، طبع مطبعة العاصمة ، القاهرة ، سنة ١٣١٢ هـ ، ص٩٦-٩٧ .

وعلـــى ذلـــك يتضح ما للمصطلحات من أهمية لدى المؤرخ فلابد من معـــرفتها لكـــي تقـــف أمامه عقبة أثناء اطلاعه على المصادر التاريخية في العصور السابقة .

ومازلـــت أذكـــر ما عانيته من صعاب عند قراءتي لكتاب عبد الرحمن الجبرتي "عجائب الآثار في التراجم والأخبار" لأول مرة ، فقد وقفت طويلاً أمام كثير من الكلمات الاصطلاحية "أحاول فهمها ، وكان ذلك حافزاً لي على البحث عن معناها وأصلها وعمدت إلى جمعها والرجوع إلى المصادر المختصة لفهم المراد منها ، وتكون لي بذلك رصيد لا بأس به ، وكانت تسلمني المصادر إلى بعـــضها ، وقـــد اســـتفدت بالـــشروح التـــي أوردهـــا علي مبارك لبعض تلك المـــصطلحات فـــي كـــتابه المشهور "الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة ومـــدنها وبلادهـــا القديمة والشهيرة" وعلى الأخص في الجزأين الثاني عشر والثالث عشر .

وعزمت على تتبع المصطلحات في أصولها الأولى ، واتضح لي أن في مقدمة الكتب التي اهتمت بتلك المصطلحات الكتب التالية :

١- أدب الكاتب – لابن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٠هـ .

٢- كتاب الصناعتين – لأبي هلال العسكري المتوفى سنة ٣٩٥هـ .

٣- الأحكام السلطانية – للماوردي المتوفى سنة ٤٥٠هـ .

٤- قوانين الدواوين – لابن مماته المتوفى سنة ٦٠٦هـ .

٥- معالم الكتابة ومغانم الإصابة – لابن شيت المتوفى ٦٢٥هـ .

٦- المـــثل السائر في أدب الكاتب والشاعر – لابن الأثير المتوفى سنة ٦٣٠هـ.

٧- البـــرد الموشى في صناعة الإنشا – للموصلي المتوفى سنة ٧٠٠ هـ .

٨- حسن التوسل إلى صناعة الترسل – لابن فهد الحلبي المتوفى ٧٢٥ هـ .

٩- معيد النعم ومبيد النقم – لتاج الدين السبكي المتوفى سنة ٧٧١هـ .

١٠- نهايــة الأرب في فنون الأدب – لشهاب الدين النويري ، المتوفى سنة ٧٣٣هـ .

١١- التعــريف بالمصطلح الشريف – لشهاب الدين بن فضل الله العمري المتوفى سنة ٧٤٨هـ .

١٢- تثقــيف التعــريف بالمــصطلح الشريف – لتقي الدين عبد الرحمن المحيي المتوفى سنة ٧٨٦هـ .

١٣- صبح الأعشى في صناعة الإنشا – لأبي العباس القلقشندي المتوفى سنة ٨٢١هـ .

١٤- واختــصر القلقشندي موسوعته في مجلدين سماهما "ضوء الصبح المسفر وجني الدوح المثمر " .

١٥- المــواعظ والاعتــبار بذكر الخطط والآثار – لتقي الدين المقريزي المتوفى سنة ٨٤٦هـ .

١٦- الخطــط التوفيقــية الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة "لعلي مبارك المتوفى سنة ١٣١١هـ (١٨٩٣م) .

١٧- تــرتيب الديار المصرية في عهد الدولة العثمانية – لحسين أفندي الروزنامجــي أحــد أفــندية الروزنامة إبان عهد الحملة الفرنسية ١٢١٣-١٢١٦هـ .

ولــبعض هذه الكتب الضخمة (صبح الأعش ١٤ مجلدا) و (الخطيط التوفيقــية ٢٠ جــزء) والمصطلحات بها متفرقة ، فيضطر الباحث إلي تجشم

الصعاب للبحث عنها في ثنايا هذه الكتب والتنقيب عنها مما يكلفنا وقتا ثمينا هو في حاجة إليها للتوفير علي بحثه .

ولمــا تحــظ المصطلحات التاريخية حتى الآن بدراسة خاصة شاملة ، علــي الــرغم من أهميتها كوسيلة تعصم المؤرخ عن الخطأ في الفهم ، ومن الكــتاب الحــديث التــي تناولت هذا النوع من الدراسة كتابين قيمين للأستاذ الدكتور حسن الباشا .

الكــتاب الأول : " الألقــاب الإســلامية في التاريخ والوثائق والآثار " ونشرته مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة سنة ١٩٥٧م .

الكــتاب الثانــي : " الفنون الإسلامية والوظائف علي الآثار العربية " نشرته مكتبة النهضة العربية في ثلاثة مجلدات ،القاهرة ، ١٩٦٥ ، ١٩٦٦م.

وعلــي الــرغم مــن إســهام هــذين الكتابــين في إلقاء الضوء علي المصطلحات التاريخية ، إلا أنهما لم يتعرضا إلي هذه المصطلحات إبان العصر العثمانــي ، وكان ممن أسهم بنصيب متواضع في توضيح مصطلحات العصر العثماني حسين أفندي الروزنامجي أحد رجال الروزنامه قبل الحملة الفرنسية ، وإبــان حــوادث الحملــة (١٢١٣ - ١٢١٦هـ / ١٧٩٨ - ١٨٠١م) اهتم الفرنــسيون بمعــرفة طرق حكم الديار المصرية ونظام وكيفية جباية أموالها ولقــي الفرنسيون عناءاً شديداً إتجاه جمع المعلومات المطلوبة ومعرفة بعض الكلمــات الاصــطلاحية ، وذلك بسبب فرار الباشا والروزنامجي (كبير الإدارة المالــية) واســتعان مدبر الشؤون المالية الفرنسية (إستيف ESTEVE) بــرجل من رجال الرومانية في مصر وهو حسين أفندي ، فأجابه علي الأسئلة التي وجهها إليه ، ونظم حسين أفندي إجاباته في ستة عشر بابا تحت عنوان (تــرتيب الــديار المصرية في عهد الدولة العثمانية) ، وقد فرغ من تأليفها بتاريخ ١٣ من المحرم سنة ١٢١٦ هـ (أواخر مايو سنة ١٨٠١ م) أي قرب

إنتهاء العهد الفرنسي ، وتقع هذه الأبواب في خمس وسبعين صفحة في مجلد مخطوط بقلم معتاد محفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ١١٥٢ (تاريخ) .

وقد ذكر حسين أفندي كثيراً من المصطلحات التاريخية العثمانية في مصر بهذه المخطوطات ومن ثم استحق لقب "مؤرخ النظم المصرية في العصر العثماني" وقد استفدت من هذه المخطوطة في إخراج بحث حول (وثائق مخصصات الحرمين الشريفين في مصر إبان العصر العثماني) وذلك عندما عقدت مقارنة بين مبالغ الصرة الشريفة التي وردت في الوثائق الرسمية وبين المبالغ التي ذكرها حسين أفندي في مخطوطته لأوقاف الحرمين الشريفين ، ومعرفة ما يعرف من هذه المبالغ في مصر على إدارتها ، وما يرسل إلى أهالي الحرمين ، وقد قام الأستاذ شفيق غربال بشرح مخطوطة حسين أفندي والتعليق عليها في مقالة قيمة تعتبر إسهاماً في حقل المصطلحات ، ونشرها في مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة (المجلد الرابع – الجزء الأول مايو ١٩٣٦م) .

وسنحاول فيما يلي إلقاء الضوء على بعض الألفاظ الاصطلاحية ، وقد استقينا مادتنا العلمية عنها من معظم المصادر السالفة ، وخاصة كتابات ابن فضل الله العمري والقلقشندي وعلي مبارك والدكتور حسن الباشا ، وحسين أفندي الروزنامجي .

البازدار : هو خدام جوارح الصيد من البازات والصقور [٣] .

زمام دار : أصله (زنان دار) مركب من كلمتين فارسيتين ، زنان معناها البناء ودار ماسك أو ممسك فحرفته العامة إلى (زمام دار) وفسروه بقائد

---

(٣) علي مبارك ، الخطط التوفيقية ، ج٩ ، ص٣٥ .

النساء ، وهو كبير الخدم الذي يخاطب الملك في تعلقات الحريم [٤]
.

الخـوندات : جمـع (خوند) أو (خوندة) وهي جارية الملك التي ولدت منه ، ونـساء مـصر يطلقـونها على زوجة الملك ، فيقال صارت خوند الكبرى [٥] .

الخواتـين : جمع (خاتون) من نساء الملوك وكان يعبر عنهن في أيام علي مبارك بالخوندات .

الـزردخانة : لفظة كانت تطلق على السـلاح كما كـانت تطلق على خزانة السلاح [٦] .

الدهاليز : الخيام واحدتها (دهليز) أي خيمة [٧] .

أمير شكار : خادم الصيد [٨] .

البغلطاق : الثوب المفرج أو القباء الكبير ، وفي مسالك الأبصار يقال : لبسوا البغالطيق تحت فراريجهم [٩] .

قراسنقر : معناها سنقر الأسود ، و (آق سنقر) معناها سنقر الأبيض ، وهي ألقـاب لـبعض الأمـراء ، وأخـذوه من إسم طير يستعمله ملوك المشرق في الصيد ، اسمه سنقر ، وجمعه سناقر ، ويقال في سنقر : شـنقوره ، وشـنقار ، وشـنكفور (عند التتار) وهذا الطير أمير الطيور ، وهو كالشاهين ، وهو أعظم الجوارح صيداً [١٠] .

---

(٤) ، (٥) المرجع السابق ونفس المكان .

(٦) ، (٧) المرجع السابق ، ج١٠ ، ص٣٤ .

(٨) ، (٩) المرجع السابق ، ج١٠ ، ص٣٤ .

(١٠) المرجع السابق ، ج١٠ ، ص٧٨ .

مـــشـــد : وأحـــياناً بالألف واللام (المشد) بمعنى المفتش وبمعنى ملاحظ وقد يعين في تحصيل الإيراد ، ويقوم بالقبض على من يتخلف عن دفع الأمـــوال الميـــرية فاســـمه مـــشتق من عمله وهو الشد على يد المخالفين أي القبض عليهم[١١] .

شـــداد : وتطلق على أيام علي مبارك على السائس (خادم الركوبة) [١٢] .

الطبلخانة : اسم لعدة من الوقوف وغيرها من آلات الموسيقى ، وكانت تضرب فـــي ســـاعات معلـــومة من اليوم على باب السلطان وأبواب أكابر الأمـــراء وعلـــيها رئيس يسمى المهتار ويقال (أمير طبلخانة) أي أمير يكسبه مقامه أن تدق على بابه الطبول ، ويعطيه السلطان تلك المـــزية ، وفي كتاب الإنشاء : أمراء الطبلخانة هم كل أمير يكون تحـــت إمرته أربعون فارساً فأكثر ، فهؤلاء كان لهم الحق بأن تدق لهـــم الطبول عند قدومهم أو في أوقات معينة لهم ، وقد بطل ذلك فـــي القـــرن التاســـع الهجري إلا عند توجه أحد الأمراء لأمر مهم فتـــضرب عـــند سفره وفيه أيضاً أن أمراء الطبلخانة كانوا أربعة وعشرين كل منهم يحكم على مائة مملوك وألف عسكري فلذا يقال: أمير مائة ومقدم ألف وفي بدائع الزهور لابن إياس أن دق الطبول على أبواب الأمراء قد انقطع من وقت دخول السلطان سليم مصر .

ومن بقايا هذا الأمر ما هو موجود في الجيش الآن من أن بعض القادة يضرب لهم (البروجي) وقت تشريفهم [١٣] .

أميرآخور : كلمة فارسية مركبة من (أمير) وهي كلمة عربية و (آخور) كلمة فارســـية معناها المذود الذي يأكل فيه الفرس ومعناها الاصطبل ،

---

(١١) ، (١٢) المرجع السابق ، ج١٠ ، ص٧٩ ، ٨٠ .

(١٣) المرجع السابق ، ج١٠ ، ص٧٨ ، ٧٩ .

وكانــت تطلــق علـــى الـــشخص المنوط به أمور الخيل أي ناظر اصـــطبلات الخــيل ، و (سلاضـــور) أصله (سراضور) المنوط به مؤونة الخيل ، وهو تحت إدارة الأميراخور ، والأميراخور متعدد ، فمنهم أميراخور المهارة ، وأميراخور الدشار وهو مختص بالجمال ، وأميراخور السواقي وهو مختص بالبقر ، وللجميع رئيس يسمى (أميراخور الكبير) (١٤) .

التشاهير : طقومة الخيل ، يقال أهداه فرساً بتشاهيره أي بعدته (١٥) .

الــدوادار : معناها بالفارسية ماسك الدواة ، فإن لفظ (دار) معناها ماسك ، وكان للدوادار نائب يقال له (حامل المزرة) وهي كيس توضع فيها الأوراق طـوله فـــي العادة نحو ذراعين وعرضه نحو ذراع وثلث تـــتخذ من القماش المحرر الصافي وتبطن ويجعل في فمها علاقة مـــن الخيط المفتول تجمع به فوهتها ، وأحيل (مزره) = (مزررة) وهي كيس تعد لحفظ الأوراق السلطانية (١٦) .

الجمــدار : معـــناها ماسك البقجة التي للقماش لأن (الجمي) فارسية بمعنى الـــبقجة و (دار) معناها ماسك ، والجمدار بذلك هو المشرف على شئون الملابس والأقمشة (١٧) .

بشمقدار : هو ماسك نعل الملك أي خادم نعله (١٨) .

علاج دار : هو معلم العسكر استعمال السلاح (١٩) .

الخاصكية : هم الذين يلازمون السلطان في خلواته وخولاته ، فاسمهم مأخوذ من الاختصاص ، وهم الذين يسوقون المحمل الشريف ، ويجهزون

---

(١٤) ،(١٥) المرجع السابق ، ج١٠ ، ص٨٠ .

(١٦) المرجع السابق ، ج١٢ ، ص٢٧ .

(١٧) ، (١٨) ، (١٩) ، المرجع السابق ، ج١٢ ، ص٢٧ .

المهمـــات الـــشريفة ، ويترقون للإمارة ، وكان عددهم أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون أربعين خاصكياً ، ثم ازدادوا حتى صاروا فـــي زمن الملك الأشرف برسباس نحو ألف ، وقال صاحب ديوان الإنشاء إنما سموا (خاصكية) لأنهم يختصون بالملك ويميزون عن غيرهم بحمل السوف ولباس الطرز المزركشة والتألق في الملبس والمـــركوب ولهـــم الرزق الواسع والعطايا الجزيلة ويدخلون على الملك من غير استئذان [٢٠].

وكـــان فـــي مصر نوعين من الأوقاف المرصود على الحرمين الـــشريفين يطلـــق علـــيهما لفـــظ الخاصكية ، فالأول : هو وقف الخاصـــكية المـــستجدة لوالدة السلطان أحمد خان ، والثاني : هو وقـــف الخاصـــكية ، القديم ، وكان أمير الحج المصري في العصر العثماني يحمل معه كل عام إلى الحجاز صرة من ريع هذه الأوقاف وبعض الغلال التي كانت تسمى غلال الحرمين .

الدشيـــشة : الدشيشة في الأصل حسو يتخذ من برمرضوض وتطبخ بزيت أو دهن ، وكان يطلق على أوقاف الحرمين في مصر أوقاف الدشايش مـــع أن الأوقـــاف كانت لإطعام أهالي الحرمين الدشيشة وغيرها ، وتعتبر أوقاف الدشيشة الكبرى لكل من السلاطين المماليك (حقمق وقايتـــباي والغوري) من أضخم الأوقاف الإسلامية على الحرمين الـــشريفين ، فقـــد كانـــت كميات هائلة من القمح ترسل من مصر سنوياً للحجاز لعمل الدشيشة التي تفرق على طلاب العلم الشريف فـــي الربط والزوايا ، والمساجد والمدارس في مكة والمدينة وعلى

---

(٢٠) المرجع السابق ، ج١٢ ، ص٢٧ .

غيرهم من الفقراء والمساكين والأرامل والأيتام والآفاقية (الغرباء)
.

المحمل : يطلق في الأصل على الجمل الذي يحمل الهدايا إلى الكعبة ، وكان يزين بأبهى زينة ، ولما بالغوا في زينته ، أصبح الجمل لا يستطيع أن يحمــل ســوى كــسوته ، فقد أصبحت كسوة المحمل في عام ١٣٠٨هـــ مــع هيكله الخشبي لا تقل عن أربعة عشر قنطاراً ، وصار ما كان يحمل عليه من الهدايا يحمل في صناديق على جمال أخرى تسير مع قافلة الحج .

بــركة الحج : ويقال لها (البركة) و (بركة الحجاج) وعرفت بالبركة لانخفاض أرضها عن منسوب الأراضي الزراعية المجاورة لها ، ووردت في قوانــين ابن مماتي وفي تحفة الإرشاد باسم (بركة الجب) واسمها القــديم (جــب عميرة) وهي من ضواحي القاهرة تقع في الشمال الــشرقي مــنها ، قدر علي مبارك بعدها عن القاهرة بنحو خمس ســاعات ، وقدر (إدوارد وليم لين) بعدها عن القاهرة بمقدار ١١ مــيلاً ، وقال عنها المقريزي : "بركة الجب هي بظاهر القاهرة من بحريها وتسميها العامة في زماننا (بركة الحج) لنزول الحجاج بها عــند مسيرتهم من القاهرة إلى الحج كل سنة ، ونزولهم بها عند العــودة ، ومنها يدخلون القاهرة ، وكانت متنزها للموك والأمراء الفاطميــين والأيوبيــين والممالــيك" ، وجــرت العادة في العصر العثمانــي أن قافلــة الحــج المصرية كانت تتجمع عند بركة الحج وتنصب هناك خيمة لأمير الحج تسمى (صيوان) وفيها يتسلم أمير الحــج المــصري صرة (أي مقدار من المال) لكل وقف من أوقاف الحــرمين بمــصر ، وتأخذ الحكومة عليه إشهاداً خاصاً بكل صرة

علـــى حدة ، كما تأخذ عليه الحكومة إشهاداً (حجة شرعية) خاصاً بالـــصرة الميـــري (الحكومـــية) أي المعتاد إرسالها من الحكومة المـــصرية إلى أهالي الحرمين الشريفين ، وتلك الإشهادات عبارة عـــن وثيقة مكتوبة بحضور شهود من كبار رجال الدولة والعلماء وبعض موظفي الديوان العالي وكتبة الصرة الشريفة الذين يقومون بتحرير تلك الوثائق بإملاء روزنامجي الديوان العالي (رئيس الكتبة بالديوان العالي) [٢١] .

الخـــشداش : هـــو الخصيص والصاحب ، وهي كلمة فارسية أصلها (خواجه تـــاش) وتدل في استعمال مماليك مصر على مملوك كان مع رفيقه فـــي خدمـــة أمير ويجعلها الجبرتي خشداشية أي الرفاق في خدمة أمير معين [٢٢] .

كاتـــب الدســـت: هـــو كاتب الإنشاء أي كاتب مراسلات السلطان ، ولقب بذلك إضـــافة إلـــى دست المملكة وهي مرتبة جلوسه بين يدي السلطان ومن معاني الدست حملة من الورق قدرها ٢٥ فرخاً ، كالرزمة في هذه الأيام على سبيل المثال .

الطبـــردارية : هم البلطجية ، لأن (الطبردار) هو ماسك البطو بالفارسية وذكر صـــاحب كـــتاب الإنشاء أن الطبردارية من أولاد الجند ولهم أمير ومهمتهم أنه في حال ركوب الملك يكونون حوله مستعدين لضرب

---

(٢١) علـــي مبارك ، الخطط التوفيقية ، ج٩ ، ص١٦ ، ١٧ وانظر أيضاً المقريزي ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثـــار ، ج٢ ، ص٥٨٣–٥٨٥ ، وانظر أيضاً إدوارد وليم لين ، المصريون المحدثون شمائلهم وعاداقم ، ترجمة عدلي طاهر نور ، ص٤١١–٤١٢ .

(٢٢) علي مبارك ، مصدر سبق ذكره ، ج١١ ، ص٢٨ .

مـــن يقدم على الضرب منه بغير إذن وهم عشرة وأميرهم يسمى : (أميرطبر) [٢٣] .

بـــردادار : معناها بالفارسية ماسك الستارة ، ومهمته الإشراف على ستائر السلطان.

الأوجاق : كلمة تركية (في الاستعمال العربي الوجاق) وهي في الأصل الموقد وتطلـــق علـــى الطائفـــة من الجند ، والنسبة إليها (أوجاقلو) وفي الاستعمال العربي (وجاقلي) وتجمع على (وجاقلية) وكان في مصر إبان العصر العثماني سبعة أوجاقات يكونون الحامية العثمانية بها وهم العنصر الفعال في حكومة مصر، وهم الفرق الآتية :

١- المتفـــرقة : فـــي الأصـــل التركـــي القـــديم كانوا أصحاب نوع من الإقطاعات وخدمتهم في مصر حفظ القلاع الخارجة عن القاهرة مثل : العـــريش والإســـكندرية ودمياط وأبو قير وأسوان وأبريم وغيرها وللقلاع المذكورة أنفار معلومين ولهم مرتبات من حكومة القاهرة ، وجعلت الحكومة في أوجاق المتفرقة (معمارباشا) ومهمته الإشراف علـــى المهندســـين والبقائين وسائر ما يتعلق بالعمارة ومنهم (قافلة باشـــا) ومهمـــته تـــشهيل القوافل ، ويقوم العمال من العربان لحمل الأحمـــال ولـــه عـــوائد على القوافل ومن أصل محصول الأوجاق ، ومـــنهم (الجبجي) في الأصل التركي (جبه جي باشي) ويشرف على صناعة البارود المطلوب لحفظ القلاع ، وكان يستخرج أذى ذلك من الكيمان المختلفة عن المدة والقرى المتخربة وما يقدمه الجبجي من البارود يخصم له ثمناً من مصروف الحكومة .

---

(٢٣) المصدر السابق ، ج١٢ ، ص٢٧ .

٢- الجاوشـان : جمـع جـاوش وهو الفارس ، ومنهم أرباب الديوان العمومـي الـذين حضور الديوان لتحصيل الأموال الميرية ، ومنهم كـتخدا جاوشان ، وأمين الشون ويطلق عليه أيضاً (الأمين الأنبار) الـذي يـشرف علـى شون الغلال الأميرية ، وكانت لهذه الوظيفة أهميـتها نظـراً لأن الجزء الأكبر من أرض الصعيد كان يجبي ماله غلالا ، وكانت لأمين الشئون عوائد على كل ملتزم يؤدي المال غلالاً ، هذا إلى جانب أنه كان مسموحاً له بأن يستعمل عند صرف الغلال مـن الـشئون لمـستحقيها كيلا أصغر من الكيل الذي يستعمله عند الاسـتلام مـن دافعي الضرائب والفرق بين الكيلين له ، وعليه في مقابـل ذلـك بعـض الأمـوال التي يدفعها لديوان السلطان ومنهم المحتـسب : أي أن المحتسب كان يختار من الجاويشية ، ولم يكن مـن المتفقهـين فـي الـدين كما هو الأصل في الحسبة ، ومهمة المحتـسب ضـبط الأسواق ، وفي هذا أيضاً تضييق لمعنى الحسبة الأصلية .

٣- جملـيان : هو تحريف لجنليان جمع فارس للكلمة التركية (جنللو) نوع من الفرسان لحفظ الجسور السلطاني .

٤- تفكـشيان : هو تحريف الكلمة (تفنكجيان) ومفرده (تفنكجي) وهو الجندي المسلح بالبندقية .

٥- الجراكـسة : وتلفظ أحياناً (الشراكة) وهم فرقة تكونت من فرسان المماليك الجراكسة .

وقـد أطلـق علـى هـذه الأوجاقات الثلاثة (جمليان تفكشيان جراكسة) اسم الأسباهية أو الخيالة ، ومهمتهم مهمة إشراف تام في

القاهرة على الباشا ورجاله بواسطة كبراء الأوجاقات المقيمين فيها ، وفي الأقاليم بواسطة من يقيم في الأقاليم من رجال هذه الأوجاقات .

٦-المستحفظان : وهم رجال الحفظ بالقاهرة ، وهم من جند الانكشارية ولهذا أطلق عليهم حسين أفندي الروزنامجي (مؤرخ النظم العثمانية في مصر إبان العصر العثماني) اسم : (أوجاق الأنكشارية) وقال بأن هذا الأوجاق وهم أوجاق السلطان لأنه تحت طلب السلطان ، وإنما الإنكشارية له الرياسة العليا علي ضبط مدينة القاهرة ، وينسب لهذا الأوجاق عدد من أكبر أصحاب المناصب ، منهم : (الكتخدا) وكيل الباشا ، ومنهم (سردار الحاج) و (سردار الخزنة) وكان رجال المستحفظان يقيمون في قلعة صلاح الدين بالقاهرة . وقد خصص السلطان عواد الأوجاق الإنكشارية رسوم بعض الجمارك بعد دفع نصيب الحكومة منها ، فقد أعطى لهم المتحصل من رسوم جمارك مصر العتيقة (الفسطاط) وبولاق والإسكندرية ودمياط بشرط تأدية نصيب منه للسلطان ، ولكن قبيل الحملة الفرنسية غصب هذه الجمارك أمراء المماليك .

٧-العزبان : أو أوجاق العزب ، وهم طائفة كانت في الأصل من جنود البحرية ، ومنهم أمين البحرين وأمين الخردة وسيأتي بيانهما ، وجعل لهم السلطان إيراد البحرين والخردة بعد الميري [٢٤] .

اختيارية الأوجاق : هم المسنون من رجاله وأقدمهم (باش اختيار) أي رئيس الاختيارية .

---

(٢٤) انظر: محمد شفيق غربال ، مقال عن مصر عند مفرق الطرق ، مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة المجلد الرابع والجزء الأول ، عدد مايو ١٩٣٦م ، وقد شرح محمد شفيق غربال مخطوطة ترتيب الديار المصرية لحسين أفندي الروزنامجي سالفة الذكر .

أغـــاوات الأوجـــاق : هـــم ضباط الأوجاق ولهم رئيس أغا الإنكشارية أو أغا العـــزبان ... إلـــخ ، وللأوجـــاق (كتخدا) أي وكيل وله كاتب أيضاً وهكـــذا ، وكـــان لأصحاب الرياسة في الأوجاقات حضور جلسات الديوان ، وكان للديوان في هذا العصر معنيان : الأول : يفيد معنى الديوان الثابت ، والثاني : يفيد مجرد اجتماع هذا الديوان الثابت ، والديوان الثابت الذي كان لباشا مصر لم تكن العضوية فيه مقررة بالـــتحديد كمـــا هـــو الحـــل في البرلمانات الحديثة مثلاً ، بل كان المفـــروض أن يحضره الصناجق وضباط الأوجاقات وكبار أصحاب الوظائـــف والعلماء وكبار التجار ، وأرباب السجاجيد وغيرهم من الـــوجهاء والمفـــروض أن يجمعـــه الباشـــا لكل أمر مهم، وكانوا يميـــزون بين ديوانين : أولهما الديوان الخصوصي : وتغلب عليه الصفة التنفيذية ، والثاني الديوان العمومي : ويجتمع فيه الأعضاء لـــتداول الرأي وله صفة استشارية في الغالب أي أن آراء أعضائه ليست ملزمة للوالي .

أمـــين البحرين : البحرين عبارة عن ساحلي بولاق ومصر العتيقة (الفسطاط) ويشرف أمين البحرين على الرسوم المفروضة على الغلال الواردة لهـــذين الـــساحلين ، وعلـــى السفن التي تسير في النيل وفروعه والبحيرات .

أمـــين الخردة : الخردة عبارة عن رسوم كانت مفروضة إبان العصر العثماني على الملاهي والنساء "العوالم" والحواة ومن يماثلهم ، وقد تعددت هـــذه الرســـوم في السنين القريبة من الاحتلال الفرنسي ، بدرجة جعلت من المستحيل على ولاة الأمور إبان عصر الحملة الفرنسية تحديدها .

أمـــين الأنبار : هو أمين شئون الغلال والأنبار هي الغلال ، وكان يشرف على شئون الغلال الأميرية وهو من أوجاق الجاوشان .

الوالـــي : كـــان لهذه اللفظة في العصر العثماني عدة إطلاقات ، فهي تطلق أحياناً على الباشا العثماني أي والي مصر من قبل الدولة العثمانية ، وكانت تطلق على رجل وظيفته صيانة الأمن في القاهرة ، وكان هـــناك ثلاثـــة ولاة من هذا القبيل : واحد للقاهرة ، وآخر لبولاق ، وثالث للفسطاط وكانوا جميعاً تحت رئاسة أغا الإنكشارية وبمضي الزمن أصبحت لوالي القاهرة رئاسة على زميليه .

قاضي عسكر أفندي : هو قاضي القضاة في مصر إبان العصر العثماني ، قال عـــنه حـــسين أفندي الروزنامجي : هو نائب السلطان في الأحكام الـــشرعية ، ومذهـــبه حنفـــي ، فقد كان من نتائج الفتح العثماني لمـــصر أن عهـــد السلطان برياسة القضاء في مصر لقاضي غير مصري (تركي غالباً) يعينه السلطان لإدارة شئون المحاكم المصرية فـــي العصر العثماني وتعيين النظار على الأوقاف وله حق حضور الديـــوان الخـــصوصي ، وكان يتبعه بعض المترجمين، ومقره في محكمـــة الـــباب العالي بحي بين القصرين بالقاهرة وتنعته الوثائق الرســـمية بأنه "سيدنا ومولانا شيخ مشايخ الإسلام علامة الإمام قامـــوس الـــبلاغة ونبراس الأفهام أشرف السادة الموالي الأعالي الأعـــزة الكـــرام الناظر في الأحكام الشرعية وقاضي القضاة يومئذ بمصر المحمية الموقع خطه الكريم أعلاه دام علاه آمين" .

وكان النظام القضائي بمصر إبان عصر المماليك يحكم بمقتضى المذاهب الأربعة (الحنفي والشافعي والمالكي والحنبلي) ونظراً لأن الدولة العثمانية كان النظام القضائي بها على المذهب الحنفي ، فقد

تغير النظام القضائي بمصر بعد الفتح العثماني وأصبح طبقاً لمذهب الإمـــام الأعظـــم أبي حنيفة ، وبقي قاضي عسكر أفندي يعين من طـــرف الـــسلطان إلى عهد الحملة الفرنسية حين عين الفرنسيون قاضياً من علماء الأزهر هو الشيخ أحمد العريشي الرياسة القضاء ، وبعد جلاء الحملة الفرنسية عن مصر عاد الأمر إلى ما كان عليه واستمر كذلك إلى أن قطعت بريطانيا علاقة مصر بالدولة العثمانية سنة ١٩١٤م عندما قامت الحرب العالمية الأولى .

وكان لهذا القاضي التركي نواب في القاهرة والأقاليم يطلب على كل منهم اسم "مأذون" و احياناً "مأذون مولانا قاضي أفندي" وفي رســـالة خطـــية بدار الكتب المصرية ، كتبها الشيخ أحمد العريشي تتـــضمن إجاباتـــه عن أسئلة وجهها إليه الفرنسيون ، بها تعريف بـــنظام القضاء إذ ذاك وأسماء بعض القضاة النائبين عن القاضي الأكبـــر وتعيـــين محـــالهم ، ويخـــتلف القضاء في العهد العثماني المملوكـــي عـــن القضاء في عهدنا في أن القاضي لم يكن له ولا لتابعـــيه من كتاب ورسل مرتب شامل كما هو الحال الآن ، بل كان للقاضـــي عـــوائد مـــن أصحاب الدعاوى ، ومن هذه الموارد كان القاضي يعرف على جهاز القضاء [٢٥] .

أرباب السجاجيد : قال عنهم حسين أفندي الروزنامجي (مؤرخ النظم العثمانية فـــي مصر إبان العصر العثماني) : "لهم مقامهم وإكرامهم لأجدادهم ، ورتـــب لهم السلطان ترتيباً عظيماً ، وأعطى لهم بلاداً ، ومكنهم فـــيها ، ويحـــضرون في الديوان الخصوصي ، والمشورة لهم في

---

(٢٥) انظر: أحمد العريشي قاضي العسكر بمصر إبان الحملة الفرنسية ، دفتر علم وبيان طريق القضاء وأسماؤهم بمصر المحروسة وأقاليمها ، مخطوطة بدار الكتب بالقاهرة تحت رقم ٣١٥١ (تاريخ) .

جمـــيع الأمـــور ، ولهم على الباشا فراوي سمور في وقت مقابلته وفـــي وقت طلوع القلعة "وذلك لتهنئته بالمناسبات الدينية والأعياد الإســـلامية . وكـــان بمـــصر أربـــع سجاجيد على عهد الحملة الفرنسية وهم :

١- ســـجادة الـــسادة البكـــرية وشيخها الشيخ خليل البكري ويرجعون نسب أسرتهم إلى أبي بكر الصديق .
٢- ســـجادة الـــسادة الوفائـــية : وشـــيخها محمد أبو الأنوار السادات ويرجع نسبه إلى سيدنا علي بن أبي طالب .
٣- ســـجادة السادة العنانية : وشيخها الشيخ العناني ويرجع نسبه إلى عمر بن الخطاب .
٤- ســـجادة الـــسادة الخضيرية : وشيخها الشيخ الخضيري ويرجع نسبه إلى الزبير بن العوام .

ومـــن الملاحـــظ أن الـــشيخين الأولين كانا يقدمان أحياناً في الذكـــر على شيخ الأزهر إبان العصر العثماني (في وثائق العصر) وذلـــك لأن وراءهمـــا جمهور غفير من أرباب الطرق الصوفية في العصر العثماني لرواج التصوف والدروشة في ذلك العصر [٢٦] .

أرباب الأشاير : هم أرباب الطرق الصوفية أي مشايخ الطرق الصوفية ، وكل طائفة منهم معروفة بإشارة خاصة يزينون بها صدورهم ويجمعون أنفسهم في مسيرات ضخمة في موالد الأولياء بالقاهرة والأقاليم .

شيخ البلد : هو زعيم المماليك في العصر العثماني وكان يتمركز بمماليكه في القاهرة .

---

(٢٦) انظر: محمد شفيق غربال ، مرجع سبق ذكره ، ص٢٤ .

القلقـات : جمع قلق تحريف عربي للتركية قوللق ، وهو مركز العسكر في العـصر العثماني أو ما نسميه الآن نقطة الشرطة ، وتطلب الدلالة على مركز العسكر نفسه وعلى الضابط أو أحد رجاله أحياناً .

صـنجق : ويكتـبها الجبرتـي أحـياناً (سـنجق) و (سنجاق) وتجمع على (سناجق) أو (صناجق) وهي من التركية سنجاق وهو العلم أو قسم من ولاية كبيرة كما تطلق على الحاكم لقسم من ولاية ، وقد تكون الـسنجقية أيـضاً مجـرد رتـبة ، وصـنجق طبلخانة بجمع بين مـصطلحين : مصطلح عثماني ومصطلح مملوكي ، فبعض الأمراء في دولة المماليك كانوا أمراء طبلخانة أي يكسبهم مقامهم أن تدق لهم الطبول وغيرها من الآلات الموسيقية التي تتكون منها طبلخانة الـسلطان وكـان في مصر ٢٤ سنجقاً تعين منهم الأستانة سناجق الثغور المهمة (الإسكندرية – دمياط – السويس) وأهم السنجقيات فـي مـصر في العصر العثماني هي : (جرجا والشرقية والغربية والمنوفية والبحيرة) .

كاشـف : الحاكم الذي لم يبلغ مرتبة المستجفية يطلق عليه (كاشف) وعلى المنطقة التي يحكمها اسم (كشوفيه) أما عن عوائد حكام المديريات مـن صـناجق وكشاف ، فقد كان أهم مورد لهم هو مال الكشوفية المقرر على الأراضي الزراعية ، والكشوفية كانت قديمة وجديدة ، ويـتكون كل منها من مفردة ، وكان على الصناجق والكشاف مال ميري يؤدونه للحكومة نظير وظائفهم .

اسـتادار : كلمـة غيـر عربية ومعناها في الأصل الحاذق في صنعته ، ثم اسـتعملت فـي الخـص من الآدميين ، وقد تكتب (أستاذ الدار) و (أستادار) ويقال للجماعة استدارية ، وهي عند ملوك المشرق على

الإطـــلاق فـــي العصور الوسطى رتبة من الرتب المعتبرة ، وكان ملـــوك خوارزم يصنعون تحت إدارة الاستادار جملة أموال بعضها مـــن الخـــزنة وبعضها من المديريات وتوزع بمعرفته على المخبز والمطبخ والاصطبلات والخدم ونحوها .

وقـــال صاحب مالك الأبصار والمقريزي ، كان لاستادار العالية الـــتكلم علـــى جميع السرايات فيرتب ما يلزم للمطبخ والمشروبات والخـــدم والغلمـــان ، وكان يمشي في الأسفار تبع السلطان ومعه جملة من الغلمان ، ويتكلم أيضاً على الجاشنكيرية (المشرفين على طعام السلطان) مع أن رئيسهم يساويه في الرتبة ويحكم مثله على مائتـــين مـــن الـــرجال ، ولـــه أيضاً طلب النقود والكسوة ولوازم السرايات ، واستمر ذلك إلى زمن السلطان الملك الظاهر برقوق ، فقلـــد الأميـــر جمـــال الـــدين محمود بن علي وظيفة الاستدارية ، وأضـــاف إليه إدارة المالية في جميع المملكة وما يتعلق بوظيفتي الـــوزارة وناظر الخاص ، فكانت وظيفة من حينئذ أعلى الوظائف حتى وصلت إلى ما كانت عليه الوزارة أيام الخلفاء .

وأطلـــق عليه صاحب كتاب التعريف (استاذ الدار) وقال عنه أنه يتفقد أحوال الحاشية على اختلاف طوائفها وأنواع وظائفها ويرتبها فـــي الخدمـــة على ما يجب وينظر في أمورهم نظراً لا يخفي معه شيء ، وينظر في أمور السماط وأحوال المطبخ الكريم [٢٧] .

---

(٢٧) انظر: المقريزي ، المواعظ ، مصدر سبق ذكره ، ج٣ ، ص٦٤-٦٥ ، وانظر أيضاً : ابن فضل الله العمري ، مصدر سبق ذكره ، ص٩٦ – ٩٧ .

الترسيم : هذا المصطلح كثر استعماله في عصر المماليك ، وكثيراً ما يورده ابن إياس وهذه الكلمة تعني القبض على شخص من أجل دفع مبلغ من المال ومراقبته حتى يتم تدبيره ودفعه [٢٨] .

خـوانكار : مـن ألقاب سلاطين السلاجقة والعثمانيين في آسيا الصغرى التي كانـت تـسمى بـلاد الـروم ، وتكتب هذه اللفظة أحياناً "خانكار" مختصرة من "خداوندكار" بمعنى السيد أو الأمير .

مهم : كلمة تطلق على الاحتفال الكبير الذي يلم فيه المحتفل لضيوفه وكان في العصر العثماني تطلق على الحفل الذي يقام بمناسبة عرس أو طهور أو غير ذلك من المناسبات السارة .

ويقـول الجبرتـي فـي حوادث سنة ١١٩٠هـ : "وفيها شرع الأميـر اسـماعيل بك في عمل مهم لزواج ابنته وهي من زوجته هـانم بـنت سيدهم إبراهيم كتخدا الذي كان تزوجها في سنة ٧٤ بـالمهم المذكور في حوادث تلك السنة ، وكان ذلك المهم في أوائل شـهر ذو الحجـة وكان قبل ذلك المهم حصل بينه وبين مراد بك منازعة أو مخاصمة " [٢٩] .

الأمـراء القبالـي : (أو القبليـين) يستعملها الجبرتي كثيراً ويقصد بها أمراء المماليك المعتصمين بالصعيد "الوجه القبلي" لمناواة سلطة القاهرة .

يقـول الجبرتـي في حوادث سنة ١١٩١هـ : "في يوم الاثنين ثامنه" (أي ثامن ذي القعدة) سافرت تجريدة لجهة الصعيد للأمراء القبالـي لأنهم تقووا واستولوا على البلاد وقبضوا الخراج وملكوا

(٢٨) ابن إياس ، مصدر سبق ذكره ، ج٤ ، ص٢٨٥ .

(٢٩) الجبرتي ، عجائب الآثار ، ج٢ ، ص٣ .

أمـــن جرجا إلى فوق ... ومنعوا ورود الغلال حتى على سعرها ، فعينوا لهم التجريدة وسر عسكرها رضوان بك [٣٠] .

التجريدة : في النص الثالث هي الحملة .

ســـر عسكر : مكونة من لفظين (سر) وهي تركية بمعنى الرأس أو الرئيس و (عــسكر) العــربية فيكون معناها : رئيس العسكر أو قائدهم ، وقد تكتب أحياناً (ساري عسكر) و (صاري عسكر) .

التحجيـــر : كلمة عربية مأخوذة من (الحجرة) ومعناها تحديد إقامة الشخص في منزله لا يفارقه ، والجبرتي يذكرها في مواضع كثيرة من كتابه بهذا المعنى [٣١] .

الفـــائظ : هـــي كلمة (الفائض) العربية قلبت فيها الضاد إلى ظاء جرياً على عـــادة الـــنطق التركـــي كما في (ضابط) تنطق بالتركية (ظابط) و (مـــضبوط) تنطق (مظبوط) وهكذا ، والفائظ هو الفرق بين حصيلة الـــضرائب التـــي يجمعهـــا الملتزم من الفلاحين وبين المبلغ الذي يـــورده لخزانة الحكومة ، ويذهب هذا الفائظ إلى جيب الملتزم ، ثم استعملت بعد ذلك في كل زائد عن الأصل وأطلقت على فائض الربا أو القرض بمنفعة .

التكـــــية : تطلـــق على المكان الذي يسكنه الفقراء والدراويش وغالبهم من الأغـــراب المنقطعـــين للعـــبادة ولـــيس لهم كسب ، وتوزع عليهم الأطعمـــة والمـــرتبات الشهرية من الأوقاف العامة أو من أوقافهم الخاصة ، وكثر انشاء التكايا في العصر العثماني .

---

(٣٠) المصدر السابق ، ج٢ ، ص١٥ .

(٣١) المصدر السابق ، ج٤ ، ص٢٠ .

الخانقـــاه : كلمة فارسية مركبة من لفظتين : (خان) أي منزل أو مكان ، و (قـــاة) بمعنى الصفاء والنقاهة الروحية ، وقد أطلقت على البيوت التـــي أقيمت منذ القرن الخامس الهجري لإيواء المتصوفين وأقيم عدد كثير منها في أيام المماليك منها :

١- خانقـــاه الأشـــرف السلطان برسباي (٨٣٥هـــ) بالقرافة الشرقية.

٢- خانقـــاه بيبـــرس الجاشـــنكير (٧٠٦-٧٠٩هـــ) بشارع الجمالية بالقاهرة المعزية .

٣- خانقـــاه ســـعد الدين بن غراب بدرب الجماميز (٨٠٣-٨٠٨ هـــ).

٤- خانقـــاه الناصر فرج بن برقوق (١٤٠٠-١٤١١م) بالقرافة الشرقية وهي أكبر بناية أثرية في قرافات مصر [٣٢] .

الـــرباط : كـــان الرباط في الأصل نوعاً من المباني يسكنه المجاهدون الذين يدافعـــون عـــن الإسلام وانتشر على وجه الخصوص في شمال أفـــريقيا ، ومعظمها أبنية مستطيلة الشكل وتوجد في أركانها أبراج للمراقبة ، ولما زالت عن الربط صفاتها العسكرية ، أصبحت مكاناً للتقشف والعبادة ويسكنها الصوفية كالخانقاوات [٣٣] .

البلطجـــي : كلمـــة تـــركية وتطلـــق في الأصل على الشخص الذي يسير مع العـــسكر لأجـــل تـــسهيل الطريق بقطع الأشجار (بالبلطة) وإقامة الحـــصون و (البلطجية) جماعة كانوا يتبعون السلطان في تجواله يحملـــون الـــبلط لرد أي اعتداء مفاجئ على السلطان ، واستعملت

---

(٣٢) د. عبد الرحمن زكي ، موسوعة القاهرة ، ص٩٦-٩٩ .

(٣٣) انظر: المقريزي ، المواعظ ، ج٣ ، ص٤٦٧ ، وانظر أيضاً د. عبد الرحمن زكي ، موسوعة القاهرة ص١١٣ .

لفظـــة البلطجي أخيراً للدلالة على الفتوة الذي يعتمد على قوته في ســـلب مال الناس والاعتداء عليهم ، كما تطلق على الشخص الذي لا يهتم بأداء الحق إلى صاحبه [٣٤] .

أناضـــول : كلمـــة تـــركية مـــن أصـــل يوناني (أناتولي) أي المشرق وكان اليونانيون يطلقونها على كل ما يقع شرق القسطنطينية . (أي آسيا الـــصغرى) ثـــم نطقهـــا الأتراك أناضول ، وقيل معناها في التركية الوطن الأم ، وقد أطلق العرب على الأناضول (بلاد الروم) وكل من يأتي منها (رومي) .

الروملـــي : كـــان الأتـــراك يطلقـــون اسم (روملي) على شبه جزيرة البلقان والكلمـــة مكونة من لفظتين (روم) و (إيلي) ومعناها بلاد الروم ، وذلك كقولهم (عثمانلي) و (استانبولي) . . . إلخ .

أفـــندي : تركية معناها سيد و (أفندم) معناها سيدي .

دولتلو : (لو) المضافة إلى الألقاب تركية بمعنى صاحب فيكون معنى (دولتلو) صـــاحب الدولـــة وهكـــذا (ســـعادتلوت) صـــاحب الـــسعادة ، و (فضيلتلوت) صاحب الفضيلة ، وظلت مستعملة في مصر إلى عصر ما قبل ثورة يولية ١٩٥٢م.

الإنكشارية : من أصل تركي (يني تشري) ومعناها العسكر الجديد ، وهو اسم أطلقـــه العثمانيون على الجنود المشاة النظاميين التي كونوها في القـــرن الـــرابع عـــشر المـــيلادي ، ويرجع تنظيمها إلى السلطان أورخـــان (٧٢٦هـــ /١٣٢٦م) وهو أن السلطان عثمان الأول (

---

(٣٤) انظـــر : عـــدلي طاهـــر نور ، من تعليق هامش له ص٤٠٧ هامش رقم (١) من ترجمة كتاب إدوارد وليم لين : (المصريون المحدثون) .

١٢٩٩-١٣٢٥م) والجبرتــي يكتـبها فــي كثيــر مــن المواقع (الينجكرية) .

الحلــوان : هو الرسم الذي تتقاضاها الحكومة في العصر العثماني في مقابل نقل حق أو منفعة من شخص إلى آخر .

قــشلات : جمع (قشلة) وهي اللغة التركية المكان الشتوي ، لأن الشتاء في التــركية يسمى (قشل) بكسر القاف وسكون الشين ، والقشلات في العصر العثماني كانت لسكنى العساكر ، واستعملت حتى الآن فيقال (قشلاق) و (قشلاقات) لسكن العساكر في الجيش .

بيــادة : كلمة فارسية معناها مشاه ، واستعملت في التركية .

المهاتــرة : جمــع مهتر (تركية) وهو رجل الموسيقى ، ويضربون النوبة أي يعــزفون علــى آلاتهــم الموسيقية في أوقات معينة كعند غروب الشمس مثلاً .

الجامكــية : أو الجمكــية من الفارسية جامكي وأصلها مرتب يصرف لشراء ملبس وفي الاصطلاح العثماني المملوكي مرتب الجنود الشهري .

الكــتخدا : هو وكيل الباشا العثماني (والي مصر) ويقال عنه أحياناً (الكتخيا) وأطلقــت في العصر العثماني على كل من ينوب محل رئيس لفرقة أو مهنة .

المهردار : هو أمين خاتم الباشا أي حامل خاتمه ، و (الخزينة دار) هو أمين صندوق الباشا وهؤلاء الثلاثة يكونون شبه مكتب الباشا .

الطــرة : هي بصمة الخاتم .

الماليانــة : كلمة فارسية معناها المرتب السنوي .

الخزينة : أو الخزنة في الاصطلاح العثماني هي مقدار ما يبقى مما يجبى من مــصر بعــد إنفــاق كل ما قرر السلطان انفاقه ويرسل هذا الباقي

لعاصـــمة الدولة العثمانية في احتفال كبير ومعها فرقة من الجنود عليهم قائد يسمى (سردار الخزنة) .

أونباشي : (تركية) معناها ضابط يرأس عشرة عساكر .

يوزباشي : (تركية) ومعناها ضابط يرأس مائة من العسكر .

بكباشي : (تركية) ومعناها ضابط يرأس ألف من العسكر .

بلــوك : (تركية) بمعنى جماعة .

قــول : (تركية) بمعنى سرية عسكرية .

تفنــك : (تركية) بمعنى بندقية .

تفنكجي : حامل البندقية بإضافة اللاحقة (جي) .

قبودان : أو قبطان (تركية) ، بمعنى أمير البحر .

صــول : تركية بمعنى شمال .

صــاغ : " " " " يمين .

نوبتجي : تركية بمعنى غفير .

دوننما : سفن البحر [٣٥] .

ســلاملك : كلمة تركية (سلاملق) ومعناها القسم الخاص بالضيوف من القصر أو المنزل و (حراملك) القسم الخاص بالحريم .

خــاتون : تركية بمعنى السيدة وكذلك (قادين) بمعنى السيدة أيضاً.

الجراكسة: كلمة من أصل فارسي مأخوذة من (الجركس) وأصلها (جهاركس) ومعناها الرجال الأربعة لأن (جهار) معناها أربعة و (كسي) معناها رجل ، الجركس أربع قبائل رئيسية كانت تسكن بلاد القوقاس وذلك كمـــا ذكر ابن خلدون ، وكما ذكر البدر العيني (٨٥٥هــ) في كتابه

---

(٣٥) الكلمـــات مـــن أونباشي إلى دوننما من كتاب قلائد الجمان في فوائد الترجمان عربي تركي لمؤلفه خليفة محمود المصري ، القاهرة ١٢٦٦هــ / ١٨٤٩م .

(عقـد الجمـان فـي تاريخ الزمان ، ج١ ، ص١٧٠) وإحدى هذه القـبائل تـسمى (آص) أو (آس) ثـم باسم هذه القبيلة سمي جبل القـوقاس لأن (قـوقاس) بمعنـى جبل آس ، ثم باسم هذه القبيلة سميت (آسية الصغرى) أيام توغلهم بها ثم القارة كليها ، وسميت دولـة المماليك الأولى والثانية باسم (الجراكسة) (وفي رأي الثانية فقـط) لأن معظـم سلاطينها كانوا من المماليك المجلوبين من هذه المناطق .

روزنامـة : لفظـة فارسـية مكونة من كلمتين (روز) بمعنى يوم أو نهار و (نامـة) بمعنـى سـجل أو كتاب ، فيكون معناها سجلات الأصول اليومـية ، ورئيـسها يسمى (الروزنامجي) بإضافة اللاحقة (جي) والتـي تفـيد الـصنعة والمهنة وكتبتها يطلق عليهم اسم (أفندية الـروزنامة) وكانوا يتوارثون هذه المهنة فالابن يرث عمل أبيه في إدارة الـروزنامة ، وكانوا يحرصون على ذلك ، ومن ثم فقد كانوا يـستعملون بعض الرموز في الكتابة العربية والاختصارات تصعب قراءتها إلا عن طريقهم وسمي هذا النوع من الكتابة بخط (القرمة) وأصـبح هذا النوع من الكتابة يشكل مشكلة أمام الباحثين في تلك السجلات ولا يتعرف الباحث على أسراره إلا بعد مران طويل .

وإبـان حوادث الحملة الفرنسية على مصر (١٧٩٨-١٨٠١م) اهـتم الفرنسيون بمعرفة طرق حكم الديار المصرية ونظام أرضها وكيفـية جباية أموالها ، ولقي الفرنسيون عناءاً شديداً تجاه جمع المعلومات المطلوبة وذلك لفرار الباشا والروزنامجي (كبير الإدارة المالـية) واستعان مدير المالية الفرنسي استيف (Esteve) برجل مـن رجال الروزنامة في مصر وهو (حسين أفندي الروزنامجي) ،

فأجابه على الأسئلة التي وجهها إليه ، ونظم حسين أفندي إجاباته في ستة عشر باباً ، وكان هذا بتاريخ ١٣ من المحرم سنة ١٢١٦ هـــ (أواخـــر مايو سنة ١٨٠٣) أي قرب انتهاء العهد الفرنسي ، وتقع هذه الأبواب في خمس وسبعين صفحة في مجلد محفوظ بقلم معـــتاد محفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ١١٥٢ (تاريخ) وقد ذكـــر حـــسين أفندي الروزنامجي كثيراً من المصطلحات التاريخية العثمانـــية في مصر بهذه المخطوطة ، ومن ثم استحق لقب مؤرخ الـــنظم المـــصرية فـــي العـــصر العثماني ، وقد استفدت من هذه المخطـــوطة في إخراج بحث حول (وثائق مخصصات الشريفين في مـــصر إبان العصر العثماني) وذلك عند مقارنة مبالغ وثائق الصرة الـــشريفة بالأرقـــام التي ذكرها حسين أفندي الروزنامجي لأوقاف الحرمين الشريفين .

سرشـــشمة : أوساري جشمة ، يقول أمين سامي باشا نقلا من كلوت بك أنه يعني (قائد ألف) أي ما يساوي في أتعاب الجيش (بكباشي) وكان هـــذا اللقـــب يـــضاف اسم محمد علي أول الأمر ، ويظهر أنه كان متصرفا في أطعمة الجيش أن يكون أميا عليها .

قائمقـــام : لقـــب شيخ البلد وهو الاستعمال الاصطلاحي ، وتستعمل قائمقام أيضا في معناها الأصلي لكل من يقوم مقام أحد ما ، كقائمقام الباشا كمثل لمن يقوم مقام الباشا عندما تكون الباشاوية خالية وتستعمل قائمقام لمن يقوم مقام قاضي القضاة مبصر إلي حين حضوره من الآستانة .

عرضـــي : مأخوذ من الكلمة التركية (أردي) ومعناها الجيش أو الفيلق ، وتؤدي معني المعسكر .

وطاق : مصطلح مملوكي ذكره بن أياس في كتابه بدافع الزهور للدلالة على المعـسكر وظل يستعمل في فترة العصر العثماني ، يقول بن إياس ، (ج ٥ ص١٦٠) " ولمـا أقـام سليم شاه بالقلعة نصب وطاق عسكره بالرملة من باب القرافة إلي سوق الخيل ".

خط كلخانة : هو القانون الأساسي الذي أصدره السلطان عبد المجيد / ١٨٣٩ م بتقديـر حقوق الأفراد في السلطان العثماني ، وسمي خط كلخانة لأنـه قـرئ فـي قصر (كلخانة) أحد القصور السلطانية ومعني : كلخانـة = دار الـورد. وكلمـة (حط) العربية معناها مرسوم أو قانون .

الفرمان : هو المرسوم السلطاني ويقال : (فرمان همايوني) أي سلطاني أو ملوكي ، وهمايوني مأخوذ من اسم طائرا لهما وهو طائر أسطوري يقـال عـنه أنه عندما يقف علي هامة إذ يصبح ملكا ، فلهما أي الطائر الملوكي .

الأمر الخاقاني : أي الأمر الملكي (خاقان) علم واسم لكل ملك والجمع خواقين .

الخـشداشية : هـي علاقـة الزمالة بين المماليك والمعبر عنها في المراجع المملوكـية والعثمانـية بلفـظ الخـشداشية . و (الخـشداش) أو الخواشداش أو الخوجداش معرب من اللفظ الفارسي (خواجاتاش) ومعناها الزميل في الخدمة والخشداشية في إصلاح عصر المماليك بمـصر هم الأفراد الذين نشأوا عند أستاذ واحد أي سيد واحد من المماليك الكبار .

الططـر : هم رسل من قبل الباب العالي يأتون بالأخبار والبشارات بالمناصب وقـد فـسر الجبرتي هذه الكلمة في كتابه فقال : "في يوم الاثنين

حادي عشر (صفر ١٢٢٢هـ) حضر جماعة من الططر الذين من عـادتهم يأتون بالأخبار والبشارات بالمناصب" ويكون الططري أي رسول السلطان بطريق البر ، أما رسول السلطان عن طريق البحر فيسمى (قابجي) .

إيلجـي : أو الجي فارسية بمعنى سفير .

الكلارجي : هو الطباخ .

الـرزق الاحباسـية : أراضي الرزق هي الأراضي التي كان ينعم بها السلطان علـى بعـض الأشـخاص وتـصح ملكاً خالصاً لهم ، أما (الرزق الاحباسـية) فهـي الأراضـي المرصدة على المدارس والمساجد والأسبلة والخيرات وغيرها ، وكان الملوك والأمراء يخرجونها من زمـام أو سـيتهم فيـستغل خراجها أو غلالها لتلك الجهات وهي الأراضـي التـي عـرفت فيما بعد بالأراضي الموقوفة أو أراضي الوقف كما سبق أن ذكرنا .

البرابـي : قال النويري في كتابه : نهاية الأرب :

"البرابي هي بيوت حكمة القبط ، ويقال أنه كان لكل كُورة من كُور مـصر (برْباةٌ) يجلس فيها كاهن على كرسي من ذهب ، وأعجب البرابي – وأعظمها برباة أخميم وهي مبنية بحجر المرمر طول كل حجـر مـنها خمـسة أذرع في سمك ذراعين وهي سبعة دهاليز سـقوفها حجـارة ، طـول كل حجرة منها ثمانية عشر ذراعاً في عـرض خمـسة أذرع مدهونة باللازورد وسائر الأصباغ ، يخالها الناظر إليها كأنما فرغ الدهان منها . يقال إن كل دهليز منها على اسـم كـوكب من الكواكب السبعة ، وجدران هذه الدهاليز منقوشة بصور مختلفة الهيئات والمقادير ، يقال إنها رموز على علوم القبط

وهـــي : الكيمـــياء والـــسيمياء والطلسمات والطب أودعوها هذه الصور"

ويذكـــر النويـــري أن ذا الـــنون المصري فك من هذه الرموز ما يتعلق بعلم الكيمياء فيقول : "ويقال أن ذا النون المصري العابد فك منها علم الكيمياء"[٣٦] .

وذكـــر محمـــد رمزي في القاموس الجغرافي للبلاد المصرية ما يلي :

"هي من القرى القديمة ذكرها جوتيبة في قاموسه فقال : إن اسمها المـــصري المقـــدس Tnou والمدنـــي Tin والرومي Tnunis والعربي الطينة ."

"وقد عرفت باسم البربا بسبب ما كان بها من آثار معبدها المصري القديم ، وهذه القرية هي التي ولد فيها الملك "مينا" ......"

ثـــم يقـــول : وذكر بعض الباحثين أن البربا ، كلمة يقولها أهل الـــصعيد ، لكل مكان فيه أثر فرعوني ومعناها "بر" أي بيت و "با" أي روح ومجموعها "بيت الروح" وهو القبر " .

ثم يقول :

"وأقـــول أن البـــربا معـــناها :بـــيت الحكمـــة وهي الدار التي كان المصريون القدماء يتعلمون فيها العلوم ، وعلى الأخص اللاهوتية التي تتعلق بالدين في ذلك الوقت [٣٧] .

---

(٣٦) انظـــر: شـــهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري "نهاية الأرب في فنون الأدب" ، طبعة دار الكتب المصرية المصورة ، الجزء الأول ، ص٣٩٤ .

(٣٧) انظـــر: محمد رمزي ، "القاموس الجغرافي للبلاد المصرية من عهد قدماء المصريين إلى سنة ١٩٤٥م" ، طبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩٦٠م ،القسم الثاني ، الجزء الرابع ، ص١٠٨ .

والـــذي يود أن يطلع على أي مصطلح من المصطلحات التاريخية فليرجع إلى كتابـــنا عـــن المصطلحات التاريخية الذي هو بعنوان " الموسوعة المصطفية في المصطلحات التاريخية".

الفصل الخامس

من مصادر الخبر في العصر الحديث
"وكالات الأنباء" وشبكة الإنترنت

تتحكم في الخبر في التاريخ المعاصر أجهزة حديثة عبارة عن شركات حـــرة لها مراسلون في شتي بقاع العالم تجمع الأخبار المصورة والمسموعة من مصادرها الأصلية في جميع أركان الأرض ، وهذه الشركات هي ما يسمي بوكالات الأنباء العالمية ، وشبكة معلومات الإنترنت .

ووكالات الأنباء العالمية الرئيسية خمسة هي : —

١_ وكالة أسوشيتد برس الأمريكية .

٢– وكالة يونيتيد برس إنترناتيونال الأمريكية .

٣– وكالة رويتر البريطانية .

٤_ وكالة أجتس فرانس برس الفرنسية .

٥– وكالة تاس السوفيتية (إيتار تاس الحالية) .

ويتـــضح من هذا أن هناك أربع دول من دول العالم المتقدمة تتحكم في الأخبار الموسوعة والمرئية هي الولايات المتحدة الأمريكية والإتحاد السوفيتي وبـــريطانيا وفرنسا ، والخطير في هذه الوكالات العالمية إما أنها في الأساس يهـــودية مـــثل : يونتيد برس ، وأسوشيتد برس ، ورويتر ، أو تحت سلطان اليهود مثل : فرانس برس ، وإيتارتاس الحالية .رغم أنها كانت شيوعية .

وإذا جـــرى فـــي العالم الإسلام ي ما ينبغي أن يعرض للعالم وللرأي العام العالمي فإذا لم تكن فيه مصلحة يهودية ، فلا ينشر ولا يجد أدنى اهتمام

، وإذا مر العالم الإسلام ي بحدث هام يستحق الوقوف عنده غارس عليه هذه الوكالات تعتيماً إعلامياً . فهي توجه الأخبار كما تشاء وتنتقل أو تخفي منها ما تشاء .

ولكونها تتحكم في الخبر فهي تسيطر على وسائل الإعلام في دول العالم بشكل غير مباشر لأنها تمثل مصادر هامة للخبر لا غنى عنها ، ولأن وسائل الإعلام من صحافة وإذاعة وتليفزيون تحتاج إلى تمثيل إخباري عالمي بصفة مستمرة ويومياً بل وكل لحظة أحياناً ، وهذه الوكالات توفر الأخبار لها بفضل ما تملكه من إمكانيات ووسائل إتصال متطوره بالإضافة إلى ما لها من مراسلين منبعثين في شتى بقاع العالم ، ولهم الحق في ملاحظة الأحداث بشتى الوسائل بحكم القانون الدولي والأعراف الدولية المرعية والمحترمة من شتى بقاع العالم بالإضافة إلى ما لدولهم من وزن عالمي يجعلهم محوطين بالرعاية التامة في العالم .

وقد تضخمت أجهزة هذه الوكالات في الآونة الأخيرة واتسع نطاق عملها ومن الإحصائيات التي نشرت مؤخراً عن وكالة يونايتد برس الأمريكية أنه بلغ عدد مراسليها في العالم في عام ١٩٨١م ١٢٠٠ صحفي ومصور منبعثين في أكثر من ١٠٠ دولة ، ويعمل في هذه الوكالة أكثر من ٢٠٠٠ من الباحثين والمجهزين للخبر[١] .

ولكونها تتحكم في الخبر بهذه الصورة فليست مصدراً أميناً – وإن كان هاماً لا غنى عنه ، وعلى ذلك فيجب على المؤرخ أن يتسلح بالرؤية الفاحصة المدققة في شأن قبول أو رفض تلك الأخبار ، لأن غالبها مبتور أحياناً أو مبالغ فيه أو مزيف أحياناً أخرى . ولقد حدثني الزميل والصديق اليوغوسلافي

---

(١) عن جريدة الشرق الأوسط العربية التي تصدر في لندن ، عدد ١٤٠٢/٢/٦هـ (١٩٨١/١٢/٢م) .

الدكـــتور أحمد أسماعيلوفيتش (٢) أنه قرأ خبراً طيرته وكالة رويتر البريطانية مكــتوب فـــي جريدتين تصدران في لندن إحداهما عربية والأخرى إنجليزية ، وكـــان الخبـــر عـــن موضـــوع واحد ، ولكنه في الجريدة الإنجليزية بصورته الحقيقـــية وفي الجريدة العربية بصورة مزيفة ناتجة عن قصد تضليل القارئ العربي.

أما وكالات الأنباء المحلية في بقية بلدان العالم وعلى الأخص في بلدان العـــالم الإســـلام ي فإنها تعتمد على هذه الوكالات العالمية التي تمدها بسائر الأخبار العالمية . التحريرية والمصورة وتدفع في مقابل ذلك ثمناً غالياً .

وعلى المؤرخ أن يلاحظ أخبار هذه الوكالات عندما ينقلها من الصحف المحلية ولا يأخذ أخبارها قضية مسلمة فيقع في الخطأ ، بل عليه أن ينظر إلى هوية الوكالة التي تنقل الخبر ويفحص أهدافها السياسية ومعسكرها السياسي التـــي تتحدث باسمه ثم أخيراً يتضح له وجهه الصواب من الخطأ في الخبر ، ويجـــب علـــى المـــؤرخ أن يعرف أن هذه الوكالات الخمس تزييف كثيراً من الأخـــبار التي تمس العالم أو تهملها أحياناً ، فهناك كثير من المناطق الملتهبة بالمقاومـــة فـــي العـــالم الإسلام ي ضد الاستعمار الأجنبي أحياناً وضد حكام جائـــرين أحـــياناً أخـــرى ، فتقف هذه الوكالات من أخبار هذه المناطق موقف المضلل أحياناً أو موقف الصمت أحياناً أخرى فلا تسلط عليها الأنظار .

وذلـــك مثل منطقة إريتريا الإسلامية فقد كافح شعبها وما زال يكافح الاســـتعمار و التسلط الإيطالي و الحبشي ما يزيد على قرن من الزمان حتى

---

(٢) الدكـــتور أحـــد اسماعيلوفيتش كان زميلاً لنا بالأزهر فقد كان طالباً معي في كلية اللغة العربية بالقاهرة في فترة دراســـة الليـــسانس والماجستير والدكتوراه في الستينات ومطالع السبعينات وحصل على شهادة الدكتوراه في الأدب العربي من جامعة الأزهر ،وكان عميداً لكلية الدراسات العربية والإسلامية بسرايفو بيوغوسلافيا وتوفي أثناء الأحداث العنصرية التي وقعت في البسنة والهرسك بين الصرب والمسلمين .

تـــم استقلالها (١٩٩٤م) وتتواطأ الدول الكبرى وخاصة أمريكا وروسيا على إجهـــاض مقاومته الباسلة وتقوم وكالات الأنباء المذكورة بلعب دور كبير في هـــذا المجال . ولا يستطيع المؤرخ المعاصر الذي يتناول حاضر العالم الإسلامي بالدراسة أن يغطي أخبار نضال وكفاح هذا الشعب ، فهذه الوكالات لا تطير من أخبار هذا الإقليم إلا المزيف الذي لا يوثق به .

وكذلك كفاح شعب الفيلبين المسلم تجاه حاكمة المغتصب ماركوس ندر أن يجـــد لهـــا الإنسان إلا تقارير صحيفة هزيلة وناقصة في الصحف العربية تـــستعمل فيها الأساليب الإنشائية الحماسية بدلاً من الوقائع الحية ، وذلك ناتج عـــن ضـــعف وكالات الأنباء المحلية العربية والإسلامية لأنها تهتم بالأخبار المحلـــية فقـــط ولا طموح لها في توسيع نشاطها المحلي وجعله عالمياً على الرغم من إمكانياتها المالية الضخمة في بعض الدول العربية .

وهكـــذا فأحـــداث العالم بين أمرين : إما مسكوت عنها ، وإما مزيفة ، وكلا الأمرين فيه خطورة على تسجيل تاريخ صحيح للعالم الإسلامي .

والواقـــع أن الحاجـــة كانت ماسة منذ حرب السويس ١٩٥٦م وحرب أكتوبـــر ١٩٧٣م وما صاحبها من حرب البترول ، أقول إن الحاجة كانت إبان هـــذه الحـــوادث ماسة لإنشاء وكالة أنباء إسلامية عالمية نظراً لخطورة هذا الـــنوع من الوكالات الغربية التي تقود حرباً نفسية على العرب والمسلمين في الـــوقت المناســـب إزاء كل حدث يمس مصالح الغرب أو الصهيونية العالمية ، وأصبحت الضرورة ملحة لإيجاد وكالة أنباء إسلامية تتحمل مسئولية فضح ما تمارســـه الـــوكالات الأخرى من تزييف وتشويه للقضايا الإسلامية والعربية وتقوم بفك الحصار الإعلامي المضروب على أخبارنا الإسلامية ، ونوقف بث وكالات الأنباء الغربية لسمومها في أجهزة إعلامنا وصحافتنا الإسلامية .

ولعلنا ما زلنا نذكر حرب البترول التي بدأت أثناء حرب أكتوبر ١٩٧٣ م بين العرب وإسرائيل ، عندما أعلن الملك فيصل بن عبد العزيز ملك المملكة العــربية السعودية منع ضخ البترول إلى العالم الغربي الذي يقف مع إسرائيل ضد العرب وخاصة أمريكا وأعلن عن سياسة عربية بالتقليل من إنتاج البترول على مراحل تقل شيئاً فشيئاً حتى تقلل دول الغرب من انحيازها لعدونا ، عندما قامت قيامه وكالات الأنباء العالمية وشنت حملة عالمية ضد العرب وصورتهم في صورة الذي يريد أن يقضي على الحضارة العالمية ، وحاولت أن ترسم لهم صورة التاجر الجشع ، ولم تتحدث إطلاقاً بعدالة عن صور الغرب الذي ينحاز انحيازاً أعمى إلى إسرائيل ويعكر بذلك صفو السلام في العالم كله .

وكانـــت كـــل هـــذه الزوبعة التي أثارتها وكالات الأنباء لتحقيق أهداف الـــرجل الغربي الاستعمارية ودوام سيطرته على مقدرات العالم الثالث ، ومهما قـــام الاستعمار بإذلاله فيجب عليه أن يظل خاضعاً ، ومع أن هناك دول كثيرة فـــي العالم غير العربي لديها إنتاج ضخم من البترول تبيعه في الأسواق الحرة مثل الاتحاد السوفييتي وبريطانيا من بترول بحر الشمال ، والمكسيك وفنزويلا وغيـــرها إلا أن ارتفاع السعر حلال لهؤلاء حرام على العرب ، فإذا رفعت تلك الدول سعر بترولها أو منعته عن بعض الدول فلا تنظم ضدها حملات إعلامية مـــن وكـــالات الأنباء في هذا الصدد ، إنما الحرب قائمة على قدم وساق ضد العرب الذين يقال عنهم بأنهم يتحكمون في مقدرات العالم النفطية وهم وحدهم المسئولون عن الانهيار الاقتصادي في العالم فتقوم وكالات الأنباء بتكوين رأى عام عالمي مناهض ضدهم .

الحاجة ماسة لوكالة أنباء إسلامية :

وقـد كثـرت في الآونة الأخيرة الأحاديث عن حاجتنا إلى وكالة أنباء عالمية يوثق بأخبارها وخاصة في الاجتماعات الإسلامية العالمية منذ مطلع الستينات من القرن الماضي على يد الملك فيصل بن عبد العزيز ، ولكن هذه المحـاولات المخلصة عاقتها بعض الوقت العداءات العربية التي تقضي دائماً على كل بادرة خير في العالم العربي . ومنذ أن تمكن المسلمون من أن يعقدوا مؤتمرات دورية لبحث شئونهم بعد حريق المسجد الأقصى سنة ١٩٦٩م على يد اليهود ، والبحث جار في إنشاء وكالة أنباء إسلامية .

ففـي مؤتمـر وزراء خارجـية الـدول الإسلامية الثاني المنعقد في كراتـشي بباكـستان في المدة من ٢٦ ديسمبر ١٩٧٠م حتى ٢٨ من ديسمبر تمـت المـوافقة علـى إنشاء وكالة أنباء إسلامية ، وتنفيذاً لتوصيات مؤتمر كراتـشي عقد يوم الثلاثاء ٢٤ من صفر ١٣٩١هـ (١٩٧١/٤/٢٠م) مؤتمر فـي "طهـران" لبحث إمكانية إنشاء وكالة أنباء إسلامية عالمية ، وذكر بيان صدر في نهاية المؤتمر الذي استمر ثلاثة أيام جاء فيه :

"إن وكالـة الأنـباء الإسلامية ستكون في مرحلتها الأولى اتحاداً يضم وكـالات الأنباء الوطنية للدول الإسلامية وأن الهدف الأساسي لهذا الاتحاد هو تأسيس وكالة أنباء إسلامية عالمية ، واختار المؤتمرون العاصمة الإيرانية في الـبداية مركـزاً لهذه الوكالة التي ستصلها الأنباء من الدول الأعضاء وتحرر وتتـرجم ثم توزع على جميع هذه الدول ، وستستخدم مبدئياً الوسائل التجارية لتـبادل وتوزيع الأنباء ، على أن تستخدم الوكالة مستقبلاً اللاسلكي والمبرقات الكاتـبة لكي تكون على مستوى وكالات الأنباء الدولية ، ويدير الوكالة مجلس مديـرين ينـتخب مدة كل سنتين وتمول من قبل المخصصات المفروضة على

الدول الإسلامية الأعضاء في منظمة المؤتمر الإسلام ي ، ومن المنح التي ستحصل عليها من هذه الدول [٣] .

وفـــي سنة ١٩٧٢م (١٣٩٢هـــ) وافق المؤتمر الثالث لوزراء خارجية العالم الإسلام ي في جدة على مشروع تأسيس وكالة الأنباء الإسلامية على أن يكـــون مركـــزها جدة بدلاً من طهران وفي عام ١٣٩٩هـــ (١٩٧٩م) في فـــاس بالمغرب إبان انعقاد مؤتمر لوزراء الخارجية الإسلامية العاشر عزز المؤتمـــر إنـــشاء وكالة أنباء إسلامية ومنظمة لاتحاد الإذاعات الإسلامية ، ولكـــن هـــناك صعوبات قد تواجه هذه الأمنية فالدول لا تدفع مخصصاتها على الرغم من أن السعودية أعطت المعز في جده .

وأحياناً تتوقف مرتبات العاملين بمقر الوكالة بجدة وتدفعها السعودية ، ودستور الوكالة جاهز إلا أن التمويل هو الذي ينقصها [٤] ولكي تكون الوكالة قـــوية وذات تأثيـــر في مجال الخبر ونقل الأحداث بسرعة فيجب أن تتوفر لها المكاتـــب اللازمة في كل أنحاء العالم ، ويجب ربط هذه المكاتب بشبكة واسعة من الأجهزة والكفاءات الإعلامية المدربة ، وستحتاج الوكالة إلى ما لا يقل عن ٥٠٠ مكـــتب منتـــشرة في شتى أنحاء العالم حتى تستطيع أن تنافس الوكالات العالمـــية الأخـــرى ، ويجب أن يكون الجهاز العامل بها على مستوى عال من الكفـــاءة والسرعة في تتبع أحداث العالم ، ولا يقل المبلغ المطلوب في إنشاء وكالـــة كهـــذه عن المليون دولار [٥] ، وحتى الآن وللأسف الشديد كما يصرح الأســـتاذ محمـــد معـــروف الدواليبي (أحد كبار المسئولين بمنظمة المؤتـــمر

---

(٣) انظر: مؤتمر القمة الإسلامي ، صدر عن جريدة الندوة التي تصدر في مكة المكرمة ، ١٤٠١هـــ ، ص٣٢ .

(٤) من حديث للأستاذ محمد معروف الدواليبي لجريدة أخبار العالم الإسلامي الأسبوعية التي تصدر عن إدارة الصحافة والنشر برابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة ، العدد ٧٦٦ بتاريخ ١٤٠٢/٤/٢٨هـــ (١٩٨٢/٢/٢٢م).

(٥) المرجع السابق .

الإسلامي بجده) (١٤٠٢هـ) لم يتم رصد المبلغ المطلوب رغم وجود النظام الأساسي ، لذلك كانت فكرة تجميع الإذاعات الإسلامية وشبكات التليفزيون لسد النقص في مجال الإعلام الإسلامي ، إلا أن أحداً لا يساعد هذا التجمع المسمى "اتحاد الإذاعات باعتبار أن كل دولة إسلامية تملك وكالتها الخاصة بها وإذاعتها المحلية ، فالاتحاد لا يملك أية موارد مالية ويعتمد حتى الآن في تصريف أموره على عبقرية الإعلامي الناجح أحمد فراج الأمين العام للاتحاد حيث يقوم بإعداد برامج إسلامية يقوم بتسويقها لصالح الاتحاد .

وما أشد حاجتنا بدلاً من إنشاء وكالات متعددة للأنباء وصغيرة الحجم ضعيفة الإمكانيات ، إلى تأسيس وكالة أنباء على المستوى العالمي توفر لها كل الإمكانيات لتخدم أهدافنا وتؤدي رسالة سامية في نقل أخبارنا إلى العالم بعد جمعها وتنقيتها ، وبذلك يستطيع المؤرخ والدارس والباحث أن يجد لديه مادة علمية يطمئن إليها في كتابة أبحاثه وتحقيقاته عن العالم الإسلامي ، ومن ناحية أخرى فإنه لا يخفى ما لهذه الوكالة من تأثير في توجيه الرأي العام العالمي إن أحسن استخدامها وتوفرت لها القيادة الإدارية القادرة [٦]

شبكة معلومات الإنترنت :

ومن مصادر الخبر في العصر الحديث ما تبثه شبكة المعلومات على الإنترنت من معلومات عن الأحداث الجارية في العالم ساعة بساعة ويوما بعد يوم وهي معلومات متدفقة لا حدود لها تبث من مواقع الأحداث ، يبثها المراسلون بالصوت والصورة وهذه المعلومات مفيدة في مجال التاريخ المعاصر والعلاقات الدولية المعاصرة ، فتجعل المؤرخ كأنه شاهد عيان

---

(٦) من حديث للدكتور حسن أبو ركبة ، مدير عام مؤسسة البلاد للصحافة والنشر السعودية – جريدة البلاد ، عدد الثلاثاء بتاريخ ٨ محرم ١٤٠٠هـ .

للأحــداث عــن طريق الصوت والصورة وفي هذا تطور مذهل ومفيد للمؤرخ يستفيد منه في عمله .

ويستطيع المؤرخ أن يقارن بين القنوات ليختار منها ما يطمئن إليه من الأخــبار الصادقة والتعليقات التي يعتقد بصدقها ونزاهتها ، وخاصة أن شبكة الإنتــرنت قــد ألغــت الاحتكار للأخبار التي كانت تمارسه وكالات الأنباء على الأحــداث في السابق ، فلكل محطة من محطات التلفزيون العالمية مراسلون في مواطن الأحداث الذين ينقلون الأخبار والصور بتحر ونزاهة وهذا مما يجعل المؤرخ يستريح لما يسجله من أحداث معاصرة .

ثورة شعبية

يتزعمها شيخ الأزهر والعلماء :

حدثت هذه الحركة في شهر ذي الحجة١٢٠٩ هـ (١٧٩٥ م) فقد وفد إلى الأزهر فلاحون من قرية تتبع مركز بلبيس عاصمة الشرقية في ذلك الوقت ، وكانت للشيخ عبد الله الشرقاوي (شيخ الجامع الأزهر يومئذ) حصة من الأرض بهذه القرية وقدم الفلاحون شكواهم للشيخ الشرقاوي بأن مماليك (محمد بك الألفي) ظلموهم وطلبوا منهم ما لا قدرة لهم عليه من الضرائب .

اتصل الشيخ الشرقاوي في أول الأمر (بإبراهيم بك ومراد بك) وطلب منهما وقف هذه المظالم ولكن الأميرين لم يبديا اهتماما وأهملا وساطة الشيخ فثارت ثائرته ، وحضر إلى الأزهر في اليوم الثاني وعقد اجتماعا في الأزهر فقرر العلماء الإضراب العام وبدء الثورة وخرج المجاورون يأمرون الناس بإغلاق الأسواق والحوانيت ، وتجمع الناس في ساحة الأزهر يتقدمهم الشيخ الشرقاوي يتبعه العلماء وتوجهوا إلى منزل الشيخ (محمد أبو الأنوار السادات

) والذي كان مجاورا لمنزل (إبراهيم بك) ، ولهذا وقع اختيارهم له ولما للشيخ السادات من نفوذ كبير لدى جماهير الشعب ولمنزلته لدى الأمراء ٠

رأى إبراهيم بك هذه الجموع الثائرة على مقربة من داره فأرسل رسولا من طرفه إلى المشايخ وهو " أيوب بك الدفتردار " فحضر إليهم وسألهم عن سبب تجمعهم فأجابه الثوار نريد العدل ورفع الظلم وإقامة الشرع وإبطال الحوادث والمكوسات التي ابتدعتموها وأحدثتموها فرد عليهم الدفتردار بأنه لا يمكن الإجابة إلى هذه المطالب كلها فإننا إذا فعلنا ذلك ضاقت علينا المعايش والنفقات فرد عليه المجتمعون بأن هذا ليس بعذر عند الله ولا عند الناس ، وما الباعث على الإكثار من النفقات وشراء المماليك و الأمير يكون أميرا بالإعطاء لا بالأخذ .

وقد كان هذا في الواقع حوارا جديدا وقد قال محمد أنور السادات (الرئيس المصري ١٩٧٠ــــ ١٩٨١م) معلقا على هذا الحوار الذي دار بين الشعب وممثل شيخ البلد الحاكم " إن الثورة الفرنسية كلها لتتضاءل أمام المغزى العميق لهذا الحوار فقد أسفرت الثورة الفرنسية عن مبادئ ثلاثة هي : الحرية والإخاء والمساواة ،ولم تلبث أن أصبحت فرنسا ذاتها وأثناء الثورة الفرنسية نفسها شعارا للقتل والتدمير بين الفرنسيين والثوار أنفسهم ٠

ثم ما لبثت هذه المبادئ أن صدرتها فرنسا إلى الخارج على صورة استعمار خبيث يفتك بالشعوب البريئة ويسلبها أرزاقها ، ويقتل النساء ويفتك بالأطفال ويغتصب الأرض ويجعل من الإنسان شيئا أخطر من الحيوان ، كل هذا باسم الحرية والمساواة والإخاء "

فوعدهم الدفتردار بعرض مطالبهم على إبراهيم بك ، وتطورت المسألة من مجرد المطالبة بوقف اعتداءات ممالك الألفي على أهالي قرية شرقية بلبيس إلى حركة شعبية تنادي بضرورة وضع حد للمظالم التي يتعرض

لها الشعب المصري ومطالبة الحكومة بضغط المصروفات والحد من الإسراف في استيراد المماليك وتأمين الأفراد على أموالهم وأرواحهم .

ولم يرجع الدفتردار إلى الثوار بجواب كما وعد : فعاد زعماء الشعب إلى الجامع الأزهر وقضوا ليلتهم بالمسجد وصمموا على المضي في حركتهم لليوم الثالث على التوالي ، وبدأت بوادر النصر فقد أرسل إليهم (إبراهيم بك) يعضدهم ويقول لهم : أنا معكم وهذه الأمور على غير خاطري ومرادي وأرسل إلى (مراد بك) يخيفه عاقبة ذلك فتزلزلت أركان مراد بك وخاف من تفاقم الثورة ، فأرسل إلى المشايخ يقول لهم :" أنه أقلع على ظلم الشعب " وطلب أربعة من المشايخ عينهم بأسمائهم فذهبوا إليه بالجيزة فلاطفهم والتمس منهم السعي في أمر الصلح .

وفي اليوم الثالث للثورة نزل الباشا من القلعة إلى منزل إبراهيم بك واجتمع الأمراء وأرسلوا إلى العلماء بالحضور فحضر الشيخ (السادات) والسيد (عمر مكرم) نقيب الأشراف والشيخ (الشرقاوي) والشيخ (خليل البكري) والشيخ (محمد الأمير) وغيرهم من العلماء ، ومنعوا العامة من الذهاب معهم إلى الاجتماع ، ودارت مناقشات حامية بين المجتمعين انتهت بإصدار وثيقة متضمنة شروط العلماء وإعلان توبة الأمراء عن الظلم والتزامهم بالعدل .

وقد ذكر الجبرتي مضمون هذه الوثيقة ولم يذكر نصها الأصلي ، وقد عثرنا على أصل هذه الوثيقة مسطرة في سجلات الديوان العالي ، وهذه الوثيقة غاية في الأهمية ، لأنها تعطينا صورة عن ترتيب زعماء الشعب في نهاية القرن الثامن عشر تبعا لمنزلتهم الشعبية وهم الذين آلت إليهم الزعامة الشعبية قبيل الحملة الفرنسية بسنوات قليلة ، وترتبهم بألقابهم الرسمية كالآتي حسب ورودهم بالوثيقة :

١- السيد الشريف الشيخ محمد أبو الأنوار بن وفا السادات ، شيخ السجادة الوفوية .

٢- السيد الشريف الشيخ خليل البكري الصديقي شيخ سجادة بني الصديق.

٣- السيد الشريف عمر مكرم أفندي نقيب الأشراف .

٤- صفوة العلماء العاملين الشيخ عبد الله الشرقاوي شيخ مشايخ أهل الإفادة والإفتى والتدريس بالجامع الأزهر.

٥- الشيخ محمد الحريري الحنفي مفتي السادة الحنفية بمصر حالا.

٦- الشيخ مصطفى الصاوي من كبار علماء الشافعية بالأزهر.

٧- الشيخ محمد الأمير مفتي السادة المالكية بمصر حالا.

٨- الشيخ عبد المنعم العماوي من كبار علماء المالكية بالأزهر.

٩- الشيخ أحمد العريشي من كبار علماء الحنفية بالأزهر.

١٠- الشيخ إبراهيم السجيني من كبار علماء الشافعية بالأزهر.

١١- الشيخ زين الدين المنصوري من كبار علماء الحنفية بالجامع الأزهر.

١٢- الشيخ زين الدين سالم مسعود الفوي شيخ رواق المغاربة بالأزهر .

وجاءت أسماء هؤلاء العلماء الإثنى عشر متقدمة على أسماء الأمراء المماليك في الوثيقة وهم :

١- إبراهيم بك الكبير محمد (يعني تابع لمحمد بك أبو الذهب) قائم مقام بمصر المحروسة سابقا وأمير الأمراء بها حالا .

٢- أيوب بك دفتردار مصر المحروسة حالا.

٣- أيوب بك الكبير أمير الحج المصري سابقا (محمد).

٤- سليمان بك (محمد) حاكم ولاية جرجا سابقا.

ويلي المماليك رؤساء الأوجاقات السبعة العثمانية ٠

ولعل أول ما يلفت النظر في هذا الترتيب هو تقدم العلماء على من عداهم من الحكام المماليك والأتراك هذا باستثناء قاضي القضاة بمصر الذي تقدم اسمه الجميع وصدرت الوثيقة بحضوره وبين يديه ٠

ونصها في بدايتها :

" بين يدي سيدنا ومولانا شيخ مشايخ الإسلام علامة الأنام قاموس البلاغة ونبراس الأفهام أشرف السادة الموالي الأعالي الأعزة الكرام الناظر في الأحكام الشرعية قاضي القضاة يومئذ بمصر المحمية الموقع خطه الكريم أعلاه دام علاه آمين " ومع حضور الباشا والي مصر إبان هذه الحركة وهو (صالح باشا) إلا أنه لم يرد له ذكر بتلك الوثيقة ، وذلك لإهمال المماليك له في هذه الفترة .

ويلاحظ أيضا تقدم أرباب السجاجيد على غيرهم من العلماء ، وذلك راجع لنفوذهم بين طبقات الشعب وكثرة أتباعهم ، وقد كانت لهم المشورة في جميع الأمور الهامة بالديوان الخصوصي بالقلعة ، ويلاحظ أيضا أن مفتي الحنفية كانت له المكانة التالية بعد شيخ الأزهر نظرا لأن المذهب الحنفي هو مذهب الدولة العثمانية الرسمي وتلاه في الذكر مفتي المالكية نظرا لأن عليه غالبية الصعايدة ولهم مكانة مرموقة بالأزهر ويتمتع رواق الصعايدة بالأزهر بعصبية قوية وكان شيخ رواقهم يخشاه الجميع ويطلق عليه الشعب أحيانا شيخ الإسلام ٠

وكانت أهم الشروط التي فرضها العلماء وأثبتوها بالوثيقة هي :

١- تنزيل جوامك (بدل تعيين أو بدل جراية) المسلمين المطلوبة من المال الأميري ٠

٢ – إجراء جرايات المستحقين وعلوفات الفقراء والمساكين على حالها.

٣– إجراء المقرر للجامع الأزهر وجراياته من وقفه الخاص به ولا يؤخذ منه شيء من المكوس والمظالم (يعني المحافظة على ميزانية الجامع الأزهر) ٠

٤– إجراء أموال الحج ومتعلقاته حكم قديمها على ما هي عليه من زمن الملوك والسلاطين (يعني المحافظة على ميزانية الحج)٠

٥– منع التفاريد على البلاد والرعايا والفقراء (يعني منع الفردة الجديدة) ٠

٦– منع الكشاف الجائرة في بلاد الله التي عذبوها ونهبوها ودمروها٠

٧– إزالة الفلتجية (بعض طوائف العسكر) من مصر القديمة لإيذائهم المسلمين ٠

٨– لا يزاد على دفتر المرحوم الأمير محمد بك أبو الذهب في رفع المظالم ويزال ما استحدث بعده (إلغاء التشريعات الضريبية المستحدثة منذ عهد محمد بك أبو الذهب)٠

٩– ترفع المكوس الجارية في البنادر والموارد وما جعل على المآكل والمشارب (يعني رفع الضرائب عن المواد الغذائية)٠

١٠– إزالة جميع الحوادث والمظالم من جميع الأقطار المصرية٠

١١– لا يتعرض أحد من المماليك للسادة الأشراف بجميع البلاد بأي وجه من الوجوه وينهي أمرهم في حوادثهم الخاصة بهم إلى أفنديهم ونقيبهم في سائر الأقطار والأزمان٠

١٢– لا يتعرض أحد منهم لنواب الشريعة المحمدية وينهي أمرهم في حوادثهم الى أفنديهم قاضي عسكر أفندي ٠

١٣– أن يقوموا بعمارة السواقي الموصلة للمياه الى القلعة٠

١٤ – عدم إنزال الغلال من الديار المصرية إلى بلاد الكفرة والمشركين أعداء الدين (عدم تصدير السلع الضرورية لحاجة الشعب إليها) ٠

وبذلك نلاحظ أن حركة العلماء حققت عدة أهداف :

أولا: أنهم أجبروا الأمراء على التفاوض معهم٠

ثانيا: نزل الأمراء على إرادة العلماء ووافقوا على إلغاء جميع التشريعات الضرائبية الجائرة ٠

ثالثا: عزل الحكام الجائرين من المناطق التي تضررت بوجودهم بها.

رابعا: امتدت مطالبهم لتشمل تقرير ميزانية الدعم للحرمين الشريفين وميزانية الأزهر٠

خامسا: استصدروا وثيقة بهذه الحقوق ووقع عليها القاضي والأمراء بحضور والي مصر٠

وتضمنت الوثيقة العبارات الآتية :

(أجاب الأمراء بالسمع والطاعة وعدم مخالفة الجماعة وكل من خالف ذلك فيكون على ساداتنا أرباب السجاجيد وعلماء الإسلام والأمراء قهره واستخلاص كل ما هو مطلوب منه لأربابه) ٠

وانتهت بذلك الحركة وعاد العلماء الى الأزهر وحولهم الثوار يعلنون على الناس صدور اللائحة الجديدة أو الاتفاقية الجديدة باسم السادة العلماء : حسبما رسم سادتنا العلماء بأن جميع المظالم والحوادث والمكوس بطالة من مملكة الديار المصرية.

وكان نداء الشعب حسب عرف العصر معناه أن علماء الأزهر أصبحوا يهيمنون على الأمور في البلاد ، وكان هذا في الواقع تطورا خطيرا دفع

البعض الى وصف هذه الوثيقة بأنها " الوثيقة السياسية الكبرى ، أو وثيقة حقوق الإنسان " ٠

وقال الأستاذ عباس العقاد في بيان أهميتها : " ولو أنها كتبت في بعض البلاد الأوربية لجاءنا خبرها من كتب القوم في علوم السياسية الحديثة بعنوان من تلك العناوين الكثيرة عن حقوق الشعب أو الدستور الأكبر أو (الماجنا كارتا) وما اليها من مصطلحاتهم التاريخية ، ولكن العلماء الذين دعوا أمراء العصر إلى توقيع ذلك العهد لم يحسبوا أنهم جاءوا إلى الناس بعهد جديد غير التذكير بعهد كتاب الله وسنة رسول الله التي نسيها أولئك الأمراء وكتب الموثق (حجة)، عليهم بشهادة الرعية وشهادة (علماء الأمة) الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر " ٠

بيد أن الجبرتي ذكر أن كل شئ عاد الى ما كان عليه وزيادة بعد صدور الوثيقة ، ورد البعض على تعليق الجبرتي بقوله :" يجب ألا يفسد علينا تعليق الجبرتي نحن أبناء القرن العشرين مغزى الحادثة ، فليس المهم أن الاتفاقية نقضت فتاريخ الأمم يكاد ينحصر في إخلال الحكومات بالاتفاقيات أو الدساتير التي تجبر على إصدارها تحت الضغط ٠

ولكن المهم هو أن مجرد إقرار الاتفاقية ، وصدورها بأسماء العلماء"حسب ما رسم ساداتنا العلماء "٠ والوصول اليها عبر ضغط الثوار وتحركهم وبعد مفاوضات ، كل ذلك يدل على أن الشيوخ والعامة لم يكونوا مجرد قوة رمزية٠ بل كانوا يستطيعون دائما تحويل كل مظهر سخط إلى إضراب عام يتطور إلى مواجهة شاملة تطالب بإصلاحات أوسع من حدود المشكلة المباشرة التي أثارت الحادث ، وأنهم كانوا يستطيعون مواجهة الأمراء وفرض مطالبهم وإجبارهم على التراجع والتسليم ولو بنية الغدر ٠

وبذلك نرى أن علماء الأزهر لم يكونوا أبدا رجال كهنوت منعزلين عن مجرى الحياة العامة وإنما شاركوا الشعب في شعوره ودافعوا عنه في مواجهة ظلم الحكام٠

وخلال هذه الأحداث السالفة الذكر بدأت تتضح معالم مجتمع العلماء بالأزهر فانقسم العلماء إلى فريقين :

فريق: تصدى لخدمة الجماهير والدفاع عن قضاياهم لدى الحكام ، وهؤلاء اعترفوا كما قرر الشيخ عبد الله الشبراوي للوالي العثماني (أحمد باشا كور) بأنهم ليسوا أعظم علماء مصر " لسنا أعظم علمائها بل نحن المتصدرين لخدمة أهلها وقضاء حوائجهم عند أرباب الدولة وأهل الحكم فيها" وقل إنتاج هذا الفريق في الناحية العلمية ٠

وفريق آخر: انقطع لدراسة العلم بالأزهر فبرزوا في ميادين الإفتى والتدريس في حلقات الأزهر العلمية ، وكذلك في ميادين التأليف في كثير من العلوم الإسلامية كالفقه على مذاهب أهل السنة والجماعة ،والتفسير والحديث والتوحيد والعقيدة والتاريخ ، وكذلك في علوم اللغة العربية وآدابها .

على أبواب الثورة :

قوي إحساس العلماء في نهاية هذه الفترة بما يجب عليهم نحو مواطنيهم وبما ينبغي عمله للأهالي وضرورة التحرر من ظلم الحكام ولهذا كثرت الثورات في هذه الفترة الأخيرة التي سبقت مجيء الحملة الفرنسية حتى أن الباحثين يغالون فيشبهون الوضع في مصر في هذه الفترة بالحالة التي كانت عليها فرنسا قبل الثورة الفرنسية ١٧٨٩ م فيقول هذا البعض :

((ونحن إذا بحثنا حال فرنسا قبيل ثورتها لا نستطيع أن نرى من بوادر ثوران النفوس أكثر مما بدأ في أواخر القرن الثامن عشر في مصر)) ويضيف

بأن هذه الحركات كانت جديرة ((أن تنتهي أما بثورة تامة كثورة فرنسا ، وإما بإصلاح تدريجي شامل يتناول كل نظمها)) وأن الذي لم يوصلها إلى هذا الحد من الثورة أن حكام مصر كانوا دائما ينزلون عند مطالب الشعب بعد أن يروا غضبته ويصلحون ما يشكوا منه من فساد ويقوّمون ما يشير إليه من اعوجاج.

وكان هناك عامل آخر جعل هذه البوادر الثورية لا تصل إلى ثورة حاسمة لصالح الشعب المصري ، وهذا العامل كان خارجيا وأعنى به نكبة الحملة الفرنسية التي نزلت بالبلاد سنة ١٧٩٨ م .

ويذهب البعض الآخر إلى أن السبب الذي من أجله لم يتعد العلماء الحركات الشعبية ضد المماليك بشكل أكثر تكرارا مما فعلوا ، هو ذلك الاعتماد المتبادل بين المماليك والعلماء المالي من ناحية والسياسي من ناحية أخرى (٣٩).

نخلص من هذا العرض السريع إلى القول : بأن قيادة الجماهير في نهاية القرن الثامن عشر أضحت بيد نخبه من العلماء قاموا بدور كبير في خدمة المجتمع المصري ، جعل منهم هذا الدور جهازا من أجهزة الحكم القائم مهمته الوقوف في صف الجماهير كلما هددهم خطر الحكام .

وكان في مقدمة تلك النخبة الشيخ (محمد أبو الأنوار بن وفا السادات) شيخ السجادة الوفوية والسيد (عمر مكرم) نقيب الأشراف والشيخ (خليل البكري) شيخ سجادة بنى الصديق والشيخ (عبد الله الشرقاوي) شيخ الجامع الأزهر والشيخ (محمد الأمير) مفتى المالكية والشيخ (سليمان الفيومي) وغيرهم ممن تبوءوا مكانا عليا في نفوس الشعب في هذه الفترة .

وسوف نلاحظ إبان حوادث (الحملة الفرنسية) أن هؤلاء الزعماء قد اضطلعوا بمهمة الدفاع عن البلاد في مواجهة الغزو العسكري والفكري لمصر الإسلامية .

وخلاصة القول أن الحياة في مصر إبان الحكم العثماني كانت تؤذن بتغير مرتقب نظرا لأن الحكم العثماني قد بدأت تتزعزع أركانه في البلاد على أيدي المماليك من ناحية ، ومن ناحية أخرى وهى التي تهمنا ، وهى ناحية الشعب المصري فقد بدأت حركة اليقظة الوطنية في مصر على أيدي العلماء وعلى الرغم من أنها كانت متواضعة إلا أنها كانت بداية ، وليس على الرواد الأوائل أن يقوموا بحركات ثورية كاملة مبرأة من كل عيب ، ويكفيهم أنهم بدءوا ووضعوا لنا أساسا على معالم الطريق نهتدي به عبر مسيرة نضالنا من أجل التحرر من ربقة ظلم الحكام المستبدين .

ولا شك في أن حركة العلماء في مصر على الأخص في النصف الثاني من القرن الثامن عشر كانت أولى أدوار اليقظة القومية ولم تكن الحملة الفرنسية هي التي أيقظت الشعب المصري كما يدعى البعض فقد أتت الحملة الفرنسية فوجدت الأزهر يموج بتيارات سياسية تتعدى جدرانه لكي تشمل الحياة العامة كلها .

وعلى ذلك يجب أن نتيقظ لما يروج مصريا وعالميا لتأثير الحملة الفرنسية على مصر في ميدان اليقظة المصرية ، وأنها على العكس قطعت الطريق على الشعب المصري الذي كان أوشك على أن يصل إلى ثورة حاسمة للحصول على حقوقه .

نص وثيقة الحقوق

برفع الظلم عن الشعب المصري بعد الحركة الشعبية التي تزعمها الشيخ عبد الله الشرقاوي شيخ الأزهر .

٢٧ من ذي الحجة سنة ١٢٠٩ هـ (١٧٩٥ م)

((هــو أنة بمصر المحروسة مدينة أهل الولاية المقربين وعلامة العاملين وخلفائه الراشدين شرفها الله تعالى إلى يوم الدين بين يدي سيدنا ومولانا شيخ مــشايخ الإســلام علامة الأنام قاموس البلاغة ونبراس الإفهام أشرف السادة الموالي الأعالي الأعزة الكرام الناظر في الأحكام الشرعية قاضي القضاة يومئذ بمصر المحمية الموقع خطة الكريم أعلاه ، دام علاه آمين .

مضمونة بحضرة كل من سيدنا ومولانا الأعظم والملاذ الأفخم الأكرم قطب دايرة الزمان وفريد العصر والأوان المحفوظ بعناية الله الرحيم الرحمن خاص خــواص أصحاب العبادة والصلاح . خلاصة أرباب السماحة والفلاح وقرة أهل الورع والزهد واسطة أعيان الخشوع والرشد ستار أهل الحقيقة سيد السادات ومعدن الفضل والجود والسيادات من به وبأسلافه نتوسل إلى الله الملك الغفار الــسيد الــشريف الطاهــر العفــيف الشيخ (محمد أبو الأنوار بن وفا) شيخ السجادة الشريفة الوفية المنيفة وصاحب الكنية المصطفوية الحميدة حالا زاده الله عــزا وإجــلالا آمين وسيدنا ومولانا فخر سادتنا بنى الصديق كوكب سما مجــدهم علـــى التحقيق فرع الشجرة الزكية الصديقية من به وبأسلافه نتوسل إلـــى الله الملـــك العزيـــز الجليل مولانا السيد الشريف الشيخ (خليل البكري الصديقي) الأشعري سبط الشيخ آل الحسين شيخ سجادة أجداده بنى الصديق حـــالا وسيدنا ومولانا فخر أعزة السادة الأشراف الفضلا العظام سلالة آل بنى عبد مناف الفخام فرع الشجرة الزكية وطراز العصابة الهاشمية الفاخرة الواثق

بربه المعيد المبدي مولانا السيد الشريف (عمر أفندي نقيب السادة الأشراف) بمـــصر حـــالا زاده الله عزا وإجلالا ومولانا الشيخ الإمام العالم العلامة أوحد الأفاضـــل العظام مفيد الطالبين بإفهام عمدة المحققين وصفوة العلما العاملين زين الشريعة والملة والدين مولانا الشيخ (عبد الله الشرقاوي) الشافعي شيخ مـــشايخ أهـــل الإفادة والإفتى والتدريس بالجامع الأزهر حالاً وسيدنا ومولانا الشيخ الإمام العلامة الهمام أوحد الأفاضل العظام سيبويه الزمان وفريد العصر والأوان مـــولانا الشيخ شمس الدين (محمد الحريري الحنفي) الأزهري مفتي الـــسادة الحنفية بمصر حالا وسيدنا ومولانا الشيخ الإمام العالم العلامة الهمام أوحد الافاضل الكرام صدرالمدرسين العظام مفيد الطالبين مولانا الشيخ شمس الـــدين (محمـــد الشهير نسبة الكريم بالأمير) المالكي الأزهري مفتى السادة المالكية بمصر حالا وسيدنا ومولانا الشيخ الامام العلامة الهمام أوحد الأفاضل العظـــام صـــدر المدرسين الكرام مفيد الطالبين بإفهام مولانا الشيخ زين الدين (مـــصطفى الشهير نسبه الكريم بالصاوي) الشافعي الأزهري عين أعيان أهل الإفادة والإفتى والتدريس بالجامع الازهر .

وســـيدنا ومولانا الشيخ الإمام العلامة الهمام أوحد الأفاضل العظام مولانا الـــشيخ زيـــن الدين (عبد المنعم العماري) المالكي الأزهري عين أعيان أهل الإفـــادة والإفتـــى والتدريس بالجامع الأزهر حالا وسيدنا ومولانا الشيخ الإمام العلامـــة الهمـــام أوحـــد الأفاضل العظام صدر المدرسين الكرام مولانا الشيخ شـــهاب الـــدين (احمـــد العريـــشي) الحنفي عين أعيان أهل الإفادة والإفتى والتدريس بالجامع الأزهر والشيخ الإمام العلامة الهمام صدر المدرسين الكرام مولانا الشيخ برهان الدين (إبراهيم السجيني) الشافعي الأزهري عين أعيان أهـــل الإفـــادة والإفتى والتدريس بالجامع الأزهر حالا والشيخ العلامة الهمام الإمـــام صـــدر المدرسين الكرام (زين الدين المنصوري) الحنفي عين أعيان

أهـــل الإفادة والإفتى والتدريس بالجامع الأزهر حالا والشيخ (زين الدين سالم بـــن مـــسعود الفـــوي) المالكـــي الأزهـــري عين أعيان أهل الإفادة والإفتى والـــتدريس. وشـــيخ رواق السادة المغاربة المجاورين بالجامع الأزهر عمت بركاتهم وأدام الله النفع بوجودهم آمين.

بمنزل قدوة الأمرا العظام كبير الكبرا الفخام صاحب العز والقدر والهمة والاحتـــرام المقر الكريم العالي حايز رتب المفاخر والمعالي مير اللوا الشريف السلطاني مولانا الأمير إبراهيم بك الكبير محمد (أى تابع محمد بك أبو الدهب) قايمقـــام بمصر المحروسة سابقا وأمير الأمرا بها حالا . وقدوة الامرا الكرام كبيـــر الكبـــرا الفخـــام المقر الكريم العالي حايز رتب المفاخر والمعالي مولانا الأميـــر (أيـــوب بك) دفتردار مصر المحروسة حالا وقدوة الامرا الكرام كبير الكبـــرا الفخـــام المقر الكريم العالي حايز رتب المفاخر والمعالي مولانا الأمير أيـــوب بـــك الكبير الأمير ابراهيم بك مير الحج الشريف المصري سابقا وحاكم ولايـــة دجـــرجا ســـابقا (محمـــد) وقـــدوة الأمرا الكرام صاحب العز والمجد والاحتـــشام ميـــر اللوا الشريف السلطاني مولانا الأمير ٠ سليمان بك محمد) حاكم ولاية دجرجا سابقا وافتخار الأمرا الكرام عين أعيان ذوى الوقار الفخام ميـــر اللـــوا الـــشريف السلطانى مولانا الأمير (أحمد بك محمد) حاكم ولاية المنوفـــية سابقا وافتخار الأمرا العظام عمدة ذوى الوقار الفخام الجناب العالي حايـــز رتـــب المفاخر واالمعالي مولانا الأمير (عثمان بك مراد) حاكم ولاية دجـــرجا سابقا وقدوة الأمرا الكرام عمدة أولي الشأن الفخام مير اللوا الشريف الـــسلطاني الأميـــر (صالح أغا وكيل دار السعادة) العظمى بمصر حالا محمد وفخر الأكابر والأعيان عين أعيان ذوي المفاخر والشأن الجناب المكرم الأمير (علـــى كـــتخدا) طايفة مستحفظان قلعة مصر المحروسة حالا والجناب المكرم الأميـــر (ابراهيم كتخدا باش اختيار) والأمير (عثمان كتخدا) طايفة عزبان قلعة

مـــصر حـــالا والجـــناب المكـــرم الأمير (مصطفى كتخدا باش اختيار عزبان) والجـــناب المكرم الأمير أحمد أغا باش اختيار طايفة المتفرقة والجناب المكرم الأميـــر مـــصطفى أغا باش اختيار متفرقة والجناب المكرم الأمير على كتخدا الجاويـــشية والأميـــر علـــى أغا اختيار طايفة جاويشان سليم والجناب المكرم الأميـــر أحمـــد أغا اختيار طايفة جاويشان غانم والجناب المكرم الأمير يوسف بـــاش جاويش جمليان والجناب المكرم الأمير يوسف أفندي كاتب كبير جمليان والجـــناب المكـــرم الأميـــر سليمان جوربجى باش اختيار تفكيجان البرديسي والأمير أحمد أفندي كاتب صغير تفكجيان . والجناب المكرم الأمير حسن باش جـــاويش جراكـــسه والأميـــر محمد جوربجى باش إختيار جراكسه واطلاعهم وشهادتهم على ما يأتى ذكرة فيه .

بعـــد أن توافق كل من سادتنا أرباب السجاجيد وسادتنا علماء الإسلام مصابيح الظلام متع الله بوجودهم الأنام مع كامل الأمرا الكرام المعين أسماؤهم بأعاليه على :

١- تنزيل جوامك (مرتبات) المسلمين المطلوبة من المال الميري .
٢- وإجـــراء جـــرايات المـــستحقين وعلوفات الفقراء والمساكين المقررة للجامـــع الأزهر ومحفل العلم الشريف الأنور وجريانه من وقفه الخاص به ولا يـــؤخذ منه شيء من المكوس والمظالم (يعني عدم المساس بميزانية الأزهر).
٣- وإجـــراء أموال الحج ومتعلقاته حكم قديمها على ما هي عليه من زمن الملوك والسلاطين (يعني عدم المساس بميزانية الحج).
٤- ومنع التفاريد على البلاد والرعايا والفقرا (يعني منع الفردة الجديدة).
٥- ومنع ترك الكشاف الجايرة في بلاد الله التي خربوها ونهبوها ودمروها .

٦- وإزالة الفلبنجية (الفلتجية)= بعض طوائف العسكر) من مصر القديمة لإيذائهم المسلمين.

٧- لا يــزاد علـــى دفتر المرحوم الأمير محمد بك أبو الذهب قايمقام مصر كان من رفع المظالم (يعني إلغاء التشريعات الضريبية المستحدثة منذ عهد محمد بك أبو الدهب).

٨- وأن جمـــيع ما أحدثه المرحوم الأمير إسماعيل وغيره يزال من اصله بالكلية .

٩- وأن تدفـــع المكوس الجارية في البنادر والموارد وما جعل على المآكل والمشارب (يعني رفع الضرائب على المواد الغذائية).

١٠- إزالة جميع الحوادث والمظالم من جميع الأقطار المصرية.

١١- والتزموا أن لا يتعرض أحد منهم إلى السادة الأشراف القاطنين بجميع الــبلاد لا بــشكوى ولا بأذيه ولا بضرر ولا بوجه من الوجوه وأن ينتهي أمــرهم فـــي حوادثهم الخاصة بهم إلى أفنديهم ونقيبهم في ساير الأقطار والأزمان .

١٢- وأن لا يتعــرض أحد منهم لخدام الشريعة المحمدية بوجه يضر بهم – وأن ينتهي أمرهم في كامل حوادثهم المتعلقة بهم إلى أفنديهم مولانا شيخ الإسلام قاضي عسكر أفندي بمصر في جميع الأزمان.

١٣- وأن يقومــوا بعمــارة الــسواقي الموصلة المياه إلى القلعة وإدارتها بحضرة الوزرا والفقها وشرب المسلمين القاطنين بها.

١٤- وعـــدم إنـــزال الغلال من الديار المصرية إلى بلاد الكفرة والمشركين أعداء الدين (يعني عدم تصدير السلع الضرورية لحاجة الشعب إليها).

١٥- و ألا تحدث حادثة من الآن إلى ما يستقبل من الزمان.

فأجابوا حضرة الأمرا الكرام المعين أسماؤهم بأعاليه بالسمع والطاعة وعـــدم مخالفة الجماعة وأن يبطلوا هذه المظالم الحادثة التي أضرت بالإسلام والمسلمين وأبادت أموال الفقرا والمساكين وحصل بها الضعف والجور المبين وامتـــثلوا جمـــيعا ما طلب منهم وأشير لهم عليه وعاهدوا الله سبحانه وتعالى علـــى أن لا يعـــودوا إلى تلك الأفعال وكل من خالف ذلك أو توقف في دفع ما يتـــرتب علـــيه أو ســـعى فـــي إبطال شئ من ذلك فيكون على ساداتنا أرباب الـــسجاجيد وعلمـــا الإسلام والأمرا قهره واستخلاص كامل ما هو مطلوب منه لأربابه كاينا من كان عملا في ذلك بالفرمان الشريف الواجب القبول والتشريف المكتـــتب باللغة العربية الوارد في شأن ذلك من حضرة سيدنا ومولانا الوزير المعظـــم والدستور المكرم والمشير المفخم من تناهت بمقصده الجميل غايات مـــصالح الإســـلام وفاهت بمحامده الثنية الأقلام صاحب السعادة مولانا الوزير الحـــاج صالح باشا كافل الديار المصرية حالا يسر الله له من الخيرات ما يريد وما يشاء المقيد بسجل الباب العالي بمصر المحفوظ بخزينة السجلات العامرة المؤرخ بيوم تاريخه أدناه توافقا صحيحا شرعيا عن طيب قلب وانشراح صدر لما علم كل منهم في ذلك من الحظ والمصلحة باعتراف كل منهم بذلك بحضرة شهوده ومن ذكر أعلاه في يوم تاريخه الاعتراف الشرعي ولما تم الحال على هذا المنوال.

أشـــهد على نفسه كل من افتخار الأمرا الكرام كبير الكبرا الفخام المقر الكريم العالي الأمير (إبراهيم بك الكبير) المشار إليه وافتخار قدوة الأمرا الكرام كبيـــر الكبرا الفخام صاحب العز والقدر والمجد والاحتشام المقر الكريم العالي والكـــوكب المنيـــر المتلألـــئ حايز رتب المفاخر والمعالي مير اللواء الشريف الـــسلطاني مولانا الأمير (مراد بك محمد) مير الحاج الشريف المصري سابقا شـــهوده الإشـــهاد الشرعي وهما بأكمل الأوصاف المعتبرة شرعا أن عليهما

القــيام فـــي كـــل ســـنة يجـــريان كافل ما نص وشرح بأعاليه بقدر الإمكان والاســـتطاعة القـــيام الشرعي بالطريق الشرعي فطوبى للذين آمنوا وعملوا الـــصالحات واجـــتهدوا في استخلاص حقوق عباد الله ودفعها لهم بما أمر الله فمن فعل ذلك مجتهدا في طاعة الله متمثلا لأوامر الله مجتنبا للنواهي فهو من الفايـــزين عـــند الله يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم لقوله تعالى في كتابه العزيز:{إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَـــيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ إِنَّ اللّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ وأمـــا من أعان على مصالح ذلك وسعى في إجرا كامل ما نص وشرح بأعاليه بـــرد الله مضجعه – ولقنه حجته وجعله من الآمنين الفائزين الفرحين الذين لا خـــوف علـــيهم ولا هم يحزنون ولما تم ذلك على الوجه المسطور حكم مولانا أفـــندي المـــشار إليه بموجب ذلك وأمر بكتابته وقيده بالسجل المحفوظ ضبطا للواقع ليراجع به عند الاحتياج إليه والاحتجاج به حكما وأمرا شرعيين وعلى مـــا جـــرى وقع التحرير في سابع عشرين شهر الحجة الحرام ختام سنة تسع ومايتين والف. (في ٢٧ ذي الحجة سنة ١٢٠٩ هـــ = ١٧٩٥م).

الشيخ عبد الوهاب الداوودي

أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م

لدينا خطاب للرئيس بوش أعلنه أمام الكونجرس بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م ، بتاريخ ٢٠٠٢/١/٢٩م يعلن فيه صراحة لا لبس فيها عداؤه للعرب والمسلمين في بلادهم أو في أمريكا ذاتها ، ويتوعد كل من يقف في طريقه معلناً أن معركته ممتدة وسوف تدور رحاها أو دارت بالفعل في الدول العربية والإسلامية ويؤكد في صراحة لا لبس فيها تأييده لإسرائيل فيما تقوم به من قتل وتدمير واغتيال ومذابح ضد الفلسطينيين ، ولا يتورع أن يعلن قائلا أنه سيظل في حربه هذه حتى يشرب المسلمون الخمر ويأكلوا الخنزير ويباشروا الجنس والشذوذ الجنسي وأنه سيعمل على أن تسود الحضارة المسيحية اليهودية التي يقودها الرجل الأبيض ، وأن أي مؤسسة عالمية ستقف في طريقه سيعمل على إزالتها ، وأن الجامعة العربية يجب حلها .

ويعلن أنه سيمضي على خطوات أبيه من أن يشن حرباً ضد العرب والمسلمين كل عشر سنوات حتى لا تقوم للعرب والمسلمين قائمة ، وأن كل بترول الشرق الأوسط من السعودية ودول الخليج وإيران والعراق سيصل إلى أمريكا تتحمل الدول المنتجة للبترول نفقاته ، ويعلن في صفاقة أن إسرائيل هي الحليف الأوثق لأمريكا ويهدد كل من تسول له نفسه ويعبر عن عدم رضاه مما تقوم به إسرائيل في فلسطين وما حولها من البلاد العربية الأخرى من عدوان ومذابح وعبث وفساد في الأرض وإهلاك للزرع والحرث والنسل .

والخطاب نشر في صحيفة أمريكية هي " ميديا مونيتورز نتويرك" لكاتب طبيب مسلم أمريكي من أصل شرق أوسطي عمل في مجال الطب

الأكاديمي والصحة ، ويقوم بكتابة مقالات عن القضية الفلسطينية والإسلام والسياسية الخارجية الأمريكية في الشرق الأوسط .

خطاب بوش إلى أعضاء الكونجرس

بتاريخ ٢٠٠٢/١/١٩م

السيد الرئيس : أعضاء الكونجرس ، المواطنون الأمريكيون :

أود بكـل اعتـزاز عميق ومن دون تحامل أن أقول لكم الليلة أن حال الاتحـاد الـيهودي المسيحي الأبيض والثري قوية تماماً ، ولم يحدث أبداً في تاريخـنا أن كانـت القوة الأمريكية والهيمنة الأمريكية والقيم الأمريكية قوية ومهابة ومحترمة ومقبولة في العالم كما هي اليوم .

فالـيوم يـوجد العلـم الأمريكـي والقوات المسلحة الأمريكية ووكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية "سي آي إيه" ومكتب التحقيقات الفيدرالي في أكثـر من مائة دولة لضمان السلام والإذعان والتحرر من الخوف والإرهاب ، وينبغي أن يكون الأمريكيون فخورين بي وبحكومتهم وبرجال القوات المسلحة ونسائها الذين يضحون بمباهج الحياة من أجل ضمان أسلوب حياتنا الأمريكية .

الأخوة المواطنون الأمريكيون :

إننـي فخـور بأن أبلغكم أن طالبان قد اندحرت ، وأن كابول تحررت ، وأن أسامة بن لادن والملا محمد عمر إما أن يكونا قد قتلا أو إنهما يحتضران أو يختفـيان ، ولكن ليس لوقت طويل ، إذ إنني مصمم على تقديمهما للعدالة حيـين أو ميتـين ، وأن أبلغكم بأن النساء الأفغانيات تخلين عن براقعهن إلى الأبد ، وأن الفتيات الأفغانيات رجعن إلى المدارس ليطالعن كيف ظفرن بالغرب الأمريكـي ، وأن رمـز الحضارة الغربية الثقافي الأكثر أهمية وهو التليفزيون عـاد للحـياة الأفغانـية ، والأفغان سعداء الآن ، وأحرار في التنقل في أنحاء

بلادهم لزراعة الأفيون ، ويجب على الأمريكيين والأطفال الأمريكيين على نحو خاص الشعور بالفخر بكرمهم المتمسي في إرسال المال والطعام إلى أفغانستان ، ومما يثلج صدري أن أرى الأطفال الأفغان وهم يستمتعون بأطعمتي المفضلة وهي زبدة الفول السوداني والجيلي والبسكوت العقدي ، وعلى الرغم من أن الحــرب فــي أفغانستان توشك على نهايتها فإن أمامنا طريقاً طويلاً ينبغي أن نسيره في العديد من الدول العربية والإسلامية ، ولن نتوقف إلى أن يصبح كل عربي ومسلم مجرداً من السلاح وحليق الوجه وغير متدين ومسالماً ، ومحباً لأمــريكا ولا يغطــي وجــه امــرأته نقاب ، وإنني مصمم على استخدام جميع مواردنا لتحقيق ذلك قبل انتخابي لفترة رئاسية ثانية .

كــم هــو فرق شاسع بين ما كان قبل عام ، وما هو كائن اليوم ، فقبل عــام وتحديــداً في ٢٠٠٠/٢/٢٧م تركز خطابي عن حال اتحاد على القضايا المحلــية ، وفي العام الماضي كان الموضوع المحلي الرئيسي هو كيفية انفاق فــائض المــوازنة الهائل وكان مكتب الموازنة في الكونجرس يتوقع قبل عام تحقيق فوائض تبلغ ٥،٦ تريليونات دولار خلال تلك الفترة ، ويقول المكتب إن المــوازنة الفيدرالــية ستنخفض خلال السنوات العشر المقبلة ، وأما الآن فإن هــذا المكتب يتوقع تحقيق فوائض تبلغ ١،٦ تريليون خلال تلك الفترة العامين المقبلــين إلــى حد خطير ، إن أربعة تريليونات دورلار ثمن قليل مقابل حماية حرياتنا وحضارتنا ومحاربة بن لادن ، وتحقيق تخفيض ضريبي ضخم للأثرياء الأمريكيين .

وفــي ذلــك الخطــاب قلت : إن التوجيه المبالغ فيه يضغط على روح المبادرة والعمل الجاد وأعمال الخير الخاصة والاقتصاد الخاص ، وتقول رؤيتنا الجديــدة للحكــم : إن الحكــومة ينبغي أن تكون فعالة ولكنها يجب أن تكون محدودة ، وينبغي أن تتولى جميع المهام من دون أن تكون متغطرسة .

والتعليم لا يمثل الأولوية الأكثر أهمية بالنسبة إلى ، وبتأييدكم لهذه الموازنة سيجعلون منه أولويتكم الأكثر أهمية أيضاً .

ونحن نواجه مشكلة خطيرة في الطاقة تتطلب سياسة قومية في مجال الطاقة ، ولدى أمريكا فرصة لتوسيع سلامنا الحالي وتأمينه عن طريق الترويج لدولية أمريكية متميزة ، وسنعمل مع حلفائنا وأصدقائنا لنكون قوة للخير ومناصرين للحرية ، وسنعمل من أجل الأسواق الحرة والتجارة الحرة والتحرر من القمع ، والشعوب التي تحقق تقدماً نحو الحرية ستجد في أمريكا صديقة لها ، وسنعزز قيمنا والسلام ، ونحن بحاجة لقوات مسلحة قوية للمحافظة على السلام .

وعموماً لم يكن في مقدور أحد التنبؤ بقدوم بن لادن وبالتأثير الذي سيحدثه في أمتنا وسياستها الداخلية والخارجية ، وعلى أية حال ، وعلى الرغم من مرتكبي الأفعال الشريرة حافظت على وعودي التي قطعتها للشعب الأمريكي ، باستثناء أمر واحد فقد أرغمتني حربنا ضد الإرهاب على توسيع موازنة حكومتنا بدرجة كبيرة في ما يتعلق بالأمن الداخلي ووزارة الدفاع (البنتاجون) وكان يتعين علينا توسيع دورنا في مجال الأمن والاستخبارات ومراقبة مكتب التحقيقات الفيدرالي ووكالة "سي آي إيه" للأمريكيين المسلمين الذين تم اعتقال الآلاف منهم واحتجازهم من دون أمر قضائي ، وقد قيدت الحقوق والحريات المدنية تقييداً شديداً ، وفرضنا قيوداً على وسائل الإعلام وحرية التعبير هنا ، وفي قناة تليفزيون (الجزيرة) ، وجعلنا مهمة الكشف على المسافرين وأمتعتهم في المطارات شأناً فيدرالياً ، والأمريكيون يؤيدونني في هذه الإجراءات الأمنية المهمة .

ويمثل وجود غير البيض وغير اليهود والمسيحيين في بلادنا سواء كان ذلك الوجود شرعياً أو غير شرعي خطراً على شعبنا ، وبصفتي رئيساً

لكــم فإننــي مــسئول عن ضمان سلامتكم وستتغير سياستنا الخاصة بالهجرة لتعكس إهتماماتنا الأمنية ، وفي الوقت المناسب ستصبح مدينة نيويورك التي عانت كثيراً مدينة بيضاء متجانسة مرة أخرى .

ولقــد أنجزت بالفعل التخفيض الضريبي للأثرياء حسب وعدي ، وإنني أعمــل على تحقيق تخفيضات ضريبية أخرى على الرغم من جوانب العجز في الموازنة ، وقد عملت مع الكونجرس لإجازة مشروع السيناتور كيندي الخاص بالتعليم ، وبمساعدة وزير الدفاع (دونالد رامسفيلد) "الفحل" (ضحك وتصفيق) والدكــتورة (رايس) و (بول فولوفوفيتز) و (ريتشارد بيرل) ووفد الكونجرس الــيهودي واللجنة الأمريكية الإسرائيلية للشئون العامة (إيباك) طورنا سياسة خارجــية دولــية أمريكية فريدة ، ولن تكون أمريكا بعد الآن طرفاً في معاهدة دولــية تعرض أهدافنا الاقتصادية أو العسكرية للخطر ، ونحن الآن وأستخدم هــنا عــبارة صــديقي شــارون ذلك (غير ذي صلة) ، نعتبر جميع المنظمات الدولية التي تعارض أي هدف يتعلق بالمصلحة الوطنية الأمريكية الإسرائيلية غيــر ذي صــلة ، ويــشمل هــذا منظمات كالأمم المتحدة والاتحاد الأوروبي ومحكمــة الجــنايات الدولية ومنظمة التجارة الدولية ومفوضية الأمم المتحدة الخاصــة بحقــوق الإنسان ومفوضية اللاجئين التابعة للأمم المتحدة ومنظمة الــصحة العالمــية والجامعة العربية التي يجب في اعتقادي أن يتم حلها فوراً واللجنة الدولية للصليب الأحمر والفاتيكان وجميع المنظمات الإسلامية .

وعلــى الــرغم من أن محاربة مرتكبي الأعمال الشريرة استهلك معظم الفــائض ، إلا أنني أقترح إنفاق ٥ مليارات دولار ، وهو مبلغ يقل عما ندفعه ســنوياً إلــى "إسرائيل" لمساعدة مواطنينا المتقدمين في السن بتوفير تكاليف الــدواء لهــم ، وبالنــسبة لأي مبالغ أكثر من ذلك فيجب أن تأتي من برنامج مــساعدتنا الخارجية الخاصة إلى "إسرائيل" وسأطلب أيضاً زيادة أخرى قدرها

٥٠ مليار دولار لموازنتنا الدفاعية ليصل إجمالي مخصصاتها للسنة المالية ٢٠٠٣م (٤٠٠مليار دولار) وزيادة قدرها ٣٨ مليار دولار للأمن الداخلي ، وقد اهتمت إدارتي بسياسة طاقة قومية ، وقامت بإعدادها تحت إشراف نائب الرئيس "تشيني" الجالس ورائي إلى اليمين الذي عمل عن كثب مع "إنرون واكسون موبيل وشركات أخرى ذات صلة بالطاقة، وعموماً فقد طلب مني " تشيني" أن أضع موضع التنفيذ الامتيازات التنفيذية والتعديل الخامس ضد اتهام الذات ، وهو ما أقوم به الآن ضد أي محاولة لتأكيد تنظيم قوة العمل الخاصة بشركة "إنرون للطاقة" أو وضع جدول لها وسنبدأ على الفور بالحفر في أرجاء أراضينا للتنقيب عن النفط ، وسنبدأ العمل في مشروع طموح لبناء خط أنابيب مباشر تحت الماء من المملكة العربية السعودية والخليج والعراق وإيران إلى نيويورك وعلى نفقتهم لضمان إمدادات نفطية غير منقطعة .

وكما قلت لهذه الهيئة في ٢٠ سبتمبر / أيلول ٢٠٠١م

"وسواء قدمنا أعداءنا للعدالة أو طبقنا العدالة في أعدائنا فسوف تتحقق العدالة ، وتمثل القاعدة بالنسبة للإرهاب ما تمثله المافيا بالنسبة للجريمة ، ولكن من الغباء ألا يتمثل هدف القاعدة في كسب المال ، بل يتمثل في إعادة صياغة العالم وفرض معتقداتهم الراديكالية على الشعوب في كل مكان .

عودة إلى البدائية

وعموماً فالاستعداد لعبة عادلة ، وقد حان دورنا كما قال رئيس الوزراء البريطاني "طوني بلير" : دعونا نعيد تشكيل العالم ليصبح على صورتنا وهكذا ، وبفضل إلهنا سنقوم نحن شعوب العالم من الجنس الأبيض المتحضر بفرض معتقداتنا الرزينة والودودة والتحريرية على عالم جائع لأموالنا ورسالتنا ، ولن يخضع الرجال بعد الآن لشرط إطلاق اللحى ولن

تخــضع النــساء لشرط تغطية وجوههن وأجسادهن ، ومن الآن فصاعداً يحق للعالم تناول الخمر والتدخين وممارسة الجنس السوي أو الشذوذ الجنسي بما فــي ذلــك ســفاح القربــى واللواط والخيانة الزوجية والسلب والقتل وقيادة الــسيارات بسرعة جنونية ومشاهدة الأفلام والأشرطة الخلاعية داخل فنادقهم أو غرف نومهم ، وبالنسبة لشركاتنا التي تنتج مثل هذه المنتجات فسيحق لها الوصــول مــن دون أي عقــبات للدول المتخلفة التي منعت تلك الحريات عن شعوبها .

والإرهابــيون المــسلمون خــونة لعقيدتهم ، وهم يحاولون في الواقع اختطاف الإسلام ذاته .

مغالطة

ولهــذا السبب نفصل نحن في العالم اليهودي والمسيحي سياستنا عن عقيدتــنا ، ونفــصل حروبنا وإرهابنا عن العقيدة ، ولهذا السبب لا ترون في وسائل الإعلام تغطية للإرهاب اليهودي أو الكاثوليكي ، فعندما نقتل لا يتم هذا باسم الإيمان ، وإنما يتم للدفاع عن حريتنا وحضارتنا ، فلماذا يكرهوننا ؟ إنهم يكــرهون ما أراه ماثلاً هنا في هذا المجلس الرجال والنساء الذين تم انتخابهم ديمقــراطياً بوســاطة أمــوال مــن شركة الرون وشركات النفط والاتصالات اللاسلكية والتأمين ومكاتب المحامين .

وأكثــر مــا يكــرهونه هو أن مواطنين من اليهود الأمريكيين ينفقون الملايــين للحــصول على تأييدكم الأبدي لحليفتنا الوحيدة في العالم إلى جانب إنجلترا وهي إسرائيل ، وهم يكرهون حرياتنا المتمثلة في حرية الدين وحرية التعبيــر وحرية التصويت والتجمع والاختلاف مع بعضنا بعضاً ، وهم يريدون الإطاحــة بحكومات قائمة في العديد من الدول الإسلامية مثل :مصر والمملكة العربية السعودية والأردن ، ولن نسمح بحدوث ذلك فالرئيس مبارك والملكان

فهد وعبد الله أصدقاؤنا وهم يريدون الخير لأمريكا ويريد أعداؤنا طرد إسرائيل مـــن الـــشرق الأوســـط وإرسال اليهود إلى *ولايتنا اليهودية "نيويورك"* ، وهم يـــريدون طرد المسيحيين واليهود من غير البيض من مناطق واسعة في آسيا وأفريقيا وإرسالهم إلى هنا ، ولكن هذا لن يتم إلا على جثتي .

وحربنا ضد الإرهاب لا تستخدم وسائل قابلة لأن تخاطب العقل الباطن ، وهـــذه الحملة لن تتضمن قتل الأفغان فقط ، بل حرمان الإرهابيين من الأموال عن طريق إغلاق كل الهيئات الخيرية والبنوك ومكاتب الصرافة غير اليهودية المـــسيحية هـــنا وحول العالم ، ولن يتم بعد الآن تصديق وتحمل أعذارهم عن إطعـــام الأطفال الجياع ، وقد لاحقنا كل دولة في نصف الكرة الجنوبي للقضاء علـــى وتدميـــر أي معارضة ضد حكومتها الراهنة ، ويتعين على كل دولة أن تختار بين أن تكون أو مع الإرهابيين ، وإنني سعيد بإبلاغكم أن كل واحدة من هذه الدول انصاعت لطلبنا ، وأن الحكومات في كل تلك الدول اتخذت إجراءات حاسمة ضد أعدائها الداخليين الذين يعارضون ولاء تلك الحكومات لأمتنا .

إن أمـــريكا لـــم تكـــسب الحرب الباردة فقط بقيادة "دادي" (بوش الأب) ولكـــن لديـــنا الآن فرصة لتشكيل تحالفات قوية ودائمة مع أعدائنا السابقين ، ومـــن روســـيا والـــصين وحتـــى الهند أقامت أمريكا شراكة ذات مدى عالمي لاستئصال أي وجه شبه وأمل لانفصاليين إسلاميين أو توق لتحقيق الاستقلال في هذه الدول ، وهذه الدول التي تضم نصف سكان العالم تقريباً ، تحظى الآن بدعمـــنا الكامل لما تقوم به بجميع السبل لقمع واستئصال الأصولية الإسلامية فـــي الشيشان وكشمير وأويجوزر في مقاطعة شينجيانج الصينية ، ولكن وقبل كـــل شيء أريد أن أعلن للعالم أن خضوعنا الكامل وتحالفنا مع إسرائيل قوي كالحديـــد ، وإننـــي أؤيد بقوة وعلى نحو كلي الحرب ضد الإرهاب التي يشنها شارون وتدميره للسلطة الفلسطينية وعرفات ، وإنني أعلن اليوم أن الولايات

المـــتحدة ســـتوقف جمـــيع اتصالاتها مع عرفات وأتباعه من مرتكبي الأعمال الـــشريرة الذين يقتلون ويفجِّرون اخواننا وأخواتنا من اليهود ، ولن نؤيد بعد اليوم قرار مجلس الأمن الدولي رقم ٢٤٢ الذي صوتت أمريكا بالموافقة عليه في عام ١٩٦٧م كأساس لعملية السلام وقد أوضح لي شارون أننا لا نستطيع أن نكـــيل بمكيالـــين بخوضنا حرباً ضد الإرهاب الإسلامي بزعامة بن لادن ، ومعارضـــة الحرب المماثلة التي تخوضها إسرائيل ، وقد عانت إسرائيل لمدة ٥٣ عامـــاً مـــن تهديد الجيوش العربية والاحتلال الفلسطيني لأرضها (*مغالطة وتـــبجح وقلـــب للأوضاع*) وإنني أعرف أن وزارة الخارجية في عهد وزيرها الجنـــرال الحالـــي عمدت في بعض الأحيان على نحو غير صحيح إلى انتقاض إسرائيل كلما استخدمت طائرات (إف ١٦) التي نزودها بها لقصف مدرسة أو كنيسة في بيت لحم ، ولكنني أستطيع القول بكل ثقة (الأفضل بكل تبجح) إنني والجنرال ندرس هذا معاً ، ولذلك فسوف يمضي بقية فترته في الوزارة لضمان ســـلام إسرائيل وأمنها ورفاهيتها الاقتصادية ، وفي هذا الصدد سأتقدم باقتراح لـــزيادة عونـــنا الاقتـــصادي لإسرائيل بمبلغ مليار ي دولار ، لمساعدتها على تعويض خسائرها الاقتصادية الناتجة عن هجمات ١١ سبتمبر / أيلول ، ونحن لا نـــستطيع أن نـــدع الجهـــات الإرهابية والدول المارقة تعادي هذه الدولة أو حلفائنا.

وقـــد توصـــلت أمريكا أخيراً لمصيرها الواضح ، ولن نتعامل بعد الآن بـــردود الأفعـــال ولن نسمح بجرنا إلى صراعات ، ولن نكون بعد الآن الدولة التي يأتي إليها العالم لتصنع السلام وتبني الدول ، فمصير أمريكا الآن واضح أمـــام العـــالم ، فـــنحن سنكون من يشن الحروب على كل من نختاره هدفاً لنا ونحـــن الـــذين سندمر قبل أن نعيد البناء ، ولن نقف بعد الآن مكتوفي الأيدي والعالم يغرق في دمائه ، فأمريكا تعمل من أجل السلام ، ولكننا إذا رأينا هناك

حاجـــة لإراقة الدماء فسنقوم بذلك بأنفسنا ، ومن الآن فصاعداً فستقرر أمريكا متى ؟ ، وأين؟ ، وكيف؟ ، ولماذا ؟ تشن الحرب أو تحقق السلام ، وقد انتقلت دولتـــنا بكل فخر من غضب الشوارع إلى الغضب الخارجي ، وقد نجح هذا في حالى إسرائيل وهو ناجح الآن بالنسبة لنا ولحليفاتنا روسيا والصين والهند . والدي

وكمـــا قـــال "دادي" في خطابه عن حالة الاتحاد في ٢٩ يناير / كانون الثاني ١٩٩١م أجيء إلى مجلس الشعب هذا لأتحدث إليكم ولجميع الأمريكيين وأنـــا على ثقة من أننا نقف عند لحظة حاسمة ، ففي بقاع مختلفة من العالم ، نخـــوض كفاحاً عظيماً في الفضاء والبحار وعلى الرمال ونحن نعلم لماذا نحن هناك ، فنحن أمريكيون وجزء من شيء أكبر منا بكثير ، ولمدة قرنين أنجزنا العمل الشاق الخاص بالحرية ، والليلة نحن نقود العالم في مواجهة خطر يهدد الأصول والبشرية ، وفيما عدا استثناءات قليلة فإن العالم يقف كوحدة واحدة .

يا دادي إنني آمل أن أكون قد حافظت على إرث آل بوش حياً بمحاربة العرب والمسلمين كل عشر سنوات ، لضمان استمرار الفوضى في بلادهم ولن يجبرنا ملك أو أمير عربي نفطي على تحسين كفاية وقود سيارتنا المتطورة ، وهـــذا مـــا لـــن يحدث وأنا رئيس للولايات المتحدة ، وعلى العكس سيطرون لـــزيادة الإنـــتاج وتخفـــيض الأســـعار ، وإننـــي آمل يا "دادي" أن تكون أنت وأصـــدقاؤك فـــي مجموعة كارلايل والقطاعات العسكرية والصناعية والنفطية ســـعداء بمـــا تحقق من مكافئات بفضل بن لادن وسياساتي ، وينبغي أن تتاح الفرصـــة لجميع الأمريكيين ليكسبوا المال خلال انتقامنا من بن لادن وأعوانه من مرتكبي أعمال الشر المسلمين ، وهذا هو أقل ما يمكن أن نقوم به لتكريم أبطالنا الذين سقطوا في ١١ سبتمبر / أيلول . شكراً لكم وليبارك الله أمريكا " .

وفـــي الجملـــة فإن خطاب الرئيس بوش يعلن في صراحة لا لبس فيها عداءه للعرب والمسلمين في بلادهم أو في أمريكا ذاتها .

وهـــذا الخطاب نشر في صحيفة أمريكية هي "ميديا مونيتورز نتويرك" لكاتب طبيب مسلم أمريكي من أصل شرق أوسطي ، وقد عمل في مجال الطب الأكاديمـــي والـــصحة ، وله خبرة محلية ودولية في السياسة ، ويقوم بكتابة مقـــالات عـــن القضية الفلسطينية والإسلام والسياسة الخارجية الأمريكية في الشرق الأوسط.

[وقد ترجمه إلى العربية أحمد بشير بابكر ، ونشر في صحيفة الخليج الإماراتية في ٨ فبراير ٢٠٠٢م ، وفيما يلي نص الخطاب كما هو منشور في جريدة الخليج ، وكما هو نصه في كتاب الأقليات الإسلامية في المجتمعات الغربية للدكتور محمد إبراهيم الجيوشي].

ا.د.مصطفى محمد رمضان
أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر
جامعة الأزهر

الفهرس